داشيل هاميت

الحصاد الأحمر

مكتبة علي بن صالح الرقمية

داشييل هاميت

الحصاد الأحمر

روايـــة

ترجمة : إبراهيم سند أحمد

1929

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أُهدي هذه الرواية إلى جوزيف تومبسون شو

الفصل الأول

صاحبة الثياب الخضراء، وصاحب الثياب الرمادية

أول مرة سمعتُ فيها كلمة بيرسونفيل تُنطَق بويزونفيل كانت على لسان عامل منجم ذي شعر أحمر يُدعَى هيكي ديوي، في صالون «بيج شيب»، بمدينة بيوت. ويقول كذلك على البريد «بييد». لم أظن أن هناك مغزًى معينًا من تحريف اسم المدينة. لكن في وقت لاحق، سمعت رجالًا ينطقون حرف الراء نطقًا صحيحًا، ولكنهم ينطقون اسم المدينة بنفس الشكل. ظَلِلتُ لا أرى شيئًا في ذلك سوى أنه نوع من الدعابة التي لا معنى لها. لكن بعد بضع سنوات، ذهبت إلى بيرسونفيل وعرفت المزيد.

استخدمت أحد الهواتف في المحطة، واتصلت بجريدة «هيرالد»؛ إذ سألت عن دونالد ويلسون وأعلمتُه بوصولي.

تحدَّث بدماثةٍ وبنبرة واضحة: «هلَّا تزورني في منزلي الليلة في الساعة العاشرة؟ العنوان ٢١٠١ جادة ماونتن. ستستقل السيارة الآتية إلى شارع برودواي، وتنزل عند لوريل أفنيو، وتسير مربعَين سكنيَّين جهة الغرب.»

وعَدتُه بالزيارة. ثم أخذت السيارة إلى فندق «جريت ويسترن»، حيث ألقيت حقائبي وخرجت كي أشاهد المدينة.

لم تكن المدينة جميلة. إذ كان لمعظم بنَّائيها ذوق صارخ في البهرجة. ربما كان هذا النمط مسايرًا للعصر في البداية. ومنذ ذاك الحين والمصاهر التي تقف مداخنها الحجرية شامخةً في مواجهة جبل مُعتِم جهة الجنوب تغطِّي كل معالم المدينة بدخانها الأصفر، فجعلتها مُغبرَّة بشكل متماثل. والنتيجة: مدينة قبيحة يسكنها أربعون ألف نسمة، قابعة في ممر بغيض بين جبلَين قبيحَين أطبقت عليهما القذارة بسبب أعمال المناجم. وفوق ذلك، تستظل المدينة بسماء مكسوَّة بالسُّخام، وكأنها تكوَّنت من الدخان المتصاعد من المصاهر.

كان أول شرطي رأيته بحاجةٍ إلى الحلاقة. وكان الثاني يرتدي زيًّا مهترئًا مفقودًا منه زِرَّان. أما الثالث فكان واقفًا يُنظِّم المرور في مفترَق الطريقَين الرئيسَين في المدينة، وهو

تقاطع شارع برودواي مع شارع يونيون، يتولّى تنظيمَ المرور ملتقمًا سيجارة في زاوية من فمه. وقفتُ بعد ذلك كي أتفقَّدهم.

في الساعة التاسعة والنصف، أخذت سيارة إلى شارع برودواي واتبعتُ التوجيهات التي أملاها عليَّ دونالد ويلسون. فأرشدَتني إلى منزل قابع في ركن من قطعة أرض عشبية مُسيَّجة.

أخبرني الخادم الذي فتح الباب أن السيد ويلسون ليس في المنزل. وبينما كنت أوضح له أن لديَّ موعدًا معه، أتَت إلى الباب امرأةٌ نحيفة شقراء، عمرها دون الثلاثين، ترتدي ثيابًا من قماش الكريب الأخضر. وحين تبسَّمت، لم تفقد عيناها الزرقاوان جمودهما. وقد كررتُ قولي عليها.

تحدثَت بلثغةٍ في حرف السين لا تكاد تُلحَظ: «زوجي ليس في المنزل الآن. ولكن إذا كان يتوقع قدومك فربما يكون على وصول.»

رافقَتني إلى الطابق العلوي، وأدخلَتني غرفةً في أحد جوانب المنزل تطلُّ على لوريل أفنيو، الغرفة مطلية باللونَين البني والأحمر، وتحوي الكثير من الكتب. جلسنا في كرسيَّين مكسوَّين بالجلد، وكلٌّ منا متَّجه إلى الآخر بنصف وجهه، والنصف الآخر متجه نحو مدفأة بها فحم مشتعل، وحينها شرعَت تستفسر عن علاقتي بزوجها.

سألَت أولًا: «هل تعيش في بيرسونفيل؟»

«لا، أنا من سان فرانسيسكو.»

«أهذه زيارتك الأولى؟»

«نعم.»

«حقًّا؟ ما رأيك في مدينتنا؟»

كذبتُ عليها؛ حيث إنني رأيت المدينة: «لم أرَ الكثير فيها. فأنا لم أصِل إلا بعد ظهر اليوم.»

توقفت عيناها اللامعتان عن التحديق لما قالت:

«ستجدها مكانًا كئيبًا.» وحينها عادت إلى استفساراتها فقالت: «أظن أن هذا هو حال كل المدن التي تعمل في التعدين. فهل تعمل في المناجم؟»

«ليس في الوقت الحالي.»

نظرَت إلى الساعة على رف المدفأة، وقالت:

«من عدم المراعاة أن يدعوك دونالد إلى هنا، ثم يتركك منتظرًا في هذه الساعة من الليل؛ فقد انتهت ساعات العمل منذ وقت طويل.»

قلت إني لست منزعجًا من ذلك.

لمَّحت قائلة: «حتى وإن لم تتعلَّق المسألة بالعمل.»

لكني لم أتفوَّه بشيء.

ندَّت عنها ضحكة ... ضحكة قصيرة لكنها في الوقت نفسه حادَّة.

وقالت بنبرة مرحة: «في الحقيقة، ليس من عادتي أن أكون فضوليةً إلى هذا الحد الذي قد يتبادر إلى ذهنك. ولكنك مفرط في الكتمان إلى حدٍّ لا أستطيع معه كبح جماح فضولي. لستَ تاجرًا للخمور، أليس كذلك؟ فدونالد يغيرهم كثيرًا.»

تركتها تفهم أيًّا ما تريد من ابتسامتي.

دق جرس الهاتف بالطابق السفلي. فمدَّت السيدة ويلسون قدمَيها، اللتَين تنتعل فيهما حذاء أخضر اللون، تجاه الفحم المتَّقد، وتظاهرت أنها لم تسمع جرس الهاتف. لم أعلم لماذا خُيِّل إليها أن هذا ضروري.

استهلَّت: «أخشى أنني ...» وحبست الكلام كي تنظر إلى الخادمة الواقفة عند عتبة الباب.

قالت الخادمة إن المتصل يريد السيدة ويلسون. استأذنت وخرجت مع الخادمة. لكنها لم تنزل، بل تحدثت عبر خط داخلي على مسافة قصيرة.

سمعتها تقول: «معك السيدة ويلسون ... نعم ... أستميحك عذرًا؟ ... مَن؟ ... هلَّا ترفع صوتك قليلًا؟ ... ماذا قلتَ؟ ... نعم ... نعم ... مَن هذا؟ ... مرحبًا! ألو!»

جاء صوت إغلاق سماعة الهاتف. ثم سمعتُ وَقْع خطواتها وهي تسير في الردهة، وكانت خطواتها سريعة.

أشعلتُ سيجارة، وأخذت أحدِّق فيها حتى سمعتها تنزل الدَّرَج. حينئذٍ سرتُ إلى النافذة وأزحتُ طرف الستارة ونظرت إلى لوريل أفنيو، وإلى المرأب الأبيض المربع الشكل في مؤخَّر المنزل في هذا الجانب.

حينئذٍ ظهرت امرأة نحيلة، ترتدي معطفًا أسود وقبعة، وكانت تحثُّ الخُطى من المنزل إلى المرأب. كانت تلك هي السيدة ويلسون. رأيتها تُخرِج سيارتها الكوبيه من طراز بويك. ومن ثم عدت إلى الكرسي وانتظرت.

مرت ثلاثة أرباع ساعة. وفي الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق، سُمع صوت صرير فرامل السيارة بالخارج. ثم بعد دقيقتَين، دخلت السيدة ويلسون إلى الغرفة. كانت قد خلعت قبعتها ومعطفها. وكان وجهها شاحبًا، وعيناها شبه سوداوَين.

كان فمها الصغير يرتعش حين قالت: «أنا آسفة غاية الأسف، ولكنك انتظرت كل هذا الوقت سدًى. فزوجي لن يعود إلى المنزل الليلة.»

قلت إنني سأتصل به في جريدة «هيرالد» صباحًا.

ذهبت وأنا أتساءل لماذا اتسخ نعلها الأيسر من الأمام بشيء ربما يكون دمًا.

* * *

سرت إلى شارع برودواي واستقللتُ الترام. ثم نزلت على مسافة ثلاثة مربعات سكنية جهة الشمال من الفندق الذي نزلت فيه؛ كي أتحسس أخبار حشد يتجمع عند مدخل مبنى البلدية.

وقف ثلاثون أو أربعون رجلًا وبضع نساء على الرصيف، وكانوا ينظرون إلى باب مكتوب عليه «قسم الشرطة». وقف بينهم رجال من عمال المناجم والمصاهر لا يزالون بملابس العمل، وفتية بملابس مبهرجة آتون من صالات البلياردو وقاعات الرقص، ورجال متأنِّقون لهم وجوه شاحبة وناعمة، ورجال يبدو على مُحيَّاهم فتور الأزواج الوقورين، وبضع نساء يظهر عليهن الفتور والوقار أنفسهما، وبعض فتيات الليل.

وعند نهاية هذا التجمع، وقفت بجانب رجل عريض البنية يرتدي ثيابًا رمادية مجعَّدة. كان وجهه أيضًا يميل إلى اللون الرمادي، وحتى شفتاه الغليظتان كانتا رماديتَين، على الرغم من أنه لم يكن يتجاوز الثلاثين بكثير. كان الرجل ذا وجه عريض وملامح مكتنزة، وينمُّ عن فطنة. وبالنسبة إلى الألوان، فكان يرتدي ربطة عنق من نوع وندسور ذات لون أحمر، يبرز لونها عن قميصه الرمادي من قماش الفانيلا.

سألته: «ما هذا الضجيج؟»

نظر إليَّ متأملًا قبل أن يجيب، وكأنه يريد أن يطمئن إلى أن المعلومات التي سيدلي بها ستكون بين أيدٍ أمينة. كانت عيناه رماديتين مثل ثيابه، لكن ليس بالنعومة نفسها.

«انتقل دونالد ويلسون إلى جوار ربه، إن لم يكن الرب يمانع النظر إلى الثقوب التي أحدثها الرصاص فيه.»

سألته: «من الذي أطلق عليه الرصاص؟»

حكَّ الرجل الرمادي قفاه وقال:

«شخص معه مسدس.»

أردت معلومات، لا طُرفة. وَدِدت لو جربت حظي مع شخص آخر من الحشد، لولا أن صاحب ربطة العنق الحمراء أثار اهتمامي. فقلت له:

«أنا غريب عن المدينة. أخبرني بكل ما تعرفه من تفاصيل. فهذا متوقَّع مع الغرباء.»

أخذ الرجل يسرد في رتابة سريعة: «حضرة المحترم دونالد ويلسون صاحب جريدة «مورنينج هيرالد» وجريدة «إيفنينج هيرالد»، عُثر عليه منذ فترة وجيزة مقتولًا بالرصاص على يد مجهولين في شارع هريكين.» ثم استدرك: «هل يحافظ هذا على مشاعرك من أن تتأذَّى؟»

«شكرًا.» مددت إصبعي ولمست طرَفًا من ربطة عنقه. «هل تعني لك شيئًا؟ أم إنك ترتديها وحسب؟»

«أنا بيل كوينت.»

صحت وأنا أحاول أن أتذكر الاسم: «أحقًّا هو أنت! يا إلهي، ما أسعدني بلقائك!»

أخرجت حافظة البطاقات الخاصة بي، وقلَّبت سريعًا في أوراق الهُوية التي جمعتها من أماكن مختلفة بطريقة أو بأخرى. كانت البطاقة الحمراء هي ما أريده. إنها تحدِّد هُويتي باسم هنري إف نيل؛ ملَّاح خبير، وعضو في «اتحاد العمال الصناعيين في العالم». بالطبع لم تحمل البطاقة أيَّ معلومةٍ حقيقية.

أعطيت هذه البطاقة إلى بيل كوينت. قرأها بعناية وجهًا وظَهرًا، وأعادها إليَّ، وأخذ يرمقني من رأسي حتى أَخمَص قدمي بنظرات تتخلَّلها الرِّيبة.

قال: «لن يزداد موتًا. في أي طريق ستذهب؟»

«ليست لي وجهة محددة.»

سرنا في الشارع معًا، ثم انعطفنا، كنا نسير بغير وجهةٍ محددة على حد علمي.

سأل الرجل عرَضًا: «ما الذي أتى بك إلى هنا إذا كنت ملاحًا؟»

«ومن أين علمت أني ملاح؟»

«من البطاقة.»

قلت: «معي بطاقة أخرى تثبت أني أعمل حطَّابًا. وإن أردتَني عامل مناجم، فسآتيك ببطاقة تثبت ذلك غدًا.»

«لن تنالها. فأنا أتولى شئونهم هنا.»

سألت: «وماذا إن تلقيت تلغرافًا من شيكاجو؟»

«اللعنة على شيكاجو! أنا من يتولى شئونهم هنا.» ثم أشار إلى باب مطعم وسأل: «أترغب في شراب؟»

«فقط حين تسمح الظروف باحتساء شراب.»

دخلنا إلى المطعم وصَعِدنا الدَّرَج، ثم دلفنا إلى غرفة ضيقة في الطابق الثاني بها مشربٌ طويل، وصفٌّ من الطاولات. ألقى بيل كوينت التحية على بعض الفتية والفتيات عند الطاولات والمشرب وقال: «مرحبًا!» وتقدَّمني إلى إحدى المقصورات ذات الستائر الخضراء المصطفَّة على الجدار المقابل للمشرب.

مكثنا ساعتَين نحتسي الويسكي ونتحدث.

لم يعتقد الرجل الرمادي أن لي أي أحقِّية في البطاقة التي أظهرتها، ولا في البطاقة التي ذكرتها له. لم يعتقد أني عضو صالح في «اتحاد العمال الصناعيين في العالم». وباعتباره رئيسًا غِطرِسًا في «اتحاد العمال الصناعيين في العالم» الكائن في بيرسونفيل، قدَّر أن من واجبه أن يحصل على معلوماتٍ مني، وألَّا يدع نفسه يتحمَّس بشأن مسائل راديكالية بينما يجمع المعلومات.

لم يكن عندي مشكلة في ذلك. فقد كنت مهتمًّا بشئون بيرسونفيل. ولم يمانع هو أن يتناقش معي حول هذه الشئون بين محاولات الاستفسار الفضولية بشأن بطاقاتي الحمراء.

وتتلخَّص المعلومات التي استخرجتها منه في الآتي:

طَوال أربعين سنة، امتلك إيليو ويلسون — والد الرجل الذي لقي حتفه هذه الليلة — بيرسونفيل بكل ما فيها، قلبًا وروحًا وجسدًا وأحشاءً. فقد كان الرئيس وصاحب النصيب الأكبر من أسهم شركة بيرسونفيل للتعدين، وكذلك البنك الوطني الأول، وهو مالك جريدة «مورنينج هيرالد» وجريدة «إيفنينج هيرالد»، الجريدتَين الوحيدتَين في المدينة، وفوق كل هذا، كان شريكًا في ملكية كل شركة تقريبًا مهما كان حجمها. بالإضافة إلى هذه الممتلكات، كان له نفوذٌ على سيناتور أمريكي، واثنين من النواب، والمحافظ والعمدة، ومعظم السلطة التشريعية. إيليو ويلسون كان هو بيرسونفيل، ويكاد يكون هو الولاية بكاملها.

في أيام الحرب، دعم «اتحادُ العمال الصناعيين في العالم» — الذي كان في أوج ازدهاره في جميع أنحاء الغرب — عمالَ شركات التعدين في بيرسونفيل. لم يكن هؤلاء العمال يتلقَّون المعاملة الحسنة. واستغلوا نقاط قوتهم الجديدة للمطالبة بما يريدون. وعليه، أعطاهم إيليو العجوز ما اضطُر إلى إعطائهم إياه، ولكنه تحيَّن فرصته.

أتت تلك الفرصة في عام ١٩٢١. فقد ساءت الأحوال في العمل. ولم يأبهْ إيليو العجوز بتوقف العمل لفترة من عدمه. فقد نقض كلَّ العقود التي أبرمها مع رجاله، وبدأ يزجُّ بهم إلى الظروف التي كانوا عليها قبل الحرب.

بالطبع ضجَّ العمال، وعلَت أصواتهم طلبًا للمساعدة. وحينها أُرسلَ بيل كوينت من المقر الرئيسي لـ «اتحاد العمال الصناعيين في العالم» الكائن في شيكاجو؛ كي يحل بعض هذه المشكلات. لم يكن يؤيد الإضراب وترْك العمل إلى أجل غير مسمًّى. بل نصح بتكتيك قديم، وهو افتعال الخراب؛ البقاء في العمل وإثارة الفوضى من داخل العمل. ولكن هذا الإجراء لم يكن كافيًا بالنسبة إلى نشطاء بيرسونفيل. فقد أرادوا أن تُحفَر أسماؤهم في التاريخ، ويغيروا تاريخ العمال.

ومن ثَم أضربوا عن العمل.

استمر الإضراب ثمانية شهور. وقد أنَّ الطرَفان تحت وطأة هذا الإضراب كثيرًا. ومن ثَم اضطُر أعضاء الاتحاد إلى تحمُّل نصيبهم من العناء. استأجر إيليو العجوز مسلَّحين وأناسًا لإفساد الإضراب، وأفرادًا من الحرس الوطني، وحتى فِرقًا من الجيش النظامي لتنفيذ أغراضه. وحين استنزف العنف قواهم، بات إضراب العمال المنظَّم في بيرسونفيل عقيمًا.

ولكن — على حد قول بيل كوينت — لم يتبصَّر إيليو العجوز تاريخه الإيطالي. فقد أَخمد الإضراب لكنه فقدَ نفوذه على المدينة وعلى الولاية. فمن أجل أن يقمع عمال المناجم، اضطُر إلى إطلاق يد عصابته التي استأجرها في المدينة. وحين انتهت المعركة، لم يستطع التخلُّص

منهم. فقد أعطاهم مدينته، ولم تكن لديه القوة الكافية كي يستردها منهم. طمعت هذه العصابة في خيرات بيرسونفيل واستولت عليها. بالطبع قمعوا الإضراب من أجله، ولكنهم أخذوا المدينة غنيمة لهم. ولم يستطع أن يناصبهم العداء. فبين أيديهم أدلة كثيرة تُدينه. إنه المسئول عن كل ما ارتكبوه في فترة الإضراب.

شعرت أنا وبيل كوينت بشيء من الثمالة حين وصلنا إلى هذا الحد. وأفرغ هو كأسه مرة أخرى، وأبعد شعره عن عينَيه، وقال مكملًا حديثه:

«ربما يكون أقواهم الآن هو بِيت الفنلندي. فهو صاحب الشراب الذي نحتسيه الآن. يأتي من بعده ليو يارد. لديه مكتب قروض في شارع باركر، ويتكفَّل بالكثير من أعمال سندات الكفالة، وقيل لي إنه يتولى مسئولية تصريف الكثير من البضائع المسروقة، كما تجمعه علاقة وطيدة يشوبها الفساد مع رئيس الشرطة نونان. والولد المدعوُّ ماكس ثيلر أو ويسبر ... لديه الكثير من الأصدقاء هو الآخر. إنه فتًى قصير القامة، أسمر البشرة، يعاني مشكلةً في حَلقه. إنه لا يستطيع الكلام بصوت عالٍ فيبدو وكأنه يهمس. كما أنه مقامر. هؤلاء الثلاثة، ومعهم نونان، يساعدون إيليو في السيطرة على مدينته ... بل إنهم يساعدونه بأكثر مما يريد. ولكنه مضطر إلى التعاون معهم وإلَّا ...»

سألتُ: «هذا الشخص الذي لقيَ حتفه الليلة، ابن إيليو؛ ما موقفه؟»

«هو حيث يضعه أبوه، وهو الآن حيثما أراده.»

«هل تقصد أن الرجل أمرَ ...؟»

«ربما، لكن هذا ليس تخميني. أتى دونالد إلى المدينة منذ فترةٍ قصيرة، وتولَّى إدارة الجريدة لوالده. لم يكن من شِيَم الطاغوت العجوز أن يدع أيَّ شخصٍ يحاول انتزاع أي شيء منه من دون أن يردَّ الصاع، على الرغم من أن قدمه إلى القبر أقرب. لكن كان عليه أن يكون حذرًا مع هؤلاء الرجال. لذا أتى بولده وزوجته الفرنسية من باريس، واستعمله كي يحقق مصالحه الخاصة، كانت تلك حيلة أبوية بارعة للغاية. بدأ دونالد حملة إصلاح في الجريدة. فقد أراد أن ينظف المدينة من كل الرذائل والفساد، وهذا يعني التخلص من بيت وليو وويسبر إذا لزم الأمر. هل فهمت؟ العجوز استغل ولده كي يتخلص منهم. وأظنهم قد أضجرتهم التهديدات.»

قلت: «يبدو أن ذلك الظن به بعض الأخطاء.»

«كل شيء في هذه المدينة القميئة تشوبه الأخطاء. هل اكتفيت؟»

أجبته بأني اكتفيت. ونزلنا إلى الشارع. وأخبرني بيل كوينت أنه يقيم في فندق «ماينرز» الكائن في شارع فورست. والطريق إلى مكان إقامته يمر بالفندق الذي أقيم فيه؛ ومن ثَم سرنا معًا. وأمام فندقي، وقف شخصٌ سمينٌ يرتدي ملابس مدنية على الرصيف، يتحدث إلى راكبٍ في سيارة من طراز ستوتز مكشوفة السقف.

أخبرني بيل كوينت: «الرجل الذي في السيارة هو ويسبر.»

نظرت إلى ما وراء الرجل السمين، ورأيت وجه ثيلر. كان شابًّا أسمر البشرة، صغير الجسم، ملامحه جميلة، كأنه منحوت ببراعة.

قلت: «شكله جذاب.»

وافقني الرجل الرمادي: «آه، نعم، الديناميت أيضًا شكله جذاب.»

الفصل الثاني

قيصر بويزونفيل

أفردَت جريدة «مورنينج هيرالد» صفحتَين للحديث عن دونالد ويلسون وعن وفاته. أظهرَت الصورة وجهًا وسيمًا، ينمُّ عن الذكاء، وشعرًا مجعَّدًا، وابتسامة مرسومة في العينَين والفم، وذقنًا به طابع الحسن، وربطة عنق مخطَّطة.

اتسمت قصة موته بالبساطة. ففي الساعة الحادية عشرة إلا الثلث ليلة البارحة، أُطلِقت عليه أربع رصاصاتٍ في البطن وفي الصدر والظهر، وقد أودت بحياته على الفور. وقع إطلاق الرصاص في المربع السكني رقم ١١٠٠ في شارع هريكين. ورأى سكان هذا المربع — ممن أطلُّوا على الشارع بعد سماع الطلق الناري — القتيلَ مُلقًى على قارعة الطريق. وكان هناك رجل وامرأة ينحنيان فوقه. وبسبب ظلمة الشارع، لم يتمكن أحد من التعرف على أي شخص أو أي شيء بوضوح. كذلك اختفى الرجل والمرأة قبل أن يصل أحد إلى الشارع. فلم يتعرف أحد على ملامحهما. ولم يرهما أحد وهما ينصرفان.

أُطلِقت ست رصاصات على ويلسون من مسدس عيار ٣٢ملم. رصاصتان منها لم تصبه، واصطدمتا بالجدار الأمامي لأحد المنازل. وبتتبُّع مسار هاتين الرصاصتين، علمت الشرطة أن إطلاق النار كان من حارةٍ ضيقةٍ على الجهة الأخرى من الشارع. هذه هي كل المعلومات التي يعرفها الجميع.

في المقالة، كتبت جريدة «مورنينج هيرالد» نُبذة مختصرة عن حياة القتيل العملية القصيرة بصفته مصلحًا مدنيًّا، وأعربت عن اعتقاد بأن الجُناة بعض ممن لا يريدون تطهير بيرسونفيل. وقالت جريدة «هيرالد» إنه بإمكان رئيس الشرطة أن يبرهن على عدم تواطئه إن أسرع في الإمساك بالقاتل أو القتلة وإدانتهم. كانت لغة المقال صريحة وحادَّة.

أنهيت قراءة المقال مع فنجان القهوة الثاني، وبعدها أخذت السيارة إلى شارع برودواي، ونزلت في لوريل أفنيو، ومشيت تجاه منزل القتيل.

كنت على مسافة نصف مربع سكني حين حدث شيء جعلني أغيِّر رأيي ووجهتي.

عبَر الشارعَ أمامي شابٌّ صغير الجسم بعض الشيء، يرتدي ملابس ذات ثلاث درجات من اللون البني. كانت ملامحه القاتمة مليحة. كان الشاب هو ماكس ثيلر، وهو معروف باسم ويسبر. وقد وصلتُ إلى زاوية جادَّة ماونتن في وقتٍ مناسب، مكنني من رؤية شيء من مؤخر ساقه ذات السروال البني وهي تدخل منزل الراحل دونالد ويلسون.

عُدت إلى شارع برودواي، ووجدت صيدليةً بها كابينةُ هاتف، فبحثت في الدليل عن رقم الهاتف المنزلي لإيليو ويلسون، واتصلت به وأخبرت المتحدث — الذي قال إنه سكرتير العجوز — أنني أتيت من سان فرانسيسكو بدعوة من دونالد ويلسون، وأنني أعرف شيئًا عن وفاته، وأريد أن أقابل والده.

وحين شدَّدت عليه في تأكيد هذا الأمر، دعاني إلى زيارة.

كان قيصر بويزونفيل متَّكئًا في سريره حين أدخلني سكرتيره — وهو رجل صامت ونحيف ذو عينين حادتين، في الأربعين من عمره — إلى غرفة نومه.

كان رأس العجوز صغيرًا، يكاد يكون كامل الاستدارة، يعلوه شعر أبيض قصير. وكانت أذناه صغيرتَين للغاية وملتصقتَين بجانبَي رأسه لدرجة أنهما لا يكادان يبرزان خارج استدارة رأسه. أنفه أيضًا صغير ويحمل منحنى جبهته الناتئة. أما الفم والذقن فيأخذان الشكل المستقيم بحيث يقطعان استدارة وجهه. ومن أسفلهما عنق قصير غليظ، يمتدُّ إلى داخل منامة بيضاء بين كتفَين عريضتَين ومكتظَّتَين باللحم. رأيت إحدى ذراعَيه خارج الغطاء، كانت ذراعًا قصيرةً مكتنزة، وفي نهايتها يد ممتلئة ذات أصابع غليظة. وعيناه مستديرتان، زرقاوان، صغيرتان، مترقرقتان. كأن عينَيه تختبئان خلف غشاءٍ رقيق من الماء، وأسفل حاجبَين أبيضَين كثيفَين؛ حتى يحين الوقت كي تقفزا خارج مَحجِريهما فتنقضَّا على شيءٍ ما. كان من الرجال الذين لا تجرؤ على نشل ما في جيوبهم حتى تكون لديك الثقةُ الكافية بمهارة أصابعك.

أمرَني بالجلوس في كرسيٍّ بجانب السرير بإيماءةٍ صغيرةٍ من رأسه المستدير، وأمر السكرتير بالخروج بإيماءة أخرى، وحينها سأل:

«ما الذي تعرفه بشأن قضية ولدي؟»

كان صوته أجشَّ. كانت أنفاسه متلاحقة لدرجة جعلته غير قادر على النطق بشكل سليم، فلا تكاد تستبين الكلمات التي يتلفظ بها.

أخبرته: «أنا عميل سري بوكالة كونتينتال للتحريات، فرع سان فرانسيسكو. وصلَنا قبل يومين شيك من ولدك، وخطاب يطلب فيه رجلًا منا لإنجاز بعض الأعمال له. وقد أُوكِلت لي

تلك المهمة. وقد طلب مني أن أزوره في منزله ليلة البارحة. وقد لبيت طلبه لكنه لم يحضر. وحين وصلت إلى وسط المدينة، علمت بأنه قُتل.»

رمقني إيليو ويلسون بنظرات رِيبة، وسأل:

«حسنًا، وماذا في ذلك؟»

«لما كنت في انتظاره، وردَ اتصال هاتفي إلى كَنَّتك، وخرجَت بعده، ثم عادت وفي نعلها شيء يشبه الدم، وأخبرتني أن زوجها لن يعود إلى المنزل. أما عن ولدك، فقد أُطلقَ الرصاص عليه في الساعة الحادية عشرة إلا الثلث. وهي خرجت في الساعة العاشرة والثلث، ثم عادت في الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق.»

استقام العجوز في جِلسته على السرير، وانهال بسيلٍ من الشتائم على كَنَّته. وحين نفدت منه الكلمات كان ما يزال يتبقى له قدر من النفَس. وقد استخدمه كي يصيح في وجهي:

«هل زُج بها في السجن؟»

قلت إنني لا أعتقد ذلك.

لم يَرُق له أن تبقى خارج السجن. وقد عبَّر عن ذلك ببذاءة. فقد صاح ببعض الكلمات التي لم تَرُقني، واختتم بالسؤال:

«وما الذي تنتظره بحق الجحيم؟»

لولا سنُّه ومرضه، لصفعته. ابتسمت وقلت:

«أنتظر الأدلة.»

«الأدلة؟ وما الأدلة التي تريدها؟ أنت ...»

قاطعت صراخه قائلًا: «لا تكن أحمق. ما الذي يدفعها إلى قتله؟»

«لأنها عاهرة فرنسية! لأنها ...»

ظهر السكرتير بوجهه المرتعب عند الباب.

زجره العجوز: «اخرج من هنا!» واختفى على إثر ذلك.

هنا سألته قبل أن يواصل فقرة صراخه: «هل هي غَيُور؟ وإذا لم تصرخ، فربما أتمكن من سماعك على أي حال. فقد تحسَّن سمعي كثيرًا، حيث إنني كنت أتناول الخميرة.»

وضع الرجل قبضتَي يدَيه على حدبتَين أحدثتهما فخذاه من تحت الغطاء، وتوجَّه بذقنه المربع نحوي.

وتحدَّث بنبرةٍ متأنية: «على الرغم من كبر سني واعتلال صحتي، فإن لديَّ رغبةً جامحة في أن أنهض وأركل أسفل ظهرك.»

لم أهتم لذلك وكررت سؤالي:

«هل هي غَيُور؟»

قال، ولكن من دون صياح: «نعم، كما أنها متسلطة ومنحلَّة، وميالة للشك، وطماعة ووضيعة، ومعدومة الضمير، ومخادعة وأنانية، وسيئة بكل المقاييس؛ إنها تجسيد لكل الصفات السيئة!»

«هل من أسباب وراء غيرتها؟»

تحدث بنبرة تختلجها المرارة: «أرجو أن تكون هناك أسباب لغيرتها. فأنا أكره أن أفكِّر في أن ولدي كان مخلصًا لها. ولكنه كان مخلصًا لها. فهذه الأفعال من شِيَمه.»

«ولكن ألَا تعرف أي أسباب تدفعها إلى قتله؟»

عاد إلى الصياح: «أتسألني عن الأسباب؟ ألم أقُل لك ...»

«بلى. ولكن هذه الأسباب لا تعني أي شيء. إنها أسباب سخيفة.»

رفس العجوز الغطاء عن ساقَيه وبدأ ينهض من السرير. ولكنه تراجع عن هذه الفكرة، ورفع وجهه المحتقن وصاح مناديًا:

«ستانلي!»

انفتح الباب ودخل السكرتير.

أمره سيده وهو يلوِّح بقبضته نحوي: «ارمِ هذا الوغد خارجًا!»

التفَت السكرتير نحوي. لذا هززت رأسي وأشرت عليه:

«خيرٌ لك أن تطلب المساعدة.»

قطَّب السكرتير جبينه. كنا في عمرٍ واحد تقريبًا. لكنه كان هزيلًا، وكان أطولَ مني، ولكنه أخف مني بنحو خمسين رطلًا. وبعض وزني البالغ مائة وتسعين رطلًا عبارة عن دهون، ولكن ليس كل الوزن بالتأكيد. حينئذٍ تململ السكرتير وابتسم معتذرًا، ثم انصرف.

قلت للعجوز: «أردت أن أقول لك إنني نويت الحديث مع زوجة ولدك هذا الصباح. ولكني رأيت ماكس ثيلر يدخل إلى المنزل، ولذا أجَّلت زيارتي.»

سحب إيليو ويلسون الغطاء بعناية على ساقَيه مرة أخرى، وأسند رأسه إلى الوسادة، وراح ينظر إلى السقف، وقال:

«آها، هكذا هي المسألة، أليس كذلك؟»

«هل من تفسير لذلك؟»

قال بنبرة تأكيد: «لقد قتلَته. هذا تفسير المسألة.»

سُمع نقر نعال في الصالة، ولكن كان إيقاعها أثقل من نعال السكرتير. وحين وقفت عند الباب، أردفت أقول:

«كنتَ تستغل ولدك لتسيير ...»

صاح العجوز فيمن يقف عند الباب: «اغرب من هنا! ولا تفتح ذلك الباب.» حملق في وجهي بسخطٍ واحتجَّ يسألني: «فيمَ كنتُ أستغلُّ ولدي؟»

«استغللتَه في أن يكون خنجرًا في ظهر ثيلر ويارد والفنلندي.»

«أنت كذاب.»

«أنا لم آتِ بشيءٍ من عندي. الناس كلها تتحدث في بيرسونفيل.»

«هذا كذب! أنا أعطيته إدارة الجريدة. وقد أدارها بالطريقة التي أرادها.»

«حريٌّ بك أن توضح المسألة لرفاقك في اللعب. هم سيصدِّقونك.»

«اللعنة على ما يصدقون! ما أقوله لك هو حقيقة الأمر.»

«وما الفائدة؟ لن يعود ولدك إلى الحياة لأنه قُتل خطأً ... إن كان قُتِل خطأً.»

«تلك المرأة قتلَته.»

«هذا مجرد احتمال.»

«اللعنة عليك وعلى احتمالاتك! لقد قتلَته.»

«هذا احتمال. ولكن ينبغي النظر إلى المسألة من زاويةٍ أخرى؛ الغاية السياسية. هلَّا تخبرني ...»

«أنا أقول لك إن تلك العاهرة الفرنسية قتلَته، وأقول لك إنه لا وجود للأفكار الخرقاء الأخرى التي تدور في ذهنك.»

قلت مصرًّا: «ولكن ينبغي النظر فيها. وأنت تعرف بواطنَ السياسة في بيرسونفيل أفضل من أي شخصٍ يمكن أن أقابله. فالقتيل كان ولدك. وأقل ما يمكن أن تفعله ...»

صرخ قائلًا: «أقل ما يمكنني فعله هو أمرك بالرجوع إلى سان فرانسيسكو، وأن تأخذ معك أفكارك الخرقاء ...»

نهضت وقلت بنبرةٍ حادة:

«أنا في فندق «جريت ويسترن». ولا تزعجني حتى تكون عندك الرغبة في الحديث بجديةٍ على سبيل التغيير.»

خرجت من غرفة النوم ونزلت السُّلم. ووجدت السكرتير يتردَّد عند الدرجة الأخيرة ويبتسم معتذرًا.

قلت مدمدمًا: «عجوز فظٌّ ومثير للمتاعب.»

قال مغمغمًا: «إنه شخصية حيوية إلى حدٍّ كبير.»

* * *

في مكتب جريدة «هيرالد»، فتَّشت عن سكرتيرة القتيل حتى عثرت عليها. كانت فتاة صغيرة في التاسعة عشرة أو العشرين من عمرها، عيناها واسعتان بلون كستنائي، شعرها حنطيٌّ، وجهها أبيض جميل. وتُدعَى لويس.

قالت إنها لا تعرف شيئًا عن استدعاء صاحب عملها لي إلى بيرسونفيل.

قالت موضحةً: «ولكن السيد ويلسون لم يكن يحب أن يبوح بأسراره لأحد ما دام باستطاعته ذلك. إنه ... لا أعتقد أنه كان يثق بأحدٍ هنا على الإطلاق.»

«ولا حتى أنتِ؟»

احمرَّ وجهها وقالت:

«كلا. وبالطبع لأنه جاء إلى هنا منذ فترة قصيرة ولم يعرف أيًّا منا جيدًا.»

«لا بد أن الأمر ينطوي على ما هو أكثر من هذا.»

عضَّت على شفتها، ونقرت بسبَّابتها على مكتب القتيل المصقول حتى خلَّفت بصماتِها عليه: «في الواقع، والده ... لم تكن تروقه أفعال ولده. وبما أن والده هو صاحب الجريدة، فأعتقد أنه من الطبيعي أن يعتقد السيد دونالد أنَّ بعض الموظفين موالون للسيد إيليو أكثر منه.»

«أكان العجوز غير داعم لحملة الإصلاح؟ فلماذا لم يوقفها ما دام يملك الجريدة؟»

أومأت برأسها، وأخذت تنظر إلى بصمات إصبعها التي طبعتها. ثم تحدثت بصوت منخفض.

«لن يكون الفهم سهلًا حتى تعلم ... في آخر مرة أُصيبَ فيها السيد إيليو بالمرض، أرسل إلى دونالد ... إلى السيد دونالد. كان السيد دونالد قد عاش معظم حياته في أوروبا كما تعرف. وقد أخبر الطبيب برايد السيد إيليو أنَّ الأَولى له أن يترك إدارة أعماله؛ ولذا أرسل تلغرافًا إلى ولده كي يحضر. ولكن حين حضر السيد دونالد، لم يستطع السيد إيليو أن يتخذ قرارًا بنفض يده وترك كل شيء. لكنه أراد أن يبقى السيد دونالد هنا؛ ولذا أعطاه إدارة الجريدة ... بمعنى أنه أصبح مدير النشر. راق الأمرُ السيدَ دونالد. فقد كان مهتمًّا بالصحافة في باريس. ولما رأى مدى فظاعة كل الأمور الجارية هنا ... في المسائل المدنية وغيرها ... بدأ حملة الإصلاح تلك. لم يعلم أنه ... لقد كان خارج البلاد منذ أن كان صبيًّا ... فلم يعلم أنه ...»

ساعدتُها بأن أكملتُ: «لم يعلم أن والده متورِّط مثل أي شخص آخر.»

بدا عليها الارتباك قليلًا وهي تنظر إلى بصمات إصبعها، ولم تعارضني، وأردفَت تقول:

«تشاجَر معه السيد إيليو. وأخبره السيد إيليو أن يتوقف عن إثارة المتاعب، لكنه لم يتوقف. لربما توقف لو عرف ... كل ما كان يجب معرفته. ولكن لا أظن أنه خطر بباله أن والده متورِّطٌ إلى هذا الحد الخطير حقًّا. كذلك ما كان والده سيخبره. أعتقد أنه من الصعب على الوالد أن يخبر ولده شيئًا كهذا. وقد هدَّد السيدُ إيليو ابنَه بأنه سيأخذ إدارة الجريدة منه. لكني لا أعرف هل قصد ما قاله فعلًا أم لا. لكنه تعرض لوعكة صحية أخرى، وبقي كل شيء على حاله.»

سألت: «أأطلعكِ دونالد ويلسون على شيء؟»

كاد صوتها يكون همسًا: «كلا.»

«إذن، من أين علمتِ كل هذا؟»

قالت بنبرة جادَّة: «أنا أحاول ... أحاول أن أساعدك في معرفة القاتل. ولا يحق لك أن ...»

قلت مصرًّا: «ستساعدينني أكثر الآن إذا قلتِ لي مِن أين حصلتِ على هذه المعلومات.»

حملقَت في المكتب، وأخذَت تعضُّ على شفتها السفلى. وانتظرتها كي تتحدث. بعدها بقليل قالت:

«والدي هو سكرتير السيد ويلسون.»

«شكرًا.»

«لكن لا يجدر بك أن تظننا ...»

طمأنتها: «هذه مسألة لا تعنيني. ما الذي كان يفعله ويلسون في شارع هريكين ليلة البارحة، في الوقت الذي كان بيننا موعدٌ في منزله؟»

قالت إنها لا تعرف. حينها سألتها إن كانت سمعَته وهو يخبرني — عبر الهاتف — أن أزوره في منزله في الساعة العاشرة. وقد أجابتني أنها سمعته.

«ما الذي فعله بعد ذلك؟ حاولي أن تتذكري كل ما قيل أو حدث مهما كان صغيرًا، منذ اتصاله بي حتى مغادرتكِ المكتبَ في نهاية يوم عملك.»

أسندَت ظهرها على الكرسي، وأغمضت عينَيها، وقطَّبت جبينها.

«أنتَ اتصلت — إن كنتَ مَن أخبَره أن يزوره في منزله — نحو الساعة الثانية. بعد ذلك، أملَى السيد دونالد بعض الخطابات؛ واحدًا إلى مصنع ورق، وواحدًا إلى السيناتور كيفر يخبره ببعض التغييرات في لوائح مكتب البريد، و... أوه، نعم! خرج لمدة عشرين دقيقة تقريبًا، قبل الساعة الثالثة بقليل. وقبل أن يخرج، حرَّر شيكًا.»

«باسم مَن؟»

«لا أعلم، ولكني رأيته وهو يكتبه.»

«أين دفتر شيكاته؟ هل يحمله معه؟»

«إنه هنا.» نهضَت مسرعةً واستدارَت إلى المكتب من الأمام، وحاولَت فتح الدرج العلوي. «إنه مقفل.»

انضممت إليها، وقوَّمت مشبكًا من السلك واستخدمته مع نصل سكين معي، وفتحت الدرج عَنوة.

أخرجَت الفتاة دفتر شيكات رفيعًا منبسطًا خاصًّا بالبنك الوطني الأول. وكان آخر كعب مؤشَّرًا بمبلغ خمسة آلاف دولار. ولا شيء غير ذلك. فلا يوجد اسم. ولا يوجد تعقيب.

سألت: «هل خرج ومعه هذا الشيك وغاب مدة عشرين دقيقة؟ وهل هذه المدة كافيةٌ لأن يذهب إلى البنك ويعود؟»

«لن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق كي يصل إلى البنك.»

«ألم يحدث شيء آخر قبل أن يكتب هذا الشيك؟ تذكري. ألم تصله أي رسالة؟ أو خطابات؟ أو مكالمات هاتفية؟»

«دعني أتذكر.» أغمضَت عينَيها مرة أخرى. «كان يُملي بريدًا ثم ... أوه، ما أغباني! أجرى مكالمةً هاتفية. وقال فيها: «نعم، يمكنني أن أكون هناك في الساعة العاشرة، ولكن ينبغي أن أسرع في العودة.» ثم قال مرة أخرى: «حسنٌ إذن، في الساعة العاشرة.» كان هذا كل ما قاله، غير أنه قال: «نعم، نعم» عدة مرات.»

«هل كان يتحدث إلى رجل أم امرأة؟»

«لم أعلم.»

«فكِّري. سيكون ثمة اختلاف في نبرة صوته.»

فكَّرَت وقالت:

«إذن، كانت امرأة.»

«أيكما — أنتِ أم هو — الذي غادر المكتب أولًا في المساء؟»

«أنا غادرت أولًا. إنه ... أخبرتك أن والدي سكرتير السيد إيليو. فقد رتَّب موعدًا مع السيد دونالد في وقت مبكِّر من المساء ... وكان الموعد بشأن الأمور المالية في الجريدة. أتى الوالد بعد الساعة الخامسة بقليل. أعتقد أنهما عزما على العشاء معًا.»

كان هذا كل ما في جَعبة الفتاة لويس. قالت إنها لا تعلم شيئًا يمكن أن يفيد في تفسير وجود ويلسون في المربع السكني رقم ١١٠٠ في شارع هريكين. كذلك أقرَّت أنها لا تعرف شيئًا عن السيدة ويلسون.

فتَّشنا مكتب القتيل، ولكننا لم نعثر على شيء يمكن أن يفيدنا بمعلومات. صعدتُ إلى مكتب الفتيات العاملات في تحويل المكالمات، ولكن لم أخرج بمعلومة. قضيت ساعة أحقق مع المراسلين والمحررين المحليين وغيرهم، ولكن لم تثمر جهودي النتيجة المرجوَّة. فالقتيل — كما قالت سكرتيرته — كان حريصًا على إبقاء أموره طيَّ الكتمان.

الفصل الثالث

دينا براند

في البنك الوطني الأول، توصلتُ إلى مساعد صراف اسمه ألبوري، وهو شاب أشقر بهيُّ الطلعة، في الخامسة والعشرين من عمره أو نحو ذلك.

بعدما شرحت له ما أقوم به، قال: «صدَّقت على الشيك لويلسون. وقد سُحب باسم دينا براند ... والمبلغ المسحوب خمسة آلاف دولار.»

«هل تعرف مَن هي؟»

«أوه، نعم! أعرفها.»

«هل تمانع في أن تخبرني ما تعرفه عنها؟»

«لا أمانع مطلقًا. بل يسرني ذلك، ولكني حاليًّا متأخر ثماني دقائق عن الاجتماع مع ...»

«هلا تتناول العشاء معي مساء اليوم، وتُعطيني ما لديك من معلومات؟»

قال: «لا بأس بذلك.»

«هل تناسبك الساعة السابعة في فندق «جريت ويسترن»؟»

«نعم تناسبني.»

«سأرحل الآن وأتركك تدرك اجتماعك، ولكن أخبرني هل لديها حساب في البنك هنا؟»

«نعم، وأودعت الشيك صباح اليوم. وقد أصبح الشيك في حيازة الشرطة.»

«أحقًّا؟ وأين تسكن؟»

«١٢٣٢ شارع هريكين.»

قلت: «حسنًا، حسنًا! أراك الليلة»، وانطلقت في طريقي.

تابعت إلى محطتي التالية؛ وهي مكتب رئيس الشرطة في مبنى البلدية.

كان نونان رئيس الشرطة رجلًا سمينًا بعينَين لامعتَين مائلتَين إلى اللون الأخضر، ووجهٍ مستدير بَشوش. وحين أخبرته بمهمتي في مدينته، بدا مسرورًا بذلك. وقد صافحني وقدم لي سيجارًا وأجلسني.

حين استقر بنا المجلس، قال: «والآن، أخبرني مَن له يد في الحادث؟»

«السر عندي في بئر.»

قال بنبرة مرحة وهو ينفث الدخان: «عندك وعندي. ولكن ما تخمينك؟»

«لستُ ماهرًا في التخمينات، لا سيما حين تخلو جَعبتي من الوقائع.»

قال: «لن يستغرق سرد الوقائع وقتًا طويلًا. كتب ويلسون شيكًا بخمسة آلاف دولار باسم دينا براند، وقد صُدِّق عليه أمسِ قبل أن يُغلَق البنك مباشرةً. والبارحةَ، قُتل برصاصات عيار ٣٢ملم على مسافة أقل من مربع سكني من منزلها. كذلك رأى الناس الذين سمعوا إطلاق النار رجلًا وامرأة ينحنيان على الجثة. وفي الصباح الباكر اليوم، أودعت دينا براند الشيك المذكور في ذلك البنك. ما قولك؟»

«مَن هي دينا براند؟»

نفض رئيس الشرطة رماد سيجاره في وسط المكتب، ولوَّح بالسيجار في يده السمينة، وقال:

«يمامة غير عفيفة — كما يمكن أن نسميها — محتالة من طبقة عليا، واستغلالية على نطاق واسع.»

«هل استجوبتها؟»

«لا. فهناك وجهتا نظرٍ ينبغي مراعاتهما أولًا. ونحن نُبقيها تحت المراقبة وننتظر. ما أخبرتك به الآن سرٌّ بيننا.»

«حسنًا. والآن، أنصت لما سأقوله»، وأخبرته بما رأيته وما سمعته لما جلست منتظرًا في منزل دونالد ويلسون البارحةَ.

حين انتهيت، ضم رئيس الشرطة فمه السمين وأصدر صفيرًا خافتًا، وقال متعجبًا:

«يا رجل، ما أعجبَ ما أخبرتني به! أكان على نعلها دم؟ وقالت إن زوجها لن يعود إلى المنزل؟»

أجبت عن السؤال الأول: «هذا ما بدا لي»، وأجبت عن السؤال الثاني: «نعم.»

سأل: «هل أجريت أي حديث معها منذ ذلك الحين؟»

«لا. عزمت على الحديث معها صباح اليوم، ولكن سبقني شاب اسمه ثيلر ودخل إلى المنزل قبلي؛ ومن ثَم عدَلتُ عن الزيارة.»

بدت السعادة في لَمَعان عينَيه الخضراوَين. «يا للمفاجأة! هل تقول لي إن ويسبر كان هناك؟»

«نعم.»

رمى سيجاره على الأرض ووقف، ثم استند على يدَيه السمينتَين على سطح المكتب، ومال عليهما وتوجَّه نحوي بوجهه، وكانت السعادة تتناثر من كل جسده.

غمغم قائلًا: «يا رجل، لقد أنجزت الكثير. فدينا براند امرأة ويسبر. هيا بنا أنا وأنت نذهب إلى الأرملة ونتحدث إليها.»

* * *

نزلنا من سيارة رئيس الشرطة أمام منزل السيدة ويلسون. توقف رئيس الشرطة مدة ثوانٍ وقدمُه على الدرجة الأولى، وأخذ ينظر إلى قطعة قماش الكريب الأسود المعلَّقة فوق الجرس. قال: «حسنٌ، ينبغي القيام بما ينبغي القيام به»، وصعدنا الدرج.

لم ترغب السيدة ويلسون في مقابلتنا، ولكن الناس عادةً ما يرضخون إلى مقابلة رئيس الشرطة إذا أصرَّ. وهذا ما حدث هذه المرة. اصطُحِبنا إلى الطابق العلوي حيث تجلس أرملة دونالد ويلسون في المكتبة. رأيناها مرتدية ثياب الحداد السوداء. وكأن عينَيها الزرقاوَين فيهما جمود.

تناوبت أنا ونونان على تقديم التعازي، ثم استهلَّ قائلًا:

«أردنا فقط أن نطرح بعض الأسئلة. ومنها على سبيل المثال: أين كنتِ ليلة البارحة؟»

رمقتني بنظرةٍ تنمُّ عن عدم الرضا، ثم عادَت إلى رئيس الشرطة مقطِّبة جبينها، وتحدثت بنبرة استنكاف:

«هل لي أن أسأل عن سبب استجوابي بهذا الأسلوب؟»

تساءلت كم مرة سمعت ذلك السؤال، بنفس ترتيب الكلمات ونبرة الصوت، ولكن رئيس الشرطة تجاهل سؤالها وراح يتحدث بنبرة صوت متلطفة:

«ثم وردت أخبار عن تلطُّخ فردة من حذائك. اليمنى أو ربما اليسرى. إنها واحدة منهما على أي حال.»

بدأت شفتها العلوية ترتعش.

سألني رئيس الشرطة: «هل هذا كل شيء؟» وقبل أن أجيب، طقطق بلسانه، والْتفتَ بوجه متودِّد إلى المرأة مرة أخرى. «كدتُ أنسى. هناك مسألة أخرى وهي كيف عرفتِ أن زوجك لن يعود إلى المنزل.»

نهضَت مترنِّحةً وأمسكت بظهر كرسيها بإحدى يدَيها البيضاوَين. «أنا واثقة من أنك ستعذُر ...»

أبدى رئيس الشرطة إيماءةً تنمُّ عن مدى طيبة قلبه بيده المكتنزة باللحم. «لا بأس. فنحن لا نريد مضايقتك. لا نريد سوى معرفة أين كنتِ، ومسألة الحذاء، ومن أين علمتِ أن زوجَكِ لن يعود. ثم، وبعد التفكير في الأمر، هناك سؤال آخر ... ماذا أراد ثيلر بزيارته هنا صباح اليوم.»

جلست السيدة ويلسون مرة أخرى بصورة غاية في الصرامة. ونظر إليها رئيس الشرطة. لكن الابتسامة التي حاول أن تكون لطيفة أحدثت خطوطًا ونتوءات غريبة في وجهه السمين. وبعد فترة قصيرة بدأت كتفاها في الاسترخاء، وطأطأت رأسَها، وبدأ الانحناء يظهر في ظهرها.

وضعتُ كرسيًّا في الجهة المقابلة لها وجلست عليه.

تحدثت إليها، وحاولت جهدي أن أكون متعاطفًا: «عليكِ أن تخبرينا يا سيدة ويلسون. فلا بد من توضيح هذه الأمور.»

سألت بنبرة يتخلَّلها التحدي: «وهل تظن أن عندي ما أخفيه؟» وحينها استقامت في جِلستها وتخشبت مرة أخرى، وكانت تتلفظ بكل كلمة بدقة بالغة، باستثناء اللثغة البسيطة في حرف السين. «لقد خرجت بالفعل. والبقعة كانت دمًا. وعرفت أن زوجي مات. وأتى ثيلر كي يعزيني في زوجي. هل أجبت عن أسئلتكما الآن؟»

قلت: «نحن نعلم كل هذا. إننا نطلب منك تفسير هذه المسائل.»

وقفَت مرة أخرى، وقالت غاضبةً:

«أنا أكره أسلوبكما. وأنا أرفض أن أقدِّم ...»

قال نونان:

«لا بأس بذلك مطلقًا يا سيدة ويلسون، ولكن فقط سنُضطر إلى أن نطلب منك المجيء معنا إلى دار البلدية.»

أدارت له ظهرها وأخذت نفسًا عميقًا وتوجهت بالحديث إليَّ:

«لما كنا في انتظار دونالد هنا، تلقيت مكالمة هاتفية. كان المتصل رجلًا، ولكنه لم يفصح عن اسمه. قال إن دونالد ذهب إلى منزل امرأة اسمها دينا براند ومعه شيك بقيمة خمسة آلاف دولار. ثم أعطاني عنوانها. حينها أخذت السيارة وذهبت إلى هناك وانتظرت في الشارع حتى خرج دونالد.

ولما كنت في انتظاره هناك، رأيت ماكس ثيلر حيث إنني أعرفه شكلًا. ذهب إلى منزل المرأة، لكنه لم يدخل. بل ابتعد عن المنزل. بعد ذلك، خرج دونالد ومشى في الشارع. بالطبع لم يرني. وما أردت أن يراني. وعزمت على العودة إلى المنزل ... بحيث أصل قبله. وما إن أدرت محرك السيارة حتى سمعت إطلاق النار، ورأيت دونالد وهو يسقط على الأرض. خرجت من السيارة وجريت صوبه. ولكني وجدته قد فارق الحياة. كنت في حالة من التوتر الشديد. بعد ذلك أتى ثيلر. قال إن رآني أحدٌ في المكان، فسيظن أنني قتلته. وجعلني أركض إلى السيارة وأعود إلى المنزل.»

اغرورقت عيناها بالدموع. ومن بين الدموع، أخذت عيناها تتفحَّص وجهي، تحاول على ما يبدو أن تعرف كيف وجدتُ روايتها. ولكني لم أتفوَّه بشيء. عندئذٍ سألَت:

«هل هذا ما أردتما معرفته؟»

كان نونان قد سار عبر أرجاء الحجرة إلى أحد جوانبها. قال: «غالبًا. ما الذي قاله ثيلر حين أتى ظهر اليوم؟»

كان صوتها قد هدأ وأصبحت نبرته رتيبة. وذلك حين قالت: «حثَّني على ألَّا أبوح بشيء. قال إنه ربما يُشتبَه في أحدنا أو كلَينا إذا علم أحدٌ أننا كنا في المكان؛ لأن دونالد قُتل لما خرج من منزل المرأة بعدما أعطاها الأموال.»

سأل الرئيس: «من أين جاءت الطلقات؟»

«لا أعلم. لم أرَ شيئًا ... باستثناء ... أنني حين رفعت نظري ... رأيت دونالد يخرُّ.»

«هل ثيلر هو من أطلقها؟»

ردت مسرعةً: «لا.» ثم اتسعت حدَقتا عينَيها وفتحت فمها. ووضعت يدها على صدرها. «لا أعلم. لم أظن ذلك، وهو قال لي إنه لم يقتله. ولا أعلم أين كان حينها. ولا أعرف لماذا لم أفكر مطلقًا في أنه ربما يكون هو القاتل.»

سأل نونان: «وما رأيكِ الآن؟»

«ربما ... ربما يكون هو الجاني.»

غمز لي رئيس الشرطة غمزةً قويةً استخدم فيها كل عضلات وجهه، وعاد بالحديث إلى نقطةٍ متأخرةٍ أكثر:

«ألا تعلمين من الذي اتصل بك؟»

«لم يفصح عن اسمه.»

«ألم تتعرَّفي صوته؟»

«نعم لم أفعل.»

«كيف كان صوته؟»

«كان يتحدث بصوتٍ منخفض، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد. وقد واجهتُ صعوبةً في فهمه.»

«هل كان يتحدَّث هامسًا؟» أبقى رئيس الشرطة فمه مفتوحًا مع خروج آخر صوتٍ منه. ولمعت عيناه الخضراوان بشراهةٍ بين طيات دهون وجهه.

«نعم، كان همسًا، وفيه بحَّة.»

أطبق رئيس الشرطة فمه، ثم فتحه مرة أخرى ليتحدث في استمالة: «لقد استمعتِ إلى صوت ثيلر ...»

فزعت المرأة وأخذت تحدِّق بعينَين واسعتَين إلى رئيس الشرطة أولًا، ثم إليَّ.

ثم صاحت: «نعم، إنه هو. إنه هو.»

* * *

كان روبرت ألبوري — الشاب مساعد الصراف في البنك الوطني الأول — جالسًا في الرواق حين عدت إلى فندق «جريت ويسترن». صعدنا إلى غرفتي، وطلبتُ إحضار بعض الماء المثلَّج، واستخدمنا الثلج في تبريد شراب الاسكوتش وعصير الليمون وشراب الرمان، ثم نزلنا إلى صالة الطعام.

قلت حين كنا نحتسي المرقة: «والآن، أخبرني عن السيدة.»

سأل: «هل رأيتها من قبل؟»

«ليس بعد.»

«ولكن ألم تسمع أي شيء عنها؟»

«لم أسمع غير أنها بارعة فيما تقوم به.»

وافقني في ذلك؛ إذ قال: «نعم هي كذلك. وأعتقد أنك ستراها. ستُصاب بالإحباط للوهلة الأولى. ثم — ومن دون أن تعرف كيف ومتى حدث هذا — ستجد أنك نسيت ما أصابك من إحباط، ولن تشعر إلا وأنت تخبرها بتاريخ حياتك وبمشكلاتك وآمالك.» ثم ضحك وعلى مُحيَّاه خجل صبياني. وأضاف: «ثم ستأسرك بسحرها، لا محالة أنها ستأسرك.»

«أشكرك على التحذير. لكن كيف حصلت على هذه المعلومات؟»

ارتسمت على شفتَيه ابتسامة خجلٍ خلف ملعقة المرقة المعلَّقة، واعترف قائلًا:

«لقد دفعتُ ثمنها.»

«إذن، لا بد أنها كلَّفتك مبلغًا كبيرًا. فقد سمعت أنها تحب المال.»

«إنها تعبده، ولكن لسبب أو لآخر لن يزعجك هذا. إنها جشعة للمال، بل شرهة، ولا تستنكف أن تصرح بذلك، لدرجة أنك لن تستهجن ذلك. ستعرف ما أقصد حين تتعرَّف إليها.»

«ربما. هل تمانع في أن تخبرني كيف افترقتَ عنها؟»

«لا مانع لديَّ بالطبع. لقد نفد مالي، وهكذا افترقنا.»

«من دون أن تأبه لشيء؟»

احمر وجهه قليلًا. وأومأ برأسه.

قلت: «يبدو أنك تقبَّلت المسألة بصدر رحْب.»

«لم يكن هناك بدٌّ من ذلك.» ثم ازدادت حمرة وجهه اليافع الوسيم، وخالَج التردُدُ نبرةَ صوته. وأضاف: «في الحقيقة، إنني مدين لها بذلك. إنها ... سأفصح لك. أريدك أن ترى هذا الجانب فيها. كان معي قليل من المال. وبعد أن نفد مني ... لا بد أن تتذكر أني كنت شابًّا وغارقًا في حبها. بعدما نفد مالي، كان أمامي مال البنك. لقد ... لا يهمك إن كنتُ ارتكبتُ شيئًا بالفعل أم كان مجرد تفكير. على أي حال، علمَت هي بذلك. فلم أكن أخفي عنها أي شيء. وهذه كانت النهاية.»

«هل أنهت علاقتها معك؟»

«نعم، والحمد لله على ذلك! ولولا أنها أنهت علاقتها معي، فلربما كنتم تبحثون عني الآن ... بتهمة الاختلاس. هذا ما أدين لها به!» ثم قطَّب جبينه في جدِّية. وقال: «لا تذكر شيئًا عن ذلك ... أنت تعرف قصدي. ولكني أردت أن أخبرك أن فيها صفات صالحة أيضًا. حيث إنك ستسمع كثيرًا عن صفاتها السيئة.»

«ربما هي كما تظن. أو ربما ارتأت أن الأمر لا يستحق المجازفة بأن تقع في المتاعب.»

قلَّب المسألة في ذهنه ثم هز رأسه.

«ربما ما قلته هو أحد الأسباب، ولكنه ليس كل الأسباب.»

«نمَا إليَّ أنها تتعامل بمبدأ الدفع أولًا.»

سأل: «هل تعرف دان رولف؟»

«مَن هو؟»

«يقال إنه أخوها، أو أخوها غير الشقيق، أو شيء من هذا القبيل. ولكنه ليس كذلك. بل إنه مشرَّد ومُعدِم ... كما أنه مريض بالسُّل. وهو يعيش معها. وهي ترعاه. كذلك العلاقة بينهما ليست علاقة حب أو شيء من ذلك. بل إنها وجدَته في مكانٍ ما وآوَته.»

«هل لديك معلومات أخرى؟»

«يوجد شابٌّ ثوريٌّ اعتادت أن تصحبه هنا وهناك. ولكن ربما لم تخرج منه بمالٍ كثير.»

«مَن هذا الشاب الثوريُّ؟»

«إنه شابٌّ أتى إلى هنا في فترة الإضراب ... واسمه كوينت.»

«هل أفهم من ذلك أنه على قائمتها؟»

«يُظَن أن هذا سبب بقائه هنا بعد انتهاء الإضراب.»

«إذن ما يزال ضمن قائمتها؟»

«لا. فقد أخبرتني أنها تخافه. فقد هدَّدها بالقتل.»

قلت: «يبدو أنها تستطيع التحكم في الجميع في وقت أو آخر.»

قال، ولكن بنبرة جادة: «كل من تريده.»

سألت: «هل دونالد ويلسون آخرهم؟»

قال: «لا أعلم. فأنا لم أسمع أي شيء عنهما، ولم أرَ أي شيء على الإطلاق. وقد طلب منا رئيس الشرطة أن نحاول البحث عن أي شيكات ربما كتبها لها قبل أمس، ولكننا لم نعثر على شيء. لا أحد يتذكر أنه رأى أي شيكات.»

«من هو آخر زبون لها، على حد علمك؟»

«في الآونة الأخيرة، رأيتها تتجول في المدينة كثيرًا مع شاب اسمه ثيلر؛ إنه يُدير صالتَين للقمار هنا. ويُناديه الناس باسم ويسبر. أظن أنك سمعت عنه.»

* * *

في الساعة الثامنة والنصف، تركت الشاب ألبوري وانطلقت إلى فندق «ماينرز» في شارع فورست. وعلى مسافة نصف مربع سكني من الفندق قابلت بيل كوينت.

ألقيت عليه التحية: «مرحبًا! كنت في طريقي إليك كي أراك.»

وقف أمامي ونظر إليَّ من رأسي إلى قدميَّ، ثم تمتم:

«إذن فأنت محقق.»

قلت متذمرًا: «للأسف. جئت كل هذه المسافة لأتحدث معك، وأنت تعرف هذا بالفعل.»

سأل: «ما الذي تريد معرفته الآن؟»

«أريد معلومات عن دونالد ويلسون. كنت تعرفه، أليس كذلك؟»

«نعم كنت أعرفه.»

«كنتما على صلة وثيقة؟»

«كلا.»

«ماذا كان رأيك فيه؟»

زمَّ شفتَيه القاتمتَين وأخرج نفسًا قويًّا من بينهما، ما أصدر صوتًا يُشبه تمزيق قطعة قماش، ثم قال:

«ليبرالي حقير.»

سألت: «هل تعرف دينا براند؟»

«نعم أعرفها.» أمسَت رقبته أقصر وأثخن مما كانت قبلُ.

«هل تظن أنها قتلَت ويلسون؟»

«بالتأكيد. فلا يمكن لأحدٍ أن يتوقَّع ما يمكنها فعله.»

«إذن فأنت لم تقتله؟»

قال: «بل فعلتُ، اشتركنا معًا في قتله. هل لديك أي أسئلة أخرى؟»

«نعم، ولكني سأوفر طاقتي. فأنت فقط تكذب عليَّ.»

عُدت إلى شارع برودواي وأوقفت سيارة أجرة، وأخبرت السائق أن يوصلني إلى ١٢٣٢ بشارع هريكين.

الفصل الرابع

شارع هريكين

عمَدتُ إلى بيتٍ ريفي تطوِّقه مساحة ترابية. وحين ضربت جرس الباب، فتح الباب رجلٌ نحيلٌ يبدو على وجهه التعب، وانتشر فيه الشحوب إلا في موضع أحمر اللون بحجم عملة نصف الدولار في أعلى كل وجنة. وخطر على بالي أنه دان رولف المصاب بمرضٍ في الرئة.

أخبرته: «أودُّ أن أقابل الآنسة براند.»

«أقول لها مَن؟» كان صوته ينمُّ عن أنه رجلٌ مريض وينم عن أنه متعلم.

«لن يهمها هذا. أريد أن أقابلها بشأن موت ويلسون.»

نظر إليَّ بعينَين سوداوَين هادئتَين ومتعبتَين، وقال:

«نعم؟»

«أنا من مكتب سان فرانسيسكو التابع لوكالة كونتينتال للتحريات. ونحن مهتمون بمقتل دونالد.»

قال ساخرًا: «هذا جميل منكم. تفضل.»

دخلت إلى غرفة بالطابق الأرضي، حيث تجلس امرأة شابة إلى طاولة عليها الكثير من الأوراق. كانت بعض هذه الأوراق عبارة عن نشرات للخدمات المالية، وتوقعات أسواق الأسهم والسندات. وكانت إحداها مخطَّط سباقات.

رأيت الغرفة غير مرتبة وفوضوية. فقد حوت العديد من قطع الأثاث، ولا توجد قطعة في مكانها المناسب.

قدَّمني صاحب مرض الرئة: «دينا، أتى هذا السيد من سان فرانسيسكو باسم وكالة كونتينتال للتحريات، للتحقيق في موت السيد دونالد ويلسون.»

نهضت الشابة، ورفَسَت جريدتَين من طريقها، وأتَت نحوي وهي تمدُّ إحدى يدَيها.

كانت أطول مني بمقدار بوصة أو بوصتين، وبذلك فطولها نحو خمس أقدام وثمانية إنشات. كتفاها عريضتان، وصدرها ممتلئ، وفخذاها مستديرتان، وساقاها قويتان. كانت يدها التي صافحتني بها ناعمة ودافئة وقوية. وجهها وجه فتاة في الخامسة والعشرين، ولكن تظهر عليه علامات الكِبَر. فقد ظهرت بعض التجاعيد البسيطة على جانبَي فمها الواسع ذي الشفتَين الممتلئتَين. كذلك بدأت خيوط خافتة في تشكيل شبكات حول عينَيها الكثيفتَي الأهداب. وكانت عيناها واسعتَين وزرقاوَين ومحمرَّتَين.

كان شعرها الكثيف — البني اللون — بحاجةٍ إلى التشذيب، وكان مُفترَقه يميل إلى أحد الجوانب. وكان ثمة أحمر شفاه على أحد جانبَي شفتها العلوية أعلى قليلًا من الجانب الآخر. قابلَتني بفستان غير جذاب، لونه لون النبيذ، وكان مفتوحًا من أحد جانبَيه، حيث إنها إما نسيَت أن تغلق السحابات أو إنها انفتحت. وأيضًا رأيت قَطعًا في أسفل جوربها الأيسر من الأمام.

هذه هي دينا براند التي تصطاد الرجال في بويزونفيل، على حد ما تنامَى إليَّ.

قالت بينما ترفع زوجًا من النعال الجلدية بخامة ممتازة، وفنجانًا وطبق فنجان عن الكرسي كي تفسح لي مكانًا: «لقد أتيتَ بناءً على طلب والده بالطبع.»

كان صوتها ناعمًا وخافتًا.

أخبرتها بالحقيقة:

«بل بناءً على طلب دونالد ويلسون. وقد كنت في انتظاره وقتما وقعت جريمة القتل.»

نادَت على رولف: «لا تذهب بعيدًا يا دان.»

عاد دان إلى داخل الغرفة. وعادت هي إلى مكانها إلى الطاولة. ثم جلس هو في الجهة المقابلة لها، واتكأ بذقنه النحيف على يده النحيلة، وأخذ ينظر إليَّ دون اهتمام.

عقدت ما بين حاجبَيها، ما أدَّى إلى تكوُّن ثَنْيتَين بينهما، وسألت:

«هل تعني أنه كان على علم بأن شخصًا ينوي قتله؟»

«لا أعلم. فهو لم يقل ما يريده. ربما لم يُرِد إلا المساعدة في حملة الإصلاح.»

«ولكن هل ...»

قاطعتها:

«ليس ممتعًا أن يكون المرء محققًا، ويأتي شخص آخر يسرق الدور ويضع نفسه موضع المحقق.»

قالت، وهي تضحك ضحكة صغيرة: «أود أن أعرف ما يجري.»

«أنا أيضًا أود أن أعرف. على سبيل المثال، أود أن أعرف لماذا جعلتِه يصدِّق على الشيك.»

تحرَّك دان رولف في مقعده بشكل عرَضي تمامًا، فمال إلى الخلف وأنزل يديه النحيلتَين تحت حافة الطاولة بعيدًا عن النظر.

سألت دينا براند: «أوَقد علمت ذلك؟» ثم وضعَت ساقها اليسرى فوق اليمنى وطأطأَت رأسها. ركزت عينَيها على القَطع في جوربها. وقالت شاكيةً: «أقسم أني لن أرتدي جوارب بعد الآن! سأمشي حافية. فقد دفعت خمسة دولاراتٍ في هذا الجورب. وانظر الآن إلى هذا الشيء اللعين. كل يوم ... يزداد قطعًا!»

قلت: «ليس الأمر سرًّا. أقصد الشيك، لا القطع. وقد علم نونان بهذه المسألة.»

نظرَت إلى رولف، إذ توقف عن إطالة النظر إليَّ بما يكفي لأن يومئ مرة.

قالت متشدِّقةً وهي تنظر إليَّ بعينين ضيقتين: «إذا تحدثت باللغة التي أفهمها، فربما أقدم لك بعض المساعدة.»

«ربما أتحدث بها إذا عرفتها.»

أفصحَت: «المال، كلما زاد كان أفضل. أنا أحب المال.»

أصبحت أتحدث بالحكمة:

«عدم التبذير يُكسِبك المال. يمكنني أن أساعدكِ على التوفير وتجنُّب الضوائق.»

قالت: «مقالتك لا تعني لي شيئًا، وإن كان القصد من ظاهرها هو ذلك.»

«أسألتك الشرطة عن أي شيءٍ بشأن الشيك؟»

هزَّت رأسها إشارةً إلى النفي.

قلت:

«يخطط نونان إلى أن يرمي التهمة عليكِ أنت وويسبر.»

تلعثمَت: «لا تُخِفني. فأنا ما زلت صغيرةً في السن.»

«نونان يعرف أن ثيلر على علم بأمر الشيك. ويعرف أيضًا أن ثيلر أتى إلى هنا حين زاركِ ويلسون هنا، ولكنه لم يدخل. إنه يعلم كذلك أن ثيلر كان يحوم في المنطقة حين أُطلقَ الرصاص على ويلسون. يعلم أيضًا أن ثيلر وامرأةً شوهِدا وهما ينحنيان فوق جثة القتيل.»

أخذت الفتاة قلم رصاص على الطاولة، وحكَّت به وجنتها وهي غارقة في التفكير. ومن ثَم أحدث القلم خطوطًا سوداء صغيرة متعرِّجة فوق الخد المتورِّد.

زال التعب عن عينَي رولف. ومن ثَم بدا اللمَعان والانفعال فيهما وقد ثبَّتهما عليَّ. انحنى إلى الأمام، ولكن بقيَت يداه مخفيَّتَين عن النظر أسفل الطاولة.

قال: «هذه الأشياء تخصُّ ثيلر ولا شأن للآنسة براند بها.»

قلت: «ثيلر والآنسة براند ليس أحدهما غريبًا عن الآخر. أحضر ويلسون شيكًا بقيمة خمسة آلاف دولار إلى هنا، ثُم قُتل وهو يغادر المكان. ولربما كانت الآنسة براند ستواجه صعوبات في صرف الشيك ... هذا لو لم يصدِّق ويلسون عليه.»

احتجَّت الفتاة: «رُحماك يا رب! لو كنت أنوي قتله، لقتلته هنا حيث لا يراني أحد، أو لانتظرت حتى يختفي عن الأنظار بعيدًا عن المنزل. هل تظنُّ أني غبية؟»

قلت: «لست متأكدًا من قتلكِ إياه. ولكني متأكد من أن رئيس الشرطة السمين ينوي أن يرمي التهمة عليكِ.»

سألَت: «وما الذي تحاول أن تفعله؟»

«أن أعرف القاتل. أنا لا أجري وراء احتمالات، بل أريد معرفة القاتل.»

قالت: «بإمكاني تقديم بعض المساعدة، ولكن يجب أن أحظى بمقابل نظير هذه المساعدة.»

ذكَّرتُها: «الأمان»، ولكنها هزَّت رأسها نافية.

«بل قصدت أن أحصل على مقابلٍ ماليٍّ. فإن ما عندي ذو أهميةٍ بالنسبة لك، وينبغي أن تدفع لقاءه، حتى وإن لم يكن الثمن كبيرًا.»

ابتسمت لها: «هذا غير ممكن. انسَي أمر الرصيد في البنك وافعليها بدافع الخير. اعتبريني بيل كوينت.»

نهض دان رولف من كرسيه وقد شحبت شفتاه مثل باقي وجهه. ثم عاد إلى الجلوس حين ارتسمَت على فم الفتاة ضحكةٌ صغيرةٌ ولطيفة.

«إنه يعتقد أنني لم أخرج بأي ربح من بيل يا دان.» انحنت إلى الأمام ووضعت يدًا على ركبتي. «لنفترض أنه قد نما إلى علمك، قبل وقت طويل بما يكفي، معلومات بأن موظفي شركةٍ ما ينوون القيام بإضراب، وتعلم كذلك موعده، ومتى سيوقفونه. فهل يمكنك أخذ هذه المعلومة ومبلغ من رأس المال إلى سوق الأسهم، وتحقيق ربح لنفسك من أسهم هذه الشركة؟ ستضارب بكل ما أوتيت من مهارة!» وأنهت حديثها بنبرة المنتصرة. فأضافت: «لذا، لا تظن أن بيل لم يحقق لي مكسبًا هو الآخر.»

قلت: «لقد بالغوا في تدليلك.»

تساءلَت: «وبماذا سيفيدك التقتير بحق الله؟ لا يبدو أنك ستُضطر إلى أن تدفع المال من جيبك. فأنت لديك حساب مصروفات، أليس كذلك؟»

لم أتفوَّه بكلمة. ومن ثَم قطَّبت جبينها لي، ونظرت إلى القطع في جوربها، ثم إلى رولف. وعندئذٍ قالت له:

«نرجو أن تهدأ أعصابه إذا تناول معنا مشروبًا.»

نهض الرجل النحيل وخرج من الغرفة.

عبست في وجهي، ونَخَست قصبة ساقي بإصبع قدمها، ثم قالت:

«المسألة ليست المال في حد ذاته. بل هو المبدأ. إذا كان لدى الفتاة شيءٌ ذو قيمةٍ عند شخص ما، فمن الحماقة ألَّا تأخذ ثمنًا نظيرَه.»

ابتسمتُ.

توسلَت إليَّ: «لماذا لا تكون رجلًا مطيعًا؟»

دخل دان رولف ومعه زجاجة صودا وزجاجة من شراب الجِن، وبعض الليمون، ووعاء به قطع ثلج. احتسى كل واحد منا شرابًا. ثم خرج صاحب مرض الرئة. وبينما احتسينا أنا والفتاة المزيد من الشراب، تجادلنا بشأن طلب المال. لذا حاولت أن أُبقي مجرى الحديث حول ثيلر وويلسون. ولكنها ظلت تغيره إلى المال الذي تريده. وظل الأمر على هذا المنوال حتى فرغت زجاجة شراب الجن. وحينها كانت ساعتي تعلن الواحدة والربع.

مضغَت قطعة من قشر الليمون وقالت للمرة الثلاثين، أو هي الأربعون:

«لن تدفع شيئًا من جيبك. فما الذي تهتم له؟»

قلت: «المسألة ليست المال في حد ذاته، بل هو المبدأ.»

ارتسمت تعابير السأم على وجهها، ووضعت كأسها حيث اعتقدت أن الطاولة قريبة منها. ولكنها أخطأت؛ إذ كانت على مسافة ثماني بوصاتٍ تقريبًا. لا أتذكر هل انكسرَت الكأس حين ارتطمَت بالأرض أم ماذا حدث لها. لكني أتذكر أني تحمست لما أخطأت الطاولة.

افتتحتُ مسارًا جديدًا للنقاش: «شيء آخر، لست متأكدًا إن كنتُ بحاجة إلى المعلومات التي لديكِ أم لا. وإذا اضطُررت إلى متابعة القضية من دونها، فأعتقد أني يمكنني ذلك.»

«جميل أن تتمكن من ذلك، ولكن لا تنسَ أنني آخر شخص رآه حيًّا، باستثناء القاتل أيًّا كان هو.»

قلت: «أنت مخطئة. فقد رأته زوجته خارجًا من عندك ويمشي بعيدًا، ثم وهو يخرُّ على الأرض.»

«زوجته!»

«نعم. انتظرَته جالسةً في سيارة كوبيه في الشارع.»

«وكيف عرفَت أنه هنا؟»

«تقول إن ثيلر أخبرها عبر الهاتف أن زوجها أتى إلى هنا ومعه شيك.»

قالت الفتاة: «أنت تحاول أن تمزح معي. فلا يمكن أن يكون ماكس قد عرف ذلك.»

«أنا أقول لكِ ما قالَته السيدة ويلسون لنونان ولي.»

لفظت الفتاة ما تبقَّى من قشر الليمون على الأرض، ونكشت شعرها أكثر لما مرَّرت أصابعها بين خصلاته، ومسحَت فمها بظهر يدها، وضربَت بيدها على الطاولة.

قالت: «حسنًا أيها السيد اللوذعي، سأدخل معك في لعبة. ربما تظن أنك لن تتكلف شيئًا، ولكني سأحصل على ما أريد قبل أن ننتهي. ألا تظن أني سأفعل؟» كانت تتحداني، وأخذت تنظر إليَّ وكأن بيني وبينها مسافة طويلة.

لم يكن الوقت مؤاتيًا لاستئناف الحديث بشأن المال؛ لذا قلت: «أرجو لك ذلك.» أظن أني قلتها ثلاثًا أو أربعًا بجدية تامة.

«سأفعل. اسمعني الآن. أنت ثمل، وأنا ثملة، بل إني ثملة لدرجة أنه يمكنني أن أخبرك بأي معلومة تريد معرفتها. هكذا أنا. إذا أعجبني شخص، فإني أخبره بكل ما يريد معرفته. سَلْني فقط. هيا سلني.»

سألتها:

«لماذا أعطاكِ ويلسون شيكًا بخمسة آلاف دولار؟»

«من أجل التسلية.» أسندت ظهرها وضحكت. ثم قالت: «اسمع. كان ويلسون يبحث عن الفضائح. وأنا عندي قدر منها، بالإضافة إلى بعض الإقرارات الخطية والأشياء التي اعتقدت أنها تصلح للمقايضة يومًا ما. إني فتاة تحب الحصول على بعض المال إذا أتتها الفرصة لذلك. لذا احتفظت بهذه الأشياء. وعندما بدأ دونالد الصيد، جعلته يعرف أن عندي ما يصطاد، وأني مستعدة لبيعه. وقد أعطيته قدرًا كافيًا من التلميحات بحيث يعرف أنها معلومات تستحق ثمنها. وهي تستحقه فعلًا. ومن بعدها تحدثنا عن الثمن. لم تكن يده مغلولة مثلك — لم يشبهك أحد في هذا — ولكنه كان متحفظًا نوعًا ما. ومن ثَم ظلت الصفقة معلَّقة حتى أمسِ.

ومن ثَم دفعتُه إلى عقد الصفقة؛ إذ اتصلت به هاتفيًّا وأخبرته أن عندي زبونًا آخر يريد شراء البضاعة التي عندي؛ ومن ثَم إذا كان بحاجة إليها فعليه أن يأتيني الليلة ومعه إما خمسة آلاف دولار نقدًا أو شيك مصدَّق بالقيمة نفسها. كان هذا هراءً، ولأنه لم يعشْ هنا مدة طويلة، فقد انطلت عليه اللعبة.»

سألتها: «ولماذا الساعة العاشرة؟»

«ولماذا لا تكون الساعة العاشرة؟ هذا الموعد جيد مثل بقية المواعيد. أهم ما في هذه الصفقات أن يُعيَّن لها موعد محدد. والآن، تريد أن تعرف لماذا أردت المبلغ نقدًا أو شيكًا مصدَّقًا؟ حسنًا، سأخبرك. سأخبرك بأي شيءٍ تريد معرفته. هكذا أتعامل. وهكذا كنت أتعامل دائمًا.»

ظلت على هذه الحال لمدة خمس دقائق، تخبرني بالتفصيل عن خصالها، وأنها ما بَرِحت تتخلَّق بهذه الخصال، ولماذا أصبحت هكذا. وظللتُ أردُّ عليها بنعم، حتى أتت الفرصة كي أقاطعها:

«حسنًا، ولماذا طلبتِ أن يكون الشيك مصدَّقًا؟»

أغلقت عينَيها وأخذت تشير بسبابتها نحوي وقالت:

«حتى لا يتمكن من إيقاف صرف الشيك. ولأنه لن يستطيع استغلال ما بعتُه له. إنها بالطبع بضاعة قيِّمة. بل كانت قيمة جدًّا. وهي من شأنها أن تضع والده العجوز في السجن مع بقيتهم. هذه البضاعة من شأنها أن ترمي والده إيليو خلف القضبان مدة أطول من أي شخص آخر.»

ضحكتُ معها وأنا أحاول أن أحافظ على وعيي بعدما أسرفتُ في الشراب.

سألتها: «ومن هم الآخرون الذين يمكن أن يُنال منهم؟»

لوَّحت بيدها وقالت: «كل القوم الملاعين. ماكس وليو يارد وبيت ونونان وإيليو ويلسون ... كل الملاعين.»

«هل كان ماكس ثيلر على علم بما كنتِ تفعلينه؟»

«بالطبع لا ... لا أحد يعرف غير دونالد ويلسون.»

«هل أنت متأكدة؟»

«نعم أنا متأكدة. أنت لا تظن أني كنت أطوف الأرجاء أتباهى بما كان بحوزتي، أليس كذلك؟»

«مَن تظنين أنه على علم الآن بما فعلتِه؟»

قالت: «لست مهتمة بذلك. فقد كان الأمر مزحة عليه وهزلًا. لم يكن ليستطيع الاستفادة من تلك البضاعة.»

«هل تظنين أن الحمقى الذين بعتِ أسرارهم سيرَون أي فكاهة فيما فعلتِ؟ نونان يحاول أن يرمي تهمة القتل عليكِ أنت وثيلر. وهذا يعني أنه عثر على ما كان في جيب دونالد ويلسون. كانوا يعتقدون كلهم أن إيليو العجوز يستغل ولده كي يقضي عليهم، أليس كذلك؟»

قالت: «بلى يا سيدي، وأنا أيضًا أعتقد ذلك مثلهم.»

«ربما لست على صواب، ولكن هذا لا يهم. وإن عثر نونان على الأشياء التي بِعتها لدونالد ويلسون في جيبه، وعلم أنك بعتها له، فلماذا لا يستنتج أنكِ وصديقك ثيلر اتخذتما جانب العجوز إيليو؟»

«وقد يرى أن إيليو العجوز سيتضرر بقدر ما سيتضرر الباقون.»

«وما الحثالة التي بعتها له؟»

قالت: «منذ ثلاث سنوات، شيدوا مبنًى جديدًا للبلدية ولم ينفق أحد منهم سنتًا واحدًا في البناء. وإذا وصلت المستندات إلى يد نونان، فسرعان ما سيكتشف أنه متورط مع إيليو العجوز مثل أي شخص آخر، إن لم يكن أكثر.»

«هذا لا يُحدِث أي فرق. سيسلِّم بأن العجوز قد وجد مخرجًا لنفسه. صدقيني أختاه، نونان وأصدقاؤه يعتقدون أنكِ وثيلر وإيليو تخدعونهم.»

قالت معاندةً: «لا آبهُ لما يعتقدونه بحق الجحيم. فالمسألة مجرد مزحة. وهذا كل ما قصدته. وهذا ما حدث.»

تمتمتُ: «جيد. يمكنك الذهاب إلى حبل المشنقة بضمير مرتاح. هل رأيتِ ثيلر منذ حادث الاغتيال؟»

«لا، ولكن إن كنت تعتقد أن ماكس هو القاتل، فأنت مخطئ، حتى وإن كان يحوم في الجوار حينها.»

«ولمَ؟»

«الأسباب كثيرة. أولًا: لو كان ماكس لَما قتله بنفسه. بل لاستأجر شخصًا آخر لقتله، وكان سيحرص كل الحرص أن يملك حُجة غياب لا يستطيع أحد زعزعتها. ثانيًا: يحمل ماكس مسدسًا عيار ٣٨ملم، ولو أرسل أي شخص لتنفيذ الاغتيال، لَاستخدم سلاحًا مثل الذي معه أو أقوى منه. أي رجل مسلَّح يستخدم مسدسًا عيار ٣٢ملم؟»

«إذن، من الذي فعلها؟»

قالت: «قلت لك كل ما أعلم. وقد أخبرتك الكثير.»

وقفت وقلت:

«كلا، بل أخبرتني ما يكفي بالضبط.»

«أتعني أنك تعتقد أنك تعلم القاتل؟»

«نعم، ولكنَّ هناك شيئَين ينبغي أن أتبيَّنهما قبل أن أُلقي القبض عليه.»

وقفَت فجأة، تكاد تكون أفاقت، وأخذت تشد طيَّة الصدر في سترتي: «مَن؟ مَن؟ أخبرني من الذي فعلها؟»

«ليس الآن.»

«كن مطيعًا.»

«ليس الآن.»

تركت طيات سترتي، ووضعَت يدها خلف ظهرها وضحكت في وجهي.

«حسنًا. لا تُفشِ سرك هذا ... وحاول أن تكتشف أي جزء فيما قلته لك هو الحقيقة.»

قلت:

«أشكرك على الجزء الحقيقي من كلامك على أي حال، وعلى الشراب. وإذا كان ماكس ثيلر يعني أي شيء بالنسبة لك، يجب عليكِ أن تنقلي له خبر أن نونان يحاول أن يورِّطه في المسألة.»

الفصل الخامس

إيليو العجوز يتحدث بالمنطق

اقتربت الساعة من الثانية والنصف صباحًا حين وصلت إلى الفندق. أعطاني عامل النوبة الليلية — مع مفتاح غرفتي — إشعارًا مكتوبًا فيه أن أتَّصل على رقم بوبلار ٦٠٥. أنا أعرف صاحب الرقم. إنه رقم إيليو ويلسون.

سألت العامل: «متى وصل هذا الإشعار؟»

«بعد الساعة الواحدة بقليل.»

بدت مسألة عاجلة. ولذا عدت إلى الكابينة وشرعت في الاتصال. رد عليَّ سكرتير العجوز وطلب مني أن آتي من فوري. وعدته بأن أُسرع، وطلبت من العامل أن يوقف لي سيارة أجرة، وصعدت إلى غرفتي واحتسيت كأسًا من ويسكي سكوتش.

كنت أفضِّل أن أكون مستفيقًا تمامًا، ولكن لم أكن كذلك. وإذا كانت الليلة تحمل لي مزيدًا من العمل، فما أريد أن أذهب إليه ومفعول الخمر يتلاشى في عقلي. أنعشتني رشفة من ويسكي «كينج جورج» كثيرًا. ولذا صببت المزيد منه في قارورة ووضعتها في جيبي، ونزلت إلى سيارة الأجرة.

كان منزل إيليو ويلسون مُضاءً من أعلاه إلى أسفله. فتح السكرتير باب المنزل قبل أن أضع إصبعي على الجرس. وقد رأيت جسده النحيل يرتعش من تحت منامة ذات لون أزرق فاتح، ورداء حمام ذي لون أزرق داكن. وحين أبصرته قرأت في وجهه النحيل انفعالات كثيرة.

قال: «أسرع! السيد ويلسون منتظر. ومن فضلك، هلا تحاول إقناعه أن نرفع الجثة من هنا؟»

وعدته بالمحاولة، وتبعته إلى غرفة نوم العجوز في الطابق العلوي.

وجدت إيليو العجوز في سريره كما وجدته في المرة السابقة، ولكن هذه المرة رأيت مسدسًا أوتوماتيكيًّا أسود قابعًا على الأغطية بالقرب من إحدى يديه المُشرَبتَين حُمرةً.

بمجرد أن وصلت إلى غرفته رفع رأسه عن الوسادة، وجلس منتصبًا وصاح في وجهي:

«هل عندك من الشجاعة مثل ما عندك من الوقاحة؟»

رأيت وجهه يتلظَّى من الغضب. وقد جفَّت عيناه من مائهما. وجدتهما صارمتَين متَّقدتَين.

لم أُجب عن سؤاله، ونظرت إلى الجثة الملقاة على الأرض بين الباب والسرير.

الجثة لرجل قصير القامة ومكتنز يرتدي ملابس بنِّية، مستلقٍ على ظهره، وعيناه الميتتان شاخصتان في السقف من تحت حافة قبعة رمادية. كذلك كُسر جزء من فكه. وأيضًا كان ذقنه ملتويًا بحيث إنه يبيِّن أن رصاصة أخرى اخترقت ربطة عنقه وياقته، وأحدثت ثقبًا في رقبته. إحدى ذراعَيه ملتوية تحته. والذراع الأخرى تحمل زجاجة جِعَة بحجم زجاجة حليب. وقد أبصرت دمًا كثيرًا في المكان.

رفعت نظري عن هذه الفوضى إلى العجوز. طالعت عليه تكشيرةً شريرةً فاقدةً للإحساس.

قال: «أنت متحدث لبق. أعلم هذا. رجل فظٌّ شديد، ملعون أنت وحديثك. ولكن ألديك مهارات أخرى؟ هل تتحلَّى بالشجاعة بقدر ما تتحلَّى بالوقاحة؟ أم إن كل ما تملك هو الكلام؟»

لم أجد فائدةً من مسايرة العجوز. ولذا تجهَّمت وذكَّرته:

«ألم أقُل لك ألَّا تزعجني حتى تكون عندك الرغبة في الحديث بالمنطق؟»

تحدَّث بصوتٍ تُخالجه مسحة من الشعور بالانتصار: «بلى يا فتى. وسأتحدث إليك بالمنطق. أريد رجلًا ينظف حظيرة الخنازير لأجلي، وأن يتخلَّص من هذه الجرذان، الصغيرة والكبيرة على السواء. إنها مهمة تحتاج إلى رجل. فهل أنت كُفء لها؟»

زمجرت فيه: «ما الفائدة من استخدام التشبيهات البلاغية؟ إذا كان لديك عملٌ حقيقيٌّ يندرج ضمن اختصاصي، وإذا كنت ستدفع ثمنًا لائقًا، فربما أتولَّاه. لكن الإكثار من السفاهة بشأن طرد الجرذان وتنظيف حظائر الخنازير لا يعنيني مطلقًا.»

«حسنًا. أريد تنظيف بيرسونفيل من المحتالين والمجرمين. هل هذه اللغة واضحة لك بما يكفي؟»

قلت: «لمْ تأتِك هذه الرغبةُ هذا الصباح. فما الذي قذفها في خاطرك الآن؟»

أبدى شرحًا دنسًا وطويلًا، وحدَّثني به بنبرةٍ عاليةٍ ومتوعدة. وجوهر ما أبداه هو أنه بنى مدينة بيرسونفيل بيدَيه لَبِنةً لبنةً، وأنه عزم على أن يظل يحكمها وإلا فسينسفها. إنه لا يحب أن يهدده أحدٌ في مدينته، أيًّا كان هو. لقد تركهم وشأنهم، ولكن حين بدءوا يُملون عليه — وهو إيليو ويلسون — ما ينبغي له فعله وما لا يجدر به أن يفعله، أراد أن يريهم قدْره ومقامهم. ثم أنهى كلامه وهو يشير إلى الجثة ويتحدث متباهيًا:

«سيبرهن هذا القتيل على أن العجوز لم تقع أسنانه بعد.»

وددت لو أني كنت بكامل وعيي. فقد أربكني عبثه. ولم أستطع أن أقف على باعث لهذا العبث.

سألت وأنا أشير إلى الجثة: «هل أرسله رفاقك؟»

أخذ يُربِّت على المسدس الأوتوماتيكي الملقى على السرير، وقال: «لم أتحدث إليه إلا بهذا، ولكني أظن أنهم هم من أرسلوه.»

«وكيف حدث هذا؟»

«حدث ببساطةٍ بالغة. سمعت الباب يُفتح، أضأتُ المصابيح ورأيته أمامي؛ ومن ثَم أطلقت عليه الرصاص وأرديته قتيلًا.»

«كم كانت الساعة؟»

«الواحدة تقريبًا.»

«وهل تركته ملقًى هكذا طَوال هذه المدة؟»

ضحك العجوز ضحكةً خبيثةً وبدأ يتوعَّد مرة أخرى: «نعم، تركته. هل رؤية الجثث تصيبك بالغثيان؟ أم إنك تخاف شبحه؟»

ضحكت إليه. لقد فهمت الآن. العجوز خائف حدَّ الفزع. وقد دفعه هذا الفزع إلى هذه التُّرَّهات. وهذا الخوف هو السبب في صوته العالي ومنْعِهم من رفع الجثة بعيدًا. أراد بقاءها كي ينظر إليها، ويطرد الذعر، وكي تكون دليلًا واضحًا على قدرته على الدفاع عن نفسه. ومن هنا عرفت موقفي.

سألت: «هل تريد تنظيف المدينة حقًّا؟»

«قلت لك نعم، أريد تنظيفها.»

«أريد أن تُطلَق يدي — من دون محاباة لأحد — في هذه المهمة كما أريد. وأريد أتعابًا بقيمة عشرة آلاف دولار.»

«عشرة آلاف دولار! ولماذا أعطي هذا المبلغ الكبير لرجل لا أعرفه حق المعرفة؟ لماذا أعطيه لرجل لم يفعل شيئًا أعرفه سوى الكلام؟»

«دعك من الهزل. حين أتحدث عن نفسي، فأنا أتحدث عن وكالة كونتينتال للتحريات. أنت على معرفة بهم.»

«نعم أعرف. ولكنهم أيضًا يعرفونني. وحريٌّ بهم أن يعرفوا أني ...»

«ليس هذا ما نحن بصدده. فهؤلاء الذين تريد التخلص منهم كانوا أصدقاءك بالأمس. وربما تصبحون أصدقاء مرة أخرى الأسبوع القادم. أنا لا يهمني ذلك. ولكني لن أناور بألاعيب سياسية من أجلك. ولن أتولى هذه المهمة كي أساعدك في إعادتهم إلى حظيرتك ... لا سيما حين تُلغَى المهمة. لذا إن كنت تريد إنجاز المهمة، فعليك أن تدفع مالًا يكفي لإنجاز مهمة كاملة. وستُرَد إليك الأموال المتبقية. ولكن إما أن تكون مهمة كاملة أو لا يكون هناك مهمة. هذا عرضي لك. وأنت بيدك إما القبول أو الرفض.»

صاح قائلًا: «سأرفض هذا العرض اللعين.»

تركني حتى وصلت إلى منتصف السُّلم، ثم نادى عليَّ مرة أخرى.

قال متذمرًا: «أنا رجل عجوز. ولو كان سني أصغر بعشر سنين ...» حينها حدَّق إليَّ وتحدَّث مرة أخرى. «سأعطيك ذلك الشيك اللعين.»

«وهل تعطيني السلطة كي أقوم بالمهمة على طريقتي؟»

«نعم.»

«سننجز الأمر الآن. أين سكرتيرك؟»

ضغط ويلسون على زرٍّ بجانب السرير، وحينها خرج السكرتير الصامت من مَخبئه. قلت له:

«يريد السيد ويلسون إصدار شيك بقيمة عشرة آلاف دولار باسم وكالة كونتينتال للتحريات، ويريد أن يكتب خطابًا إلى فرع سان فرانسيسكو التابع للوكالة كي يفوِّضه في استخدام عشرة آلاف الدولار للتحقيق في الجرائم والفساد السياسي في بيرسونفيل. وينبغي أن ينصَّ الخطاب صراحةً على تفويض الوكالة بإجراء التحقيقات بالطريقة التي تراها مناسبة.»

نظر السكرتير، متسائلًا، إلى العجوز، الذي قطّب جبينه بدوره، وأشاح برأسه الأشيب المستدير.

ولما مشى السكرتير تجاه الباب، أخبرته: «ولكن أولًا، الأفضل أن تتصل بالشرطة وتخبرهم أن لدينا لصًّا ميتًا هنا. ثم تتصل بطبيب السيد ويلسون.»

صرَّح العجوز بأنه لا يريد أي أطباء ملاعين.

خطوتُ على الجثة كي آخذ المسدس الأسود من فوق السرير، وطمأنته قائلًا: «ستأخذ حقنة خفيفة في ذراعك كي تنام. كما أنني سأمكث هنا الليلة، وغدًا سنقضي معظم الوقت نمحِّص في شئون بويزونفيل.»

نال التعب من العجوز. فحين استهلَّ يخبرني بأسلوبه الفظ، وبالتفاصيل الطويلة، عن رأيه في وقاحتي بشأن تحديدي لما هو أفضل له، كاد صوته يهز النوافذ.

نزعت القبعة عن جثة الرجل كي أنظر إلى وجهه. لم أجد فيه ما يهمني. ولذا وضعت القبعة في مكانها.

حين وقفت منتصبًا، سأل العجوز بنبرة معتدلة:

«هل تحرز أي تقدم في الإمساك بقاتل دونالد؟»

«أعتقد ذلك. نحتاج إلى يوم آخر وسنصل إلى القاتل.»

سأل: «من هو؟»

دخل السكرتير ومعه الخطاب والشيك. أعطيتهما للعجوز بدلًا من أن أعطيه إجابة عن سؤاله. ومن ثَم وقَّع عليهما بيدٍ مرتعشة، وكانا مَطويَّين في جيبي حين وصلت الشرطة.

* * *

كان أول فرد من الشرطة يدخل إلى الغرفة هو رئيس الشرطة نفسه، نونان السمين. أومأ في دماثة إلى ويلسون وصافحني، ثم نظر بعينَين خضراوَين متلألئتَين إلى الجثة.

قال: «حسنًا، حسنًا. خيرًا فعلَ أيًّا كان هو. ياكيما شورتي. هلا تنظر إلى وزن هذا الأحمق؟» ورفس زجاجة الجِعَة من يد الميت. ثم سألني: «ضخامته كفيلة بإغراق بارجة. هل أنت من أرديتَه؟»

«بل السيد ويلسون.»

هنَّأ العجوز: «حسنًا، خيرًا فعلت بالتأكيد. لقد وفرت على كثير من الناس — ومنهم أنا — كثيرًا من المتاعب.» ثم قال للرجال الأربعة خلفه: «أخرجوه يا رفاق.»

حمل اثنان من رجال الشرطة ياكيما شورتي من ساقَيه ومن تحت إبطَيه وخرجا به، وجمع واحد من الاثنين المتبقيَين زجاجة الجعة ومصباح كشاف كان تحت الجثة.

أخرج رئيس الشرطة ثلاث سجائر من علبته، ورمى واحدة على السرير وأعطاني الثانية ووضع الثالثة في فمه. ثم استهلَّ رئيس الشرطة ثرثرته: «إذا فعل كل شخص فعلتك بمن يتصيَّده، فبالتأكيد سيكون ذلك خيرًا.» ولما أشعلنا السجائر، قال لي: «كنت أتساءل أين يمكنني الوصول إليك. عندي مهمة بسيطة، وأحسب أنك ستحب أن تنضم إليَّ فيها. فأنا يتصادف وجودي حين تُثار المتاعب.» ثم وضع فمه عند أذني وهمس قائلًا: «أنا ذاهب للإمساك بويسبر. فهل ستأتي معي؟»

«نعم.»

«علمت أنك ستأتي. مرحبًا أيها الطبيب!»

تصافَح مع رجل دخل لتوِّه، وكان رجلًا قصير القامة بدينًا، له وجه بيضاوي يبدو عليه التعب، وعينان شاحبتان لا يزال النعاس يداعبهما.

دخل الطبيب إلى السرير حيث كان أحد رجال نونان يسأل ويلسون عن حادثة إطلاقه النار. فتبعت السكرتير إلى الصالة وسألته:

«هل يوجد رجال في المنزل غيرك؟»

«نعم، السائق والطباخ الصيني.»

«اجعل السائق يمكث مع العجوز في غرفته الليلة. فأنا سأخرج مع نونان. وسأعود في أقرب وقت ممكن. ولا أظن أنه ستقع المزيد من الأحداث المثيرة هنا، ولكن لا تترك العجوز وحده مهما حدث. ولا تتركه وحده مع نونان أو مع أحد من رجال نونان.»

اتسعت حدقة عين السكرتير وفتح فمه مندهشًا.

سألته: «متى تركت دونالد ويلسون البارحةَ؟»

«تقصد الليلة السابقة على البارحة، الليلة التي قُتل فيها؟»

«نعم.»

«تركته الساعة التاسعة والنصف بالضبط.»

«هل كنت معه منذ الساعة الخامسة وحتى ذلك الوقت؟»

«منذ الساعة الخامسة والربع. فقد تجاذبنا أطراف الحديث عن بعض البيانات وبعض الأعمال في مكتبه حتى الساعة الثامنة تقريبًا. ثم ذهبنا إلى مطعم بايارد، وأنهينا حديثنا ونحن نتناول العشاء. غادر هو في الساعة التاسعة والنصف وقال إن لديه موعدًا.»

«ما الذي قاله غير ذلك عن هذا الموعد؟»

«لم يقُل شيئًا آخر.»

«ألم يُعطِك أي تلميحٍ عن المكان الذي سيذهب إليه أو الشخص الذي سيُقابله؟»

«لم يقُل إلا إن لديه موعدًا.»

«ولم تكن تعلم أي شيءٍ عن هذا الموعد؟»

«لا. لماذا؟ هل تظن أني كنت أعلم شيئًا؟»

«حسبت أنه ربما قال لك أي شيء.» ثم عُدت إلى الحديث عما جرى الليلة: «من الذين زاروا ويلسون اليوم، باستثناء الذي أطلقَ عليه الرصاص؟»

قال السكرتير وعلى شفتَيه ابتسامة معتذر: «أرجو أن تعذرني، فأنا لا أستطيع أن أخبرك من دون إذن السيد ويلسون. أنا آسف.»

«ألم يزُره بعض أصحاب النفوذ المحليين؟ مثل ليو يارد، أو ...»

هز السكرتير رأسه وكرر كلامه:

«أنا آسف.»

أنهيت الحديث حول هذه المسألة واتجهت صوب باب غرفة النوم، وقلت: «لن نتجادل في هذه المسألة.»

خرج الطبيب وهو يغلق أزرار معطفه.

قال على عجل: «سينام الآن. يجب أن يبقى أحد بجانبه. وأنا سأَحضُر في الصباح.» ثم نزل مُهَرولًا على السلم.

دخلت إلى غرفة النوم. وجدت رئيس الشرطة والرجل الذي استجوب ويلسون واقفين بجانب السرير. حينها ابتسم رئيس الشرطة وكأنه سُر برؤيتي. أما الرجل الآخر فقد تجهَّم وجهه. كان ويلسون مستلقيًا على ظهره ومحدقًا في السقف.

قال نونان: «انتهى عملنا هنا. هلَّا نغادر؟»

وافقته وقلت للعجوز: «طابت ليلتك.» فردَّ من دون أن ينظر إليَّ: «طابت ليلتك.» عندئذٍ دخل السكرتير ومعه السائق، وكان شابًّا قويًّا له بشرة لفحتها الشمس.

نزلت أنا ورئيس الشرطة ورجل المباحث الآخر — وهو ملازم شرطة اسمه ماكجرو — على السلم، وركبنا سيارة رئيس الشرطة. جلس ماكجرو بجانب السائق. وجلست أنا ورئيس الشرطة في المقعد الخلفي.

لما مشت السيارة، قال نونان: «سنقبض عليه مع بزوغ ضوء الصبح. فعادةً ما يتردد ويسبر على وكر في شارع كينج. ومن عادته أنه يغادر مع انبلاج نور الصبح. يمكننا أن نقتحم المكان، ولكن سيؤدي هذا إلى استخدام السلاح، وحريٌّ بنا أن نأخذ المسألة ببساطة. سنلقي القبض عليه حين يغادر.»

لم أعرف هل ينوي إلقاء القبض عليه أم التخلص منه. سألت: «هل لديك أدلة كافية تثبت إدانته؟»

فضحك ضحكة عميقة: «أدلة كافية؟ إن لم تكن الأدلة التي أعطتنا إياها السيدة ويلسون كافية لإدانته، لا أستحق إلا أن أكون نشالًا.»

خطر على بالي ردَّان بارعان على ذلك. ولكني احتفظت بهما لنفسي.

الفصل السادس

وكْر ويسبر

توقفت السيارة تحت صف من الأشجار في شارع مظلم ليس بعيدًا عن وسط المدينة. وحينئذٍ ترجَّلنا من السيارة ومشينا إلى ناصية الشارع.

أتى لمقابلتنا رجل ضخم الجثة يرتدي معطفًا رماديًّا وقبعة رمادية مسحوبة فوق عينيه.

قال الرجل الضخم للقائد: «ويسبر عنده خبر. فقد اتصل على دونوهو وأخبره بأنه سيمكث في وكره. ويقول إن كنت تظن أن باستطاعتك إخراجي، فجرب حظك.»

حاول نونان أن يخفي ضحكته، وهرش إحدى أذنيه، وسأل وهو منفرج الأسارير:

«كم معه من الرجال في نظرك؟»

«خمسون على الأقل.»

«آه، في هذه الساعة! لن تجد هذا العدد بالداخل في هذه الساعة من الصباح.»

زمجر الرجل الضخم: «تخمينك ليس في محله مطلقًا. إنهم يتوافدون على المكان منذ منتصف الليل.»

«أهكذا إذن؟ لا بد أن بعض المعلومات تسربت. ربما توجَّب عليك ألَّا تدعهم يدخلون.»

زمجر الرجل الضخم وقال: «ربما توجَّب عليَّ ذلك. ولكني فعلت ما أمرتني به. أنت قلت لي أن أترك الناس يدخلون ويخرجون كما يريدون، ولكن حين يظهر ويسبر ...»

قال رئيس الشرطة: «حين يظهر ويسبر، أمسِك به.»

وافقه الرجل الضخم: «صحيح، نعم»، وأخذ ينظر إليَّ بوحشية.

انضم إلينا مزيد من الرجال وانعقد النقاش. كان الجميع ينتابهم مزاج سيئ ما عدا رئيس الشرطة. وكأني به مستمتع بكل ما يجري. لكني لم أعرف السبب في ذلك.

وَكْر ويسبر عبارة عن مبنًى من الطوب له ثلاثة طوابق، في وسط مربع سكني يتوسط مبنيَين، كلٌّ منهما مكوَّن من طابقين. الطابق الأرضي مشغول بمتجر لبيع السجائر، وهو بمثابة مدخل وغطاء على منشأةِ ممارسةِ القمار في الطابقَين العلويَّين. وبالداخل — إذا كانت معلومات الرجل الضخم موثوقة — قد جمع ويسبر خمسين صديقًا مدجَّجين بالسلاح للدخول في قتال. أما في الخارج، فقد انتشرت قوة نونان حول المبنى، وفي الشارع الأمامي، والحارة الخلفية، وعلى أسطُح المباني المجاورة.

بعدما قال كل فرد ما عنده، قال رئيس الشرطة متلطفًا: «حسنًا يا شباب، لا أظن أن ويسبر يريد إثارة المتاعب أكثر مما نريد، ولو كان معه هذا العدد من الرجال لحاول أن يخرج لنا قبل الآن، ولكني لا أمانع أن أقول إنني لا أظن أن معه هذا العدد من الرجال ... ليس هذا العدد الكبير.»

قال الرجل الضخم: «ما تقوله ليس صحيحًا.»

استرسل نونان: «ومن ثَم إن كان لا يريد إثارة المتاعب، فربما الكلام يجدي بعض النفع. هلَّا تذهب إليه يا نيك فتحاول أن تقنعه أن يَركَن إلى السِّلم.»

قال الرجل الضخم: «حسنًا، سأفعل.»

اقترح رئيس الشرطة: «هاتِفَه إذن.»

تمتم الرجل الضخم: «هذا ما سأفعله غالبًا»، وذهب في طريقه.

وحين عاد، بدا الرضا التام على وجهه.

قال: «إنه يقول اذهبوا إلى الجحيم.»

قال نونان مرحًا: «اجمع لي بقية الرجال هنا. سندكُّ هذا المكان بمجرد أن ينبلج الصبح.»

طُفتُ أنا ونيك الضخم مع رئيس الشرطة، لما كان يتأكَّد من أن كل واحدٍ من رجاله في مكانه المخصَّص. لم أجد لهم وزنًا كبيرًا؛ كانوا عصبةً من المهلهَلين الجبناء لا تجد فيهم حميَّة المهمة التي هم بصددها.

بدأ ظلام الليل ينقشع. ولذا انتظرنا أنا ورئيس الشرطة ونيك في مدخل متجرٍ للأدوات الصحية في موضع قُطريٍّ، على الجهة المقابلة من الشارع من الهدف.

كان وَكْر ويسبر مُعتِمًا؛ إذ لا يظهر ضوء من النوافذ العلوية، وكان شيش نوافذ متجر السجائر وبابه قد غُلِّقا.

قال نونان: «أكره الشروع في الاقتحام من دون منح ويسبر فرصة. إنه ليس رجلًا سيئًا. ولكن لا فائدة من محاولة التحدث إليه. فإنه لم يحبَّني البتة.»

نظر إليَّ. ولكني لم أتفوَّه بكلمة.

سأل: «هل تريد أن تحاول معه مرة؟»

«أجل، سأحاول.»

«هذا من بعض كرمك. وإني أقدِّر لك محاولتك. حاول أن تقنعه بالمجيء من دون إثارة المتاعب. وأنت تعرف ما ينبغي قوله ... مثل الحفاظ على سلامته وكل تلك الأمور.»

قلت: «أجل»، ثم عبرت الشارع إلى متجر السجائر، وقد حرصت على أن أُظهِر يديَّ وهما تتأرجحان فارغتَين إلى جانبيَّ.

لم يكن النهار قد انبلج بعد. وقد اكتسى الشارع بلون الدخان. كذلك قرعَت قدماي بصوتٍ عالٍ على الرصيف.

وقفت أمام الباب وطرقت الزجاج ببراجمي طرقًا خفيفًا. ولما كانت الستارة الخضراء منسدلة على الباب من الداخل، فقد بدا الزجاج وكأنه مرآة. وفيه رأيت رجلَين يتحركان في الجهة الأخرى من الشارع.

لم يصدر صوت من الداخل. طرقت بقوة أكبر، ثم مددت يدي إلى الأسفل كي أحاول لف المقبض.

سمعت صوتًا ينصحني من الداخل:

«ابتعد عن هنا قبل ألَّا تتمكن من ذلك.»

سمعت صوتًا خافتًا، لكنه ليس صوتًا هامسًا؛ ومن ثَم فربما ليس صوت ويسبر.

قلت: «أريد التحدث إلى ثيلر.»

«اذهب وتحدث إلى الأحمق الذي أرسلك.»

«أنا لا أتحدث بلسان نونان. هل ثيلر في مكان يمكِّنه من سماعي؟» توقف الصوت الخافت لبرهة. ثم سمعته يقول: «نعم.»

قلت: «أنا عميل وكالة كونتينتال السري، الذي حذَّر دينا براند أن نونان يريد أن يرمي التهمة عليك. وأريد التحدث إليك لخمس دقائق. علاقتي بنونان تنحصر في أني أريد أن أفسد

لعبته. كما أني أتيت إليك بمفردي. وسأترك سلاحي بالخارج إذا أحببت. اسمح لي بالدخول.»

وقفت منتظرًا. توقفَت موافقته على ما إذا كانت الفتاة أخبرته بقصة محادثتي معها. وبدا أني انتظرت وقتًا طويلًا.

قال الصوت الخافت:

«حين نفتح الباب، ادخل بسرعة. ولا تتحذلق.»

«عُلم.»

سمعت صوت المزلاج يفتح. ومن ثَم دخلت مع انفتاح الباب.

في الجهة الأخرى من الشارع، أفرغت عشرة مسدسات ذخيرتها. ومن ثَم رنَّ صوت الزجاج المتهشِّم من الباب والنوافذ من حولنا.

لقد نُصِب لي فخ. ولما شحذ الخوف حواسي، أحسست كأن لي ثلاثة عقول وستَّ أعين. فقد وجدت نفسي في موقف صعب. استغلَّني نونان في لعبته. ولا يسع هؤلاء الرجالَ إلا الظنُّ أني خدعتهم من أجله.

انبطحت على الأرض وأدرت وجهي صوب الباب. وفور وصول جسدي إلى الأرض، أصبح مسدسي في يدي.

في الجهة الأخرى من الشارع، برز نيك الضخم من أحد المداخل وانهال يصب علينا الأعيرة النارية بيدَيه كلتَيهما.

ثبَّتُّ ذراعي الممسكة بالمسدس على الأرض. كان جسد نيك قد أصبح أمامي مباشرةً. ضغطت على الزناد. وعندئذٍ توقَّف نيك عن إطلاق النار. تقاطع المسدسان على صدره وخرَّ متكوِّمًا على قارعة الطريق.

أحسست بيدَين تمسكان بكاحليَّ وتسحبانِني إلى الخلف. واحتكَّ ذقني بالأرض. وحينها أُغلقَ الباب بقوة. قال رجل فَكِه:

«يا للورطة، هؤلاء لا يحبونك!»

جلست على الأرض، وصحت في وسط هذه الجلبة:

«لم أشترك في هذه اللعبة.»

هدأ ضرب النار، ثم توقف. أصبح كلّ من الباب والنوافذ مثقوبًا ثقوبًا رمادية. ثم سمعت همسًا من صوت أجشَّ في الظلام يقول:

«تود، تيقَّظ أنت وسلاتس لما يجري هنا. سيصعد بقيتنا إلى الطابق العلوي.»

عبرنا من غرفة خلف المتجر إلى طُرقة، ثم صعدنا سُلمًا له درج مفروش بالسجاد، ودخلنا إلى غرفة في الطابق الثاني بها طاولة خضراء مجهَّزة بألعاب القمار. كانت الغرفة صغيرة ولا يوجد بها نوافذ، والمصابيح مُضاءة.

كان ثمة خمسة منا. جلس ثيلر وأشعل سيجارة، وهو شاب أسمر صغير الجسم، وحين تنظر في وجهه، تراه حسنًا جميل الملامح، حتى تنظر إلى فمه الصغير الصارم. ووُجِد أيضًا شابٌّ أشقر نحيل لا يتعدَّى العشرين من عمره، يرتدي ملابس من الصوف الخشن، مستلقٍ على ظهره على أريكة وينفث الدخان نحو السقف. وشابٌّ آخر أشقر بنفس عمر الأول، ولكنه ليس نحيلًا، كان منشغلًا في تعديل ربطة عنقه القرمزية وتمشيط شعره الأصفر. وأخذ رجلٌ له وجه نحيل في الثلاثين من عمره، وذقن صغير جدًّا يكاد لا يُرى أسفل فمه الكبير والواسع، يغدو ويروح في الغرفة باديًا عليه السأم، ويدندن بأغنية «روزي تشيكس».

جلست في كرسي على مسافة قدمَين أو ثلاث من كرسي ثيلر.

سأل: «إلى متى سيظلُّ نونان على هذا الوضع؟» صوته الهامس المبحوح لم تخالجه من الانفعالات سوى مسحةٍ من الغضب.

قلت: «إنه يسعى خلفك هذه المرة. وأظنُّه جادًّا في طلبك.»

ارتسمت ابتسامة ازدراء صغيرة على فم المقامر.

«حريٌّ به أن يعرف مدى ضيق الفرص التي لديه كي يُلصِق بي هذه التهمة العوراء.»

قلت: «إنه لا يخطِّط لتقديم أدلة إلى المحكمة.»

«حقًّا؟»

«سيتخلَّص منك وأنت تقاوم إلقاء القبض عليك أو تحاول الهرب. ولذا لن يحتاج إلى حُجة قوية كي يلصق التهمة بك.»

فقال: «تزيد قسوة هذا الرجل مع تقدُّمه في العمر.» وقد تكلَّف ابتسامة أخرى على شفتَيه الرفيعتَين. بدا أنه لا يولي وزنًا كبيرًا لدرجة فَتْك رئيس الشرطة السمين. واسترسل: «إذا ما حاول أن يتخلَّص مني فهناك ما يستأهل ذلك. لكن ما الذي لديه ضدك؟»

«يظن أن وجودي ضارٌّ.»

«يؤسفني ذلك للغاية. أخبرَتني دينا أنك رجلٌ صالح، باستثناء أنك مقتصدٌ فيما يتعلق بالمال.»

«حَظِيت بزيارة لطيفة. هلَّا تخبرني بما تعرفه عن مقتل دونالد ويلسون؟»

«رمته زوجته بالرصاص.»

«هل رأيتها؟»

«رأيتها بعدما قتلته مباشرة ... ورأيت السلاح في يدها.»

قلت: «هذا ليس في صالح أيٍّ منا. أنا لا أعرف إلى أي مدًى ذهبت بخططك. لكن حتى وإن أحكمت خطتك، فربما ترسِّخها بالأدلة في المحكمة، ولكن لن تسنح لك الفرصة لذلك. وإذا طالتك يد نونان، فلن يتركك حيًّا. لذا لنتحدث بصراحة. فأنا لا أريد سوى حل هذه القضية.»

رمى ثيلر السيجارة على الأرض وسحقها بقدمه، وسأل:

«هل أنت مصمم إلى هذا الحد؟»

«هاتِ ما عندك بشأن القضية وأنا جاهز لأن ألقي القبض على الجاني ... هذا إن استطعت الخروج من هنا.»

أشعل سيجارة أخرى وسأل:

«هل السيدة ويلسون تقول إنني هاتفتها؟»

«نعم ... بعدما أقنعها نونان. باتت تعتقد ذلك ... على الأرجح.»

قال: «لقد أرديتَ نيك الضخم. وأنا سأمنحك فرصة الثقة على ذلك. هاتفَني رجلٌ في تلك الليلة. لا أعرفه ولم أعرف من هو. حينها قال لي إن ويلسون ذهب إلى منزل دينا ومعه شيك بقيمة خمسة آلاف دولار. وما الذي يهمني في ذلك؟ اسمع، العجيب أن شخصًا لا أعرفه ينقل لي هذه المعلومة. هذا ما دفعني إلى الذهاب. لكن دان أبعدني عن الباب. كان هذا صوابًا. لكن كان من العجيب جدًّا أن يهاتفني ذلك الرجل.

مشيت في الشارع وتواريت في أحد المداخل. بعد ذلك رأيت سيارة السيدة ويلسون واقفة في الشارع، ولكن لم أعلم حينها أنها سيارتها أو أنها بداخل السيارة. وبعد فترة وجيزة، خرج دونالد وسار في الشارع. لم أرَ المكان الذي انطلقت منه الرصاصات. ولكني سمعتها. وقتئذٍ

قفزت هذه السيدة من السيارة وجرَت نحوه. ومن هنا علمت أنها لم تطلق عليه الرصاص. كان يجدر بي أن أتجاوز الأمر. ولكن كان الموقف كله غاية في الغرابة؛ ولذا لما رأيت أن المرأة هي زوجة ويلسون، ذهبت إليهما وحاولت معرفة ما جرى. كانت تلك هي الزلَّة، صحيح؟ لذا حاولت أن أجد لنفسي مخرجًا تحسُّبًا لانقلاب الأمور. ومن ثَم نسَّقتُ مع المرأة. هذا كل ما حدث ... وقد صدَقتُك القول.»

قلت: «أشكرك. هذا ما أتيت من أجله. التحدي الآن هو أن تخرج من هنا من دون أن تُصاب بأذًى.»

طمأنني ثيلر: «لا يوجد تحدٍّ على الإطلاق. سنغادر في أي وقت نريده.»

«أريد أن أغادر الآن. ولو كنت مكانك، لغادرت أيضًا. يمثِّل نونان الآن إنذارًا كاذبًا بالنسبة إلينا، ولكن لماذا المخاطرة؟ لننسلَّ من هنا ولتبقَ مختبئًا حتى الظهيرة، وستفشل مؤامرته ضدك.»

أدخل ثيلر يده في جيب سرواله وأخرج رزمة كبيرة من الأوراق النقدية. عدَّ مائة أو مائتَي دولار من فئات الخمسين والعشرين والعشرة دولارات، وأعطاها للرجل الصغير الذقن، الذي لا يكاد يُرى ذقنه، ثم قال:

«وفِّر لنا وسيلة للهرب يا جيري، ولا تدفع أموالًا لأحد بأكثر من المألوف.»

أخذ جيري النقود وتناول قبعة من فوق الطاولة وخرج. ثم عاد بعد نصف ساعة وأعاد باقي النقود إلى ثيلر، وقال من غير تكلُّف:

«سنمكث في المطبخ حتى تأتينا الإشارة.»

نزلنا إلى المطبخ. وقد كان مظلمًا. ثم انضم إلينا مزيد من الرجال.

فتح جيري الباب ونزلنا ثلاث درجات مؤدية إلى الفِناء الخلفي. وجدنا أن ضوء النهار قد انبلج تمامًا. ورأيت ساعتها أننا عشرة رجال.

سألت ثيلر: «هل هؤلاء كل رجالك؟»

أومأ ثيلر أنْ نعم.

«لقد قال نيك إنه يوجد خمسون رجلًا.»

قال ساخرًا: «خمسون منا لصد هذه القوة التافهة!»

فتح شرطي مُرتدٍ زيه العسكري البوابة الخلفية، وتمتم بعصبية:

«أسرعوا يا رفاق أرجوكم.»

رغبت في الإسراع، ولكن الآخرين لم يعيروه اهتمامًا.

عبرنا زقاقًا، وأشار رجل ضخم يرتدي ملابس ذات لون بني أن نعبر بوابة أخرى، ثم مررنا من منزل، وخرجنا إلى الشارع التالي، وركبنا سيارة سوداء كانت واقفة عند الرصيف.

تولى قيادة السيارة أحد الرجال ذوي الشعر الأشقر. كان يعرف كيف يقود بسرعة.

قلت إنني أريد النزول في أي مكان بالحي الذي فيه فندق «جريت ويسترن». ولما نظر السائق إلى ويسبر، أومأ له أنِ افعلْ. وبعد خمس دقائق، نزلت من السيارة أمام فندقي.

همس المقامر: «أراك لاحقًا»، وانطلقت السيارة بعيدًا.

آخر ما رأيته منها لوحة رقم السيارة الخاصة بقسم الشرطة وهي تتوارى عند أحد المنعطفات.

الفصل السابع

من أجل هذا كبَّلت يديك

كانت الساعة الخامسة والنصف صباحًا. مشيت بضعة مربعات سكنية حتى رأيت لافتة كهربية غير مُضاءة تعلن عن فندق «كروفورد»، صعدت الدرج حتى وصلت مكتب الاستقبال في الطابق الثاني، وسجلت بياناتي وأخبرتهم أن يوقظوني الساعة العاشرة، ثم صُحبت إلى غرفة غير مهندمة، وحينها تجرعت بعضًا من الاسكوتش من القِنِّينة التي معي، وأخذت شيك إيليو ذا قيمة العشرة آلاف دولار، ومسدسي إلى السرير معي.

بحلول الساعة العاشرة، ارتديت ملابسي وذهبت إلى البنك الوطني الأول، وهناك التقيت ألبوري الشاب وطلبت منه أن يصدِّق لي على شيك ويلسون. تركني منتظرًا بعض الوقت. وأحسب أنه اتصل بمنزل العجوز كي يتأكَّد من صحة الشيك. وفي النهاية، أرجعه إليَّ وهو مؤشَّر عليه.

أخذت ظرفًا ووضعت فيه خطاب العجوز والشيك، وكتبت عليه عنوان الوكالة في سان فرانسيسكو، ثم لصقت الطابع البريدي عليه، وخرجت ووضعته في صندوق البريد الموجود عند المنعطف.

عدت بعد ذلك إلى البنك وقلت للشاب:

«والآن أخبرني لماذا قتلتَه.»

ابتسم وسأل:

«هل تقصد كوك روبين أم الرئيس لينكون؟»

«ألست مستعدًّا للاعتراف بأنك قاتل دونالد ويلسون؟»

قال والابتسامة لم تفارق شفتيه: «وَدِدت ألَّا أكون مزعجًا، ولكن أفضِّل ألَّا أعترف.»

عارضته: «إذن ستسوء الأمور. فلا يسعنا أن نقف هنا ونطيل النقاش من دون أن يقاطعنا أحد. من هو صاحب النظارة الآتي من هذا الاتجاه؟»

احمرَّ وجه الفتى. وقال:

«إنه السيد دريتون، الصراف.»

«قدمني له.»

بدا القلق على وجه الفتى، ولكنه نادى على الصراف. أتى إلينا دريتون، وهو رجل ضخم الجثة وجهه مُشرَب حُمرة، وله رأس أصلع وردي اللون إلا من حافةٍ من الشعر الأبيض، ويرتدي نظارة أنفية من دون ذراع.

غمغم مساعد الصراف يعرِّف أحدنا إلى الآخر. ثم صافحت السيد دريتون من دون أن أنصرف بنظري عن الفتى.

تحدثت إلى دريتون: «كنت أقول إنه ينبغي أن نجد غرفةً بها قدر أكبر من الخصوصية كي نتحدَّث فيها. فربما الفتى لن يعترف حتى أضغط عليه بعض الشيء، ولا أريد لأحدٍ في البنك أن يسمعني أصرخ فيه.»

فغر الصراف فاه ثم قال: «يعترف؟»

حافظت على وتيرة طبيعية في تعابير وجهي ونبرة صوتي وأسلوبي؛ إذ حاكيت أسلوب نونان: «بالتأكيد. ألم تعرف أن ألبوري هو قاتل دونالد ويلسون؟»

ارتسمت ابتسامةٌ دمثة من خلف نظارة الصراف اعتقادًا منه أنها مزحة بلهاء، ولكنها تغيرت إلى حيرةٍ حين نظر إلى مساعده. فقد احمرَّ وجه الفتى بشدة، وكانت الابتسامة التي يتكلفها مريعةً بحق.

تنحنح دريتون وتحدث متوددًا:

«إنه صباح مشرق. والطقس اليومَ بديع.»

كررت سؤالي مؤكدًا: «لكن ألا توجد غرفة خاصة كي نتحدث فيها؟»

سأل دريتون الفتى منفعلًا:

«ما ... ما هذا؟»

تفوه الشاب ألبوري بكلام لم يفهمه أحد.

قلت: «إذا لم توجد غرفة، فسأُضطر أن آخذه إلى دار البلدية.»

التقط دريتون نظارته وهي تنزلق عن أنفه وأرجعها إلى مكانها، ثم قال:

«اتبعاني.»

تبعناه بطول الرواق، وعبرنا بوابة، دخلنا منها إلى مكتبٍ على بابه لافتة مكتوب عليها: «الرئيس»؛ إنه مكتب إيليو العجوز. ولم نجد أحدًا بالداخل.

أجلستُ ألبوري على كرسي وجلست أنا على كرسي آخر. أما الصراف فقد تحرك بعصبية؛ إذ جعل ظهره للمكتب ووجهه لنا.

وقال: «والآن يا سيدي، هلا تُوضِّح لنا ما يجري؟»

قلت له: «سنعود إلى الحديث عن ذلك»، ثم الْتفتُّ نحو الفتى. وأضفت: «أنت عشيقٌ سابقٌ لدينا، ولكنها أنهَت العلاقة معك. وأنت الشخص الوحيد الذي حظي بمعرفة وثيقة بها، تُمكِّنه من معرفة أمر الشيك المصدَّق في الوقت المناسب بما يكفي للاتصال بالسيدة ويلسون وثيلر. كذلك قُتل ويلسون بمسدس ٣٢ملم. والبنوك تحبُّ هذه النوعية من المسدسات. ربما استخدمت مسدسًا لا يخص البنك، ولكن أعتقد أنك استخدمت واحدًا منها. وربما لم تُعِده. ومن ثَم سيكون هناك مسدس مفقود. على أي حال، أنوي أن أطلبَ من خبير الأسلحة أن يفحص الرصاصات التي قتلَت ويلسون، ويطابقَها مع رصاص مسدسات البنك باستخدام الميكروسكوب والميكرومتر.»

نظر الفتى إليَّ بهدوء ولم يتفوه بشيء. لقد استعاد رباطة جأشه مرة أخرى. ولم يكن ما قلته كافيًا. ولذا اضطُررت إلى أن أكون فظًّا. فقلت:

«لقد سلبتك الفتاة عقلك يومًا ما. وأنت اعترفت لي أنه لولا أنها لم ترغب في التورط في مشكلة، فلربما ...»

احمرَّ وجهه مرة أخرى وقال لاهثًا: «لا تُفشِ السرَّ ... أرجوك لا تُفشِه.»

نظرت إليه باستهزاء حتى خفض عينيه. حينها قلت:

«لقد تحدثتَ كثيرًا يا فتى. لقد حرصتَ كل الحرص على أن تجعل حياتك كتابًا مفتوحًا أمامي. وهذا ما يفعله المجرم الغِر. فدائمًا ما يتحلى بالصراحة والانفتاح إلى حد مبالغ فيه.»

كان ينظر إلى يديه. ومن ثم ضغطتُ على أعصابه أكثر:

«أنت تعرف أنك القاتل. وتعرف أنك استخدمت مسدسًا من البنك، وأنك أعدته. وإن كنت فعلت ذلك، فقد ثبتت عليك التهمة ولا مهرب لك. لكن هذه مسألة سيهتم بها خبراء السلاح.

لكن إن لم تكن فعلت، فسألقي القبض عليك على أي حال. هل واضح ما أقول؟ لا حاجة إلى أن أقول ما إذا كانت أمامك فرصة أم لا. فأنت تعرف هذا.

يحاول نونان أن يرمي التهمة على ويسبر ثيلر. بالطبع ليس بمقدوره أن يُدينه، ولكنه أَحكمَ تلفيق التهمة بحيث إذا قُتل ثيلر وهو يقاوم إلقاء القبض عليه، فسينجلي الخطر المُحدِق برئيس الشرطة. هذا هو ما يحاول أن يفعله ... أن يقتل ثيلر. استطاع ثيلر أن يقاوم الشرطة طَوال الليل في وكره الكائن في شارع كينج. ولا يزال يقاومهم ... إلا إذا كانوا قد تمكَّنوا منه. ومع أول شرطي يتمكَّن من ثيلر، فسيصبح في عداد الأموات.

وإذا كنت تعتقد أن لديك فرصة تنجو بها من التهمة، وتريد أن تترك رجلًا آخر يُقتَل بدلًا منك، فهذا قرارك. لكن إذا كنت تعلم أنه لا فرصة أمامك — ولن تسنح لك الفرصة إذا وُجد المسدس — فإني أستحلفك أن تعطيَ ثيلر الفرصة، وأخلِ مسئوليته عن الجريمة.»

أصاب صوتَ ألبوري الوهنُ وكأنه صار عجوزًا: «أود أن ...»، رفع بصره عن يديه ونظر إلى دريتون ثم قال: «أود أن ...» مرة أخرى، ولكنه توقف عن الكلام.

سألته: «أين المسدس؟»

قال الفتى: «في صندوق هاربر.»

نظرت إلى الصراف عابسًا وطلبت منه:

«هلَّا تأتي به؟»

خرج وقد تهلَّلَت أساريره بالخروج من هذا المكان.

قال الشاب: «لم أقصد قتله. لا أظن أني قصدت قتله.»

أومأت إليه بحركة مشجِّعة محاولًا أن أبدو جادًّا في تعاطفي معه.

«لا أظن أني قصدت قتله، على الرغم من أني أخذت المسدس معي. نعم أنت محق في أن دينا سلبتني عقلي ... حينها. لقد مررت بحال أسوأ في بعض الأيام عن غيرها. واليوم الذي أحضر فيه ويلسون الشيك كان من أَسوَئها. لم أفكر إلا في أني فقدتها؛ لأنه لم يعد لديَّ مزيد من المال، وهو يحمل خمسة آلاف دولار إليها. إنه الشيك. هل تفهم ما أقصده؟ لقد نما إلى علمي أنها وثيلر ... أنت تعرف ما بينهما. ولو علمت أنها على علاقة بويلسون أيضًا من دون رؤية الشيك، لما ارتكبت أي شيء. أنا متأكد من ذلك. ما دفعني إلى ما فعلته هو رؤية الشيك ... ومعرفة أني سأفقدها لأن مالي قد نفد.

راقبتُ منزلها في تلك الليلة ورأيته وهو يدخل. لقد خفتُ مما قد أرتكبه؛ لأنه كان يومًا من الأيام السيئة، وقد حملتُ المسدس في جيبي. وللأمانة، لم أُرِد أن أفعل شيئًا. فقد تملَّكني الخوف. لم أفكر إلا في الشيك والأسباب التي جعلتني أفقدها. علمت أن زوجة ويلسون غَيُور. وكلٌّ يعلم ذلك. ولذا خطر على بالي أن أتصل بها وأخبرها ... لا أعرف تحديدًا ما الذي فكرت فيه، ولكني ذهبت إلى متجرٍ قريبٍ من المنزل واتصلت بها. ثم اتصلت بثيلر. أردت أن يُوجَدا في المكان. ولو علمت أحدًا آخر له أي علاقةٍ بدينا أو ويلسون، لاتصلت به أيضًا.

ثم عُدت وراقبت منزل دينا مرةً أخرى. جاءت السيدة ويلسون وجاء من بعدها ثيلر، ومكث كلاهما يراقبان المنزل. وقد سرَّني ذلك. فوجودهما جعلني لا أخشى مما يمكن أن أفعله. وبعد فترة، خرج ويلسون وسار في الشارع. ثم نظرت إلى سيارة السيدة ويلسون، وإلى المدخل الذي أعلم أن ثيلر مُتوارٍ فيه. لكن لم يفعل أيٌّ منهما شيئًا لما كان ويلسون يسير في الشارع. علمت حينها ما الذي جعلني أجيء بهما إلى هناك. فقد رجوت أن يفعلا شيئًا ... ومن ثَم لا أتكلف أنا أي جُرم. لكن لم يفعلا، وكان هو يبتعد. ولو ذهب إليه أحدهما وقال له شيئًا أو حتى تَبِعه، لما ارتكبت أي شيء.

لكن لم يفعلا شيئًا. أتذكر حين أخرجت المسدس من جيبي. لقد تحولت الرؤية كلها إلى ضباب أمام عينيَّ، كأنهما تذرفان الدموع. ربما ذرَفَتا الدموع. ولا أتذكر أيضًا إطلاق الرصاص ... أعني لا أتذكر أني تعمدت التصويب عليه والضغط على الزناد ... ولكني أتذكر صوت الرصاص، وأني كنت مدركًا أن الصوت خارج من المسدس الذي في يدي. لكني لا أتذكر هل خرَّ ويلسون على الأرض قبل أن ألتفت وأهرب من الزقاق أم لا. وحين وصلت المنزل، نظَّفت المسدس وأعدت ملء خزنته، ثم أعدته إلى صندوق صراف الصادر في صباح اليوم التالي.»

* * *

في الطريق، لما أخذت الفتى والمسدس إلى دار البلدية، تقدمت بالاعتذار إلى الموظف المكروب على الطريقة التي اتبعتها في بداية التحقيق معه، وشرحت له قائلًا:

«لقد اضطُررت إلى قذف القلق في قلبك، وهذه أفضل طريقة أعرفها. فالطريقة التي تحدثت بها عن الفتاة أظهرَت لي أنك ممثل بارع، ولن تُجدي الأسئلة المباشرة معك نفعًا.»

شرد ألبوري وتحدث بأناة:

«لم يكن تمثيلًا على الإطلاق. لكن لما شعرت بالخطر، والْتفاف حبل المشنقة حول عنقي، شعرت أنها ... شعرت أنها لا تحظى بهذا القدر من الأهمية في نظري. لم أستطع ... لا أستطيع الآن ... أن أفهم ... فهمًا تامًّا ... لماذا ارتكبتُ فعلتي. هل تعرف ما أقصد؟ بشكل أو بآخر، بات كل شيء — وحتى أنا — لا قيمة له. أعني المسألة برُمَّتها منذ البداية.»

لم أجد كلامًا أقوله سوى عبارة عقيمة، مثل:

«أحيانًا تسير الأمور بهذه الطريقة.»

في مكتب رئيس الشرطة، وجدنا أحد الرجال الذين اشتركوا في مداهمة البارحة؛ ضابطًا وجهه مُشرَب بحمرة واسمه بيدل. نظر إليَّ الرجل بمجامع عينَيه الرماديتَين الفضوليتَين، ولكنه لم يسأل عما جرى في شارع كينج.

استدعى بيدل محاميًا شابًّا اسمه دارت من مكتب النائب العام. ولما شرع ألبوري يسرد قصته مرة أخرى على بيدل ودارت وكاتب الاختزال، وصل رئيس الشرطة ومحيَّاه يوحي بأنه لم يكد يفيق من النوم.

ربَّت نونان على ظهري، وهو يهزُّ يدي بقوة، وقال: «يسرني كثيرًا أن أراك مرة أخرى. يا إلهي! لقد نجوتَ بأعجوبةٍ البارحةَ ... يا لهم من جرذان! كنت على يقين بأنهم يحبسونك عندهم حتى اقتحمنا الأبواب ووجدنا الوكر فارغًا. لكن أخبرني كيف خرج هؤلاء الشياطين.»

«أخرجهم اثنان من رجالك من الباب الخلفي، وأخذاهم عبر المنزل الخلفي، وأبعداهم في سيارة من القسم. وقد أخذوني معهم حتى لا أعطيك إشارة.»

سأل من دون أن تبدو الدهشة على وجهه: «أفَعَلها اثنان من رجالي؟ حسنًا، حسنًا! ما أوصاف هذَين الرجلَين؟»

وصفتهما له.

قال: «إنهما شور وريوردان. كان يجدر بي معرفة ذلك. وما قصة هذا الشاب؟» وأشار بوجهه السمين إلى ألبوري.

أوجزت في إخباره القصةَ لما كان الفتى يدلي باعترافه.

حاول رئيس الشرطة أن يخفي ضحكه وقال:

«حسنًا، حسنًا، لقد ظلمتُ ويسبر. سأعثر عليه وأصحِّح الأمور معه. أمسكتَ بالفتى إذن؟ لا شك أن هذا رائع. أهنئك وأشكرك على ما فعلت.» صافحني مرة أخرى. وأكمل: «لن تغادر

المدينة الآن، أليس كذلك؟»

«ليس بعد.»

طمأنني قائلًا: «لا بأس بهذا.»

خرجت من أجل الإفطار والغداء. ودلَّلت نفسي بحلاقة لحيتي وشعري، وأرسلت تلغرافًا إلى الوكالة أطلب منهم أن يرسلوا لي ديك فولي وميكي لينهان إلى بيرسونفيل، ثم ذهبت إلى غرفتي كي أغيِّر ملابسي، وانطلقت إلى منزل عميلي.

وجدت إيليو العجوز قابعًا في كرسي بذراعين، ملفوفًا بأغطية عند نافذة مشمسة. صافحني بيده البدينة القصيرة، وشكرني على الإمساك بقاتل ولده.

أجبتُه ببعض الردود المناسبة. ولم أسأله كيف وصلَته الأخبار.

قال: «الشيك الذي أعطيته لك البارحةَ ليس سوى أجرٍ عادلٍ على العمل الذي أنجزتَه.»

«الشيك الذي قدَّمه ولدُك كان كافيًا لتغطية تكاليف هذا العمل.»

«إذن اعتبرْ شيكي منحة.»

قلت: «قواعد وكالة كونتينتال تحظر قبول المِنح والمكافآت.»

بدأ وجهه يزداد حمرة.

«بئسًا ...»

سألته: «لم تنسَ أن الشيك الذي أعطيتني إياه كان من أجل تكاليف التحقيق في الجريمة والفساد المتفشِّيَين في بيرسونفيل، أليس كذلك؟»

صاح: «كان هذا مجرد كلام. فقد تملَّكَت منا الانفعالاتُ البارحةَ. هذا اتفاق مُلغًى.»

«ليس بالنسبة إليَّ.»

انهال بسيلٍ من الألفاظ النابية. ثم قال:

«المال مالي ولن أهدره على الحماقات. إذا لم تأخذه نظير عملك الذي أنجزته، فأعده لي.»

قلت: «توقف عن الصياح في وجهي. لن أعطيك شيئًا سوى مدينة نظيفة على أكمل وجه. فهذا ما فاوضتني عليه، وهذا ما ستحصل عليه. أنت تعلم الآن أن قاتل ولدك هو الشاب

ألبوري وليس شركاءك. وهم يعلمون الآن أن ثيلر لم يساعدك في الانتقام منهم. وبموت ولدك، تمكنتَ أن تقطع لهم عهدًا بألَّا تفضح الجريدةُ المزيدَ من قذاراتهم. لقد عادت الأجواء إلى الهدوء والسلام مرة أخرى.

لقد أصبتُ حين توقعت شيئًا كهذا. ومن أجل هذا أبرمنا اتفاقًا. وبالفعل بتَّ مكبَّل اليدين. فقد صدَّقتَ على الشيك؛ ولذا لا يمكنك إيقاف صرفه. ربما لا يكون خطاب التفويض ملزِمًا مثل العقد، ولكن ستُضطر إلى الذهاب إلى المحكمة كي تطعن في صلاحيته. وإن كنت تريد قدرًا كبيرًا من التشهير، فتفضَّل. سأحرص على أن تحظى بنصيب وافر.

حاول رئيس الشرطة السمين التابع لك أن يغتالني البارحةَ. ولم يعجبني ما فعله. وعندي رغبة في الانتقام كفيلة بأن تجعلني أرغب في تمزيقه إرْبًا إرْبًا على فعلته. حان دوري الآن كي أستمتع بوقتي. وقد حصلت على عشرة آلاف دولار من أموالك وأصبحَت تحت تصرفي. وسأستخدمها كي أفضح كل الفساد الذي يَنخُر في بويزونفيل مهما كان صغيرًا أو كبيرًا. وسأحرص على أن تصلك تقاريري بانتظام قدر الإمكان. وأتمنى أن تستمتع بها.»

عندئذٍ خرجت من المنزل واللعناتُ تدوِّي في أذنيَّ.

الفصل الثامن

الرهان على كيد كوبر

قضيت معظم فترة ما بعد الظهيرة في كتابة تقارير الأيام الثلاثة التي أمضيتها في قضية دونالد ويلسون. ثم جلست مستريحًا، وأشعلت سيجارة، وظللت أفكر في العملية الخاصة بإيليو ويلسون حتى حان وقت العَشاء.

نزلت إلى صالة الطعام في الفندق، وقررت أن أطلب شرائح من لحم الرِّدف المطهوِّ مع الفُطْر، وحينها سمعت أحدهم ينادي باسمي لتلقي مكالمة هاتفية.

أخذني العامل إلى كابينة في الرواق. وسمعت صوت دينا براند الناعم الهادئ في السماعة:

«يريد ماكس أن يراك. هلَّا تأتي هذه الليلة؟»

«في منزلك؟»

«نعم.»

اتفقنا على أنني سأمرُّ بمنزلها، وعدت إلى صالة الطعام كي أتناول وجبتي. وحين انتهيت من طعامي، صعدت إلى غرفتي المطلَّة على الشارع في الطابق الخامس. فتحت الباب ودخلت، وأضأت المصباح.

أحدثَت رصاصةٌ ثقبًا في إطار الباب؛ إذ مرت بالقرب من رأسي.

توالت الرصاصات وأحدثت المزيد من الثقوب في الباب وإطاره والجدار، ولكني كنت قد أوَيتُ إلى مكان آمن بعيد عن مرمى النيران الآتية من النافذة.

في الجهة الأخرى من الشارع، أعلم أنه يوجد مبنًى مخصَّص للمكاتب مكوَّن من أربعة طوابق وسطح أعلى قليلًا من مستوى نافذة غرفتي. كان السطح مظلمًا. والأضواء في غرفتي مضاءة. ولذا لم يكن ثمة مجال لأي محاولة للنظر بالخارج في ظل هذه الظروف.

بحثت من حولي عن شيء أرميه على المصباح، ووجدت نسخة من الكتاب المقدس من إصدار «منظمة أنصار جدعون الدولية»، ورميتها على المصباح. ومن ثَم انكسر المصباح وأَعتَمتِ الغرفة.

حينئذٍ توقف إطلاق النيران.

تسلَّلتُ إلى النافذة، وجثوت على ركبتيَّ، وأخذت أرقب بعين واحدة من إحدى زواياها السفلية. كان السطح في الجهة المقابلة من الشارع مظلمًا ومرتفعًا لدرجة أني لا أرى ما وراء السياج. ظَلِلت أرقب بهذه العين لمدة عشر دقائق ولم أصل إلى نتيجةٍ سوى أني أُصبت بتشنُّج في رقبتي.

ذهبت إلى الهاتف، وطلبت من الموظفة أن ترسل لي الشرطي العامل في الفندق.

أتى رجل بدين له شارب أبيض، وجبهة غير كاملة الاستدارة ذات حجم صغير وكأنها جبهة طفل. كان يرتدي كذلك قبعة صغيرة على مؤخر رأسه حتى تظهر جبهته. كان الرجل يُدعَى كيفر. وقد انفعل كثيرًا لما رأى آثار الرصاص.

ثم أتى مدير الفندق، وهو رجل ممتلئ الجسم، يمتاز بتحكم متقن في تعابير وجهه وصوته وأسلوبه. لم ينفعل على الإطلاق. بل إنه تصرف مثل عازف متجول حين تتعطل آلته في أثناء العرض، حيث إنه لم يهتم كثيرًا لما حدث، ولكنه اعتبره حدثًا غير مسبوق بالطبع.

خاطرنا بإضاءة الغرفة؛ إذ ركَّبنا مصباحًا جديدًا، ثم عددنا الثقوب التي أحدثها الرصاص. بلغ عددها عشرة ثقوب.

أتى رجال الشرطة وخرجوا، ثم عادوا وقالوا إنهم لم يعثروا على أي طرَف خيط خلَّفه الجناة وراءهم. اتصل نونان عبر الهاتف. وتحدَّث إلى الرقيب المسئول عن تقرير الشرطة، ثم تحدَّث إليَّ.

قال: «لم أسمع عن إطلاق الرصاص إلا هذه اللحظة. أخبرني، مَن تظن أنه يطاردك بهذا الشكل؟»

كذبت عليه: «لست أدري.»

«هل أُصِبتَ بأي أذًى؟»

«لا.»

قال متوددًا: «حمدًا لله على سلامتك. وسنُمسك بهذا المجرم الغِر أيًّا كان هو، فلا يكن عندك شكٌّ في ذلك. هل تريدني أن أترك عندك شرطيَّين، فقط حرصًا على عدم وقوع حادث آخر؟»

«لا، شكرًا لك.»

كرَّر من باب التأكيد: «يمكنك إبقاؤهما عندك إن أردت.»

«لا، شكرًا لك.»

جعلني أقطع له وعدًا بأن أزوره في أقرب فرصة، وأخبرني أن قسم الشرطة في بيرسونفيل تحت أمري، وأفهمني أنه حريص على حياتي قدر حرصه على حياته، وتخلصتُ أخيرًا من مكالمته.

غادر رجال الشرطة. ونُقلت أغراضي إلى غرفة أخرى لا يخترقها الرصاص بسهولة. بعدئذٍ غيرت ملابسي وانطلقت إلى شارع هريكين، كي أصل في موعدي مع المقامر صاحب الصوت الهامس.

* * *

فتحَت دينا براند لي الباب. لكن هذا المساء، رأيت أحمر الشفاه منسَّقًا على فمها ذي الشفتَين الممتلئتَين، ولكن لا يزال شعرها البني بحاجة إلى التشذيب؛ إذ لم يكن مَفرِق رأسها متساويًا، كما وقع بصري على بقع في فستانها الحريري البرتقالي من الأمام.

قالت: «لا تزال على قيد الحياة إذن. ولا أظن أن هناك ما يمكن فعله بشأن هذا. تفضل بالدخول.»

دخلنا إلى غرفة معيشتها الفوضوية. وجدت دان رولف وماكس ثيلر يلعبان الورق. ألقى رولف التحية إليَّ بإيماءة. ولكن ثيلر نهض كي يصافحني.

تحدث بصوته الأجشِّ الهامس:

«سمعت أنك أعلنت الحرب في بويزونفيل.»

«لا تلمني. فقد جاءني زبون يريد تنظيف المدينة.»

صحح لي العبارة لما جلسنا: «بل أراد، ولم يعُد يريد. لماذا لا تترك الأمر وحسب؟»

فخطبت فيه:

«كلا. لم تعجبني الطريقة التي عاملَتني بها بويزونفيل. وقد ملكتُ فرصتي في يدي الآن، وسأقتصُّ لنفسي. أظنك عدت إلى ناديك مرة أخرى، وصار كلٌّ يتعامل وكأن شيئًا لم يكن. فأنت ترغب في أن يَدَعوك وشأنك. وأنا أيضًا مرَّ عليَّ وقتٌ وَدِدت لو أني تُركت وشأني. ولو سنحت لي هذه الفرصة، لربما كنت في طريق عودتي إلى سان فرانسيسكو. ولكنها لم تسنح لي. لا سيما أن نونان البدين لم يدعني وشأني. بل حاول أن يطيح برأسي مرتَين في يومَين. وهذا كثير. والآن، حان دوري كي أنتقم منه، وهذا بالتحديد ما عزمت على فعله. فقد أينعَت بويزونفيل وحان حصادها. أنا تستهويني هذه المهمات، وإني عازمٌ على إنجازها.»

قال المقامر: «ما دمتَ على قيد الحياة.»

وافقتُه: «نعم. فقد قرأت في الجريدة هذا الصباح عن اختناق رجل حتى الموت وهو يأكل إصبعًا من الشوكولاتة في سريره.»

استرخَت دينا براند بجسمها الضخم في كرسيٍّ بذراعَين، وقالت: «ربما يكون في هذا خير، ولكن لم يَرِد الخبر في جريدة هذا الصباح.»

ثم أشعلَت سيجارة، وألقت بعود الثقاب تحت أريكة من طراز تشيسترفيلد. وجمع الشاب المريض بالسُّل أوراق اللعب وأخذ يخلطها عشوائيًّا مرة بعد مرة، بلا غاية محددة.

قطَّب ثيلر جبينه في وجهي وقال:

«يريدك ويلسون أن تحتفظ بمبلغ العشرة آلاف دولار. فلتَفعلْ ولينتهِ الأمر عند هذا الحد.»

«صار مزاجي في حالٍ سيئ. فمحاولات الاغتيال تُثير جنوني.»

«لن تجرَّ عليك هذه الطريقة إلا نهايتك. وأنا أريد نُصحك. فقد أنقذتني من أن يلصق نونان التهمة بي. ولهذا أنصحك، انسَ الأمر وعُد إلى سان فرانسيسكو.»

قلت: «وأنا أيضًا أريد صالحك. ولذلك أقول لك ابتعد عنهم. فقد خانوك مرة. وسيخونونك مرة أخرى. على أي حال، هم في طريقهم إلى الهاوية. فابتعد عنهم ما دامت أمامك الفرصة.»

قال: «أنا في وضع جيد. كما أنني أستطيع الاعتناء بنفسي.»

«لعلك كذلك. لكنك تعلم أن الكسب غير المشروع لا يدوم. وقد أخذتَ نصيبك من الغنيمة. وحان الآن وقت الفرار.»

هز رأسه الصغير الداكن وأخبرني:

«أعتقد أنك تمتلك المهارة، ولكن لا أظن أنك تملك القدرة الكافية كي تقضي على هذا المعسكر. إنه شديد التحصين. ولو أعلم أن لديك القدرة على ذلك، لوقفت بجانبك. فأنت تعرف مدى كرهي لنونان. ولكنك لن تستطيع البتة. فانسَ الأمر.»

«لا. لن أدع هذا الأمر حتى أنفق آخر سنت من العشرة آلاف دولار التي أخذتها من إيليو.»

قالت دينا براند وهي تتثاءب: «لقد قلت لك كم هو عنيد ولا يسمع لرأي أحد. هلَّا تأتي لنا بشرابٍ يا دان؟»

نهض الشاب عن الطاولة وخرج من الغرفة.

هز ثيلر كتفَيه وقال:

«اتبع الطريقة التي تَرُوقك. أظنك تعلم ما تفعل. هل ستحضر مباريات الملاكمة مساء غد؟»

قلت أظنني سأفعل. أتى دان رولف ومعه شراب الجِن وبعض المسليات. ثم احتسى كل واحد كأسين. وفي هذا الوقت، تحدثنا عن مباريات الملاكمة. ولكن لم نقُل شيئًا جديدًا بشأن معركتي مع بويزونفيل. يبدو أن المقامر قد نفض يدَيه عني، ولكن يبدو أنه لا يلوم عليَّ إصراري. بل إنه قال كلامًا في ظاهره النُّصح بشأن مباريات الملاكمة تلك؛ فقد قال لي إنه في أي رهان على المباراة الحاسمة، حريٌّ بالمراهن أن يُبقي في عقله أن كيد كوبر يمكن أن يهزم أيك بوش في الجولة السادسة. يبدو أنه يعلم ما يتحدث عنه، ولكن يبدو أنه لم يأتِ بما لم يعلمه الآخرون.

غادرت بعد الساعة الحادية عشرة بقليل، ورجعت إلى الفندق من دون أن تقع أحداث جديدة.

الفصل التاسع

سكِّين أسود

استيقظت في صباح اليوم التالي بفكرة تبادرت إلى ذهني. والفكرة هي أن تعداد بيرسونفيل لا يتجاوز أربعين ألف نسمة. ومن ثَم لن أواجه صعوبةً في نشر الأخبار. وفي الساعة العاشرة، خرجت إلى الشارع كي أنشر الخبر.

نشرت الأخبار في صالات البلياردو ومتاجر السجائر والحانات، ومتاجر المشروبات الغازية، وعلى نواصي الطرقات، وحيثما وجدتُ رجلًا أو رجلَين يتسكعان. ومن أمثلة أسلوبي في نشر الأخبار:

«هل أجد معك عود ثقاب؟ ... شكرًا ... هل ستشاهدون مباريات الملاكمة الليلة؟ ... سمعت أن أيك بوش سيُهزَم بالضربة القاضية في الجولة السادسة ... ومن باب تحري الدقة، فإن مصدر معلوماتي هو ويسبر ... نعم، جميع المعلومات.»

يحب الناس المعلومات الحصرية، وأي أخبار يُذكَر فيها اسم ثيلر فهي معلومات حصرية في بيرسونفيل. انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم. إذ اجتهد نصف مَن نقلت لهم الأخبار في نشرها مثلي، وليس لهم هدفٌ سوى إظهار أنهم على علم بما يجري.

عندما بدأت نشر الخبر، كانت نسبة المراهنات تبلغ سبعة إلى أربعة لصالح فوز أيك بوش، وبلغت اثنان إلى ثلاثة لصالح فوزه بالضربة القاضية. وبحلول الساعة الثانية، لم تطرح منافذ قبول المراهنات عروضًا أفضل من تساوي نسبة المراهنات، لكن بحلول الساعة الثالثة والنصف، بلغت نسبة المراهنات اثنين إلى واحد لصالح فوز كيد كوبر.

كانت محطتي الأخيرة في مطعم للوجبات السريعة، وبينما أتناول شطيرة لحم بقري ساخنة، نقلت الأخبار إلى نادل واثنَين من الزبائن.

حين خرجت، وجدت رجلًا في انتظاري عند الباب. ساقاه فيهما تقوُّس، وفكُّه مدبَّب طويل مثل فك الخنزير. أومأ إليَّ، ومشى بجانبي وهو يضع خلالة أسنان في فمه، ويتحول ببصره إلى وجهي من الجنب. لما وصلنا ناصية الشارع قال:

«أعلم يقينًا أن ما نشرتَه ليس صحيحًا.»

سألته: «ماذا تقصد؟»

«أقصد هزيمة أيك بوش. أعلم يقينًا أنه لن يُهزم.»

«إذن، فلا ينبغي أن تنزعج البتة. ولكن الرهانات المستقاة من المعلومات تبلغ نسبتها اثنين إلى واحد لصالح كوبر، وهو لا يتمتع بهذا القدر من المهارة ما لم يدعْ له بوش مساحة.»

لفظ فكُّ الخنزير خلالة الأسنان المحطَّمة، وكَشَر عن أسنان صفراء في وجهي.

«أخبرني بنفسه البارحةَ أنه خُطِّط كي يكون كوبر هو الفائز، وما كان ليفعل شيئًا كهذا ... ليس بي.»

«هل أنتما صديقان؟»

«ليس بالضبط، ولكنه يعرف أني ... اسمع! اصدُقني القول، هل أخبرك ويسبر بهذه المعلومة؟»

«إني أَصدُقك القول.»

انهال عليه بسبٍّ لاذع. «لقد راهنت بآخر خمسة وثلاثين دولارًا معي على هذا الوغد بناءً على كلامه معي. أنا، هذا سيجرُّ عليه ...» ثم توقَّف عن الكلام وتطلَّع ببصره إلى الشارع.

سألته: «ماذا سيجرُّ هذا عليه؟»

قال: «الكثير. لا شيء.»

خطر على بالي اقتراح:

«إذا كانت لديك معلوماتٌ عنه، فهلَّا تُحدِّثني عنها. وأنا نفسي لا مشكلة لديَّ في أن يفوز بوش. وإذا كانت لديك أيُّ معلومة تفيده، فما المانع من أن تنقلها له؟»

نظر إليَّ بطرَف عينه، وتحسَّس جيب صَدريَّته بحثًا عن خلالةٍ أخرى، ووضعها في فمه ثم تمتم سائلًا:

«ما اسمك؟»

أعطيته اسمًا، مثل هانتر أو هانت أو هانتينجتون، وسألته عن اسمه. قال إن اسمه ماكسوين، بوب ماكسوين، وبإمكاني أن أسأل أي أحدٍ في المدينة كي يتأكد.

قلت إني أصدقه وسألته:

«ما رأيك؟ هل ستضع رهانك على بوش؟»

لمعت عيناه بفكرة، ثم تلاشى هذا اللمعان.

ابتلع ريقه وقال: «لا. لست هذا النوع من الرجال. فأنا لم ...»

«أنت لا تفعل شيئًا غير أن تترك الناس يخدعونك. لستَ مضطرًّا إلى أن تُجابِهه يا ماكسوين. ما عليك سوى أن تُدلي بما عندك، وأنا سأتولَّى الأمر ... إن كانت المعلومات مفيدة.»

جالت الفكرة في ذهنه، وأخذ يلعق شفتَيه حتى سقطت الخلالة من فمه، واستقرَّت على معطفه من جهة الأمام.

سأل: «لن تفشي سر مساعدتي لك، أليس كذلك؟ فأنا أعيش هنا، وسيُحدِق الخطر بي إن عُرف أني كشفت هذه المعلومات. وأنت، هل ستُطلِعه على هذه المعلومات؟ هل ستستخدمها فقط كي تجعله يقاتل؟»

«نعم.»

أخذ يدي منفعلًا وألحَّ في سؤاله:

«أصدقًا ما تقول؟»

«أجل.»

«اسمه الحقيقي آل كينيدي. وهو أحد أفراد عصابة سيسورز هاجرتي، التي سطَت على مؤسسة «كيستون تراست» في فيلادلفيا قبل عامَين، وقد قُتل في هذه الجريمة ساعيان. آل كينيدي لم يَقتل، ولكنه شارك في الجريمة. وعلى إثر ذلك ظل يتنقَّل في أرجاء فيلادلفيا. أُلقي القبض على باقي العصابة، ولكنه تمكَّن من الهرب. وهذا سبب اختبائه هنا في هذه المنطقة النائية. وهو سبب عدم السماح بنشر صورة وجهه في الجرائد، أو في أي مادة ترويجية أخرى. وهو أيضًا سبب تصنُّع الضعف مع أنه الأفضل. هل تفهم ما أقول؟ أيك بوش هو آل كينيدي الذي تبحث عنه شرطة فيلادلفيا بسبب مشاركته في جريمة كيستون. هل تفهم ما أقول؟ لقد تورَّط في ...»

أوقفت هذا السيل المُنهال: «لقد فهمت، لقد فهمت. الخطوة التالية هي التوصل إليه. فكيف لنا أن نرتب لذلك؟»

«إنه يمكث في فندق «ماكسويل»، في شارع يونيون. وأظنه موجودًا هناك الآن، يستريح من أجل المباراة الطاحنة.»

«يستريح من أجل ماذا؟ إنه لا يعرف أنه سيشترك في المباراة. لكننا سنحاول.»

«أتتحدث بضمير الجمع! ومن أين أتيت بضمير الجمع؟ لقد قلتَ ... لقد أقسمتَ على ألا يعرف أحدٌ أمري.»

قلت: «أجل، تذكرتُ الآن. كيف هو شكله؟»

«إنه فتًى أسود شعر الرأس، بجسم رياضي، يرتدي سماعةً في إحدى أذنَيه، متصل الحاجبَين. ولكني لست متأكدًا من قدرتك عًلى إقناعه.»

«اترك هذه المسألة لي. أين سأجدك بعد ذلك؟»

«ستجدني أتسكع بالقرب من صالة ماري. احرص على ألَّا تذكر اسمي. لقد وعدتني.»

* * *

ماكسويل هو فندق من بين دزينة من الفنادق التي تقع في شارع يونيون، أبواب واجهته ضيقة ومفتوحة بين المتاجر، وله سُلم متهالك يؤدي إلى مكتب الاستقبال في الطابق الثاني. ومكتب استقبال فندق «ماكسويل» هو مجرد مكان واسع في الصالة، به رف لحمل المفاتيح ورسائل البريد خلف منضدة خشبية بحاجة ملحَّة إلى الدهان. يقبع على المنضدة جرس نُحاسي فوق دفتر رثٍّ لتسجيل النزلاء. ولما صعدت لم أجد أحدًا في المكتب.

اضطُررت إلى تصفُّح ثماني صفحات إلى الوراء، قبل أن أعثر في الدفتر على قيد أيك بوش، مدينة سولت ليك، غرفة ٢١٤. وجدت الفتحة الخاصة بمفتاح هذه الغرفة خالية. فصعدت بضع درجات وطرقت الباب الذي يحمل هذا الرقم. لكن لم يردَّ عليَّ أحد. طرقت مرتين أو ثلاثًا، ثم عدت أدراجي إلى السلم.

سمعت طَرق نعال تصعد السلم. حينئذٍ وقفت عند أعلى السلم كي أنظر مَن الصاعد. كانت الإضاءة تكاد تكون كافية لمشاهدة الشخص.

أبصرت شابًّا ممشوق القوام مفتول العضلات، يرتدي قميصًا عسكريًّا وبدلة زرقاء وقبعة رمادية. حاجباه أسودان، يرسمان خطًّا فوق عينيه.

قلت: «مرحبًا.»

أومأ من دون أن يتوقف أو يتفوه بكلمة.

سألته: «هل ستفوز الليلة؟»

اقتضب حديثه وهو يجتازني: «أرجو ذلك.»

تركته يسير أربع خطوات صوب غرفته قبل أن أقول له:

«وأنا أرجو لك ذلك. فإني لا أحب أن أعيدك إلى فيلادلفيا يا آل.»

خطا خطوة أخرى، والْتفت ببطء بالغ، وأسند كتفه إلى الجدار، ونظر بعينين كأن النعاس يداعبهما، وقال بصوت غليظ:

«ماذا؟»

قلت: «إن هُزمت في الجولة السادسة أو في أي جولة أخرى أمام أخرق مثل كيد كوبر، فستُضرِم غيظي. لا تفعل يا آل. فأنت لا تريد العودة إلى فيلادلفيا.»

طأطأ الشاب رأسه وأتى نحوي. وحين أصبح على مدى ذراع مني، توقف والْتفت بجنبه الأيسر قليلًا بين يدي. كانت يداه مرتخيتَين إلى جانبه. أما أنا فكانت يداي في جيوب معطفي.

قال: «ماذا؟» مرة أخرى.

قلت:

«احفظ عني جيدًا ... إذا لم يفُز أيك بوش الليلة في المباراة، فسيذهب آل كينيدي شرقًا في الصباح.»

رفع كتفه اليسرى مقدار بوصة. وأنا حرَّكت مسدسي في جيبي بالقدر الملائم. قال متذمرًا:

«ومن أين علمت أني لن أفوز؟»

«مجرد أخبار ترامَت إلى سمعي. ولا أظنك ستكسب من ذلك شيئًا سوى تذكرة عودة إلى فيلادلفيا.»

«كم أريد أن أكسر عظامك أيها المخادع البدين.»

نصحته: «ها أنا أمامك الآن. وإذا فُزت الليلة، فربما لن تراني ثانيةً. أما إن خسرت، فستراني ولكن لن أترك يدَيك طليقتَين.»

عثرت على ماكسوين في صالة بلياردو ماري الكائنة في شارع برودواي.

سأل: «هل عثرتَ عليه؟»

«نعم. لقد سويتُ المسألة ... وإذا لم يغادر المدينة، أو لم يقل شيئًا لداعميه، أو لم يهتم لأمري، أو ...»

كان ماكسوين شديد العصبية والتوتر.

وحذَّرني: «يجدر بك أن تتوخَّى أقصى درجات الحذر. فربما يحاولون التخلص منك. إنه ... يجب أن أقابل شخصًا في الشارع»، ومن ثَم تركني.

* * *

تقام مباريات الملاكمة الاحترافية في بويزونفيل في مبنًى خشبيٍّ كبيرٍ كان فيما مضى كازينو قمار، داخل متنزَّه على أطراف المدينة. حين وصلت في الساعة الثامنة والنصف، رأيت أن معظم السكان متواجدون في المكان، وقد اصطفُّوا في صفوف ضيقة على كراسيَّ قابلة للطي في الطابق الأرضي، واصطفوا في صفوف أضيق على المقاعد المنشأة في شرفتَين صغيرتَين.

دخان. رائحة كريهة. حرارة. ضوضاء.

اتخذت مقعدًا في الصف الثالث إلى جانب الحَلْبة. وفي طريقي إلى المقعد، رأيت دان رولف في مقعد بجانب الممر ليس بعيدًا عن مقعدي، وكانت دينا براند بجانبه. أخيرًا شذَّبَت شعرها وصفَّفَته، وقد أوحى مظهرها بالثراء حين ارتدت معطف فرو كبيرًا ذا لون رمادي.

بعدما تبادلنا التحيات، سألَت: «هل ستراهن على كوبر؟»

«لا. هل راهنتِ عليه بمبلغ كبير؟»

«ليس مبلغًا كبيرًا كما أردت. لقد تراجعنا على أمل أن تتحسن الاحتمالات، ولكنها ساءت.»

قلت: «يبدو أن كل مَن في المدينة يعلم أن بوش سيتعمد خسارة المباراة. فمنذ بضع دقائق، رأيت أنه يوجد مائة رهان لصالح كوبر، وهذه النسبة تبلغ أربعة إلى واحد لصالحه.» ملتُ متجاوزًا رولف ووضعت فمي في مكان قريب من ياقة الفرو الرمادي التي تخفي أذن الفتاة، وهمست قائلًا: «لن يتعمد الخسارة اليوم. أنصحك أن تغيري رِهانك ما دامت الفرصة سانحة.»

اتسعت عيناها الكبيرتان، وارتسمت فيهما تعابير جادة تمزج بين القلق والطمع والفضول والشك.

سألت بصوت خافت: «هل أنت جاد؟»

«نعم.»

عضَّت على شفتها الحمراء، وقطَّبت جبينها، ثم سألت:

«من أين حصلت على هذه المعلومات؟»

لم أخبرها. ومن ثَم عضت على شفتها مرة أخرى وسألت:

«هل ماكس مشارك في ذلك؟»

«أنا لم أرَه. هل هو هنا؟»

قالت وهي شاردة، وعيناها تنظران بعيدًا: «أظن ذلك.» وأنبأَت حركاتُ شفتَيها بأنها تَحسُب الأموال في عقلها.

قلت: «يمكنكِ أن تصدقيني أو لا تصدقيني، ولكن حدسي يخبرني بذلك.»

مالت إلى الأمام ورمقتني بنظرة حادة في عينيَّ، وصكَّت أسنانَها بعضَها ببعض، وفتحت حقيبتها وأخرجت رزمة من النقود بحجم علبة قهوة. ومدَّت يدها بجزءٍ من الرزمة إلى رولف.

«خذ هذه الأموال يا دان وراهن على بوش. وعلى أي حال، فلا يزال أمامنا ساعة ندرس فيها الاحتمالات.»

أخذ رولف النقود وانطلق في طريقه لينجز ما أُوكلَ إليه. جلست أنا مكانه. فوضعت يدها على ساعدي وقالت:

«لن تنجو من يدي إن تسببت في خسارتي.»

تظاهرت بأن الفكرة سخيفة.

بدأت المباريات التمهيدية، وكانت أربع جولات بين مجموعة من الهواة. وظللت أرقب بعيني بحثًا عن ثيلر ولكني لم أرَه. أما الفتاة فقد جلست بجانبي متململة، ولم تُعِر المباريات كثيرًا من الانتباه، بل إنها قسَّمت وقتها ما بين سؤالي عن مصدر معلوماتي، وإطلاق التهديدات بالعذاب وصبِّ اللعنات إن تبيَّن زيفُ معلوماتي.

كانت المباراة نصف النهائية قد بدأت، حين عاد رولف وأعطى الفتاة حَفنة من التذاكر. تركتُها تحدِّق فيها حين انتقلت إلى مقعدي. ومن دون أن ترفع نظرها، نادت عليَّ وقالت:

«انتظرنا بالخارج بعد انتهاء الحدث.»

لما كنت أمرُّ بين الحشد في طريقي إلى المقعد، صعد كيد كوبر إلى الحلبة. كان فتًى صُلب البنية، له شعر أصفر مائل إلى الحمرة، ووجهٌ به ندوب، وكان كثير اللحم في المنطقة التي تعلو سرواله الأرجواني القصير. ودخل أيك بوش — أو على الأحرى آل كينيدي — إلى الحلبة من بين الحبال في الزاوية المقابلة. بدا جسمه أفضل؛ حيث كان ممشوقًا مفتول العضلات، يتمتع باللُّدونة، ولكن بدا الشحوب والقلق على وجهه.

ألقيا التحية ووقفا في منتصف الحلبة من أجل تلقِّي التعليمات المعتادة، ورجع كلٌّ منهما إلى زاويته وخلع رداءه، ومارس بعض تمارين التمدد على الحبال، ثم دقَّ الناقوس وبدأ النزال.

لم يكن كوبر ملاكمًا محترفًا. ومع ذلك فإن لكماته قوية يمكن أن تؤذي الخصم إن تلقَّاها، ولكن بإمكان أي خصم يقف على ساقَين أن يتفاداها. أما بوش، فكان يتمتع بالمهارة وسرعة الحركة في استخدام ساقَيه، كما يتمتع بسلاسة وسرعة الحركة في يده اليسرى ويده اليمنى. وإنزال كوبر في حلبة أمام فتًى ممشوق القَوام ظلمٌ له إن كان يحاول. لكن لم يكن يحاول. أقصد بالمحاولة هنا محاولة أن يفوز. بل كان يحاول ألَّا يفوز، كانت يداه توحيان بذلك بشكلٍ ملحوظ.

اتَّسمت حركة كوبر داخل الحلبة بثِقَل القدمين، وتوجيه اللكمات إلى أي شيءٍ يأتي أمامه، بدايةً من المصابيح وحتى دعامات الزوايا. كان أسلوبه في النزال أن يوجِّه اللكمات ويدعها تضرب أي شيء يأتي أمامه. أما بوش، فكان رشيق الحركة، ويوجِّه لكماته إلى الفتى صاحب الشعر المحمرِّ متى أراد، ولكنه لم يستعمل فيها قوته الحقيقية.

بدأ الجمهور يصدر صيحات الاستهجان قبل انتهاء الجولة الأولى. وافتقرت الجولة الثانية إلى الإثارة. لم يساورني شعور جيد. وكأن بوش لم يتأثر كثيرًا بمحادثتي القصيرة معه. ولما

نظرت إلى دينا براند بطرف عيني، وجدتها تحاول أن تلفت انتباهي. فقد رأيت الانفعال في محيَّاها. ولذا حرصتُ على ألَّا تدرك أنها لفتت انتباهي.

في الجولة الثالثة، استمر أداء الخصمَين على المنوال ذاته، وصحبَته صيحات المتفرجين، مثل: «ارمِه خارج الحلبة»، و«هذا ليس قتالًا، بل عناق»، و«أجبرْه على القتال». لكن تراقُص اللاعبَيْن أحضرهما إلى الزاوية الأقرب إليَّ حين توقفت صيحات الاستهجان للحظة.

ضممت يديَّ كي تكون بمثابة مكبِّر صوت وصحتُ:

«ستعود إلى فيلادلفيا يا آل.»

كان ظهر بوش لي. وأخذ يناور كوبر في الحلبة ودفعه إلى الحبال؛ ومن ثَم أصبح بوش في مواجهتي.

ومن مكان ما بعيد في جزء آخر من الصالة من الخلف، صدرت صيحة أخرى:

«ستعود إلى فيلادلفيا يا آل.»

فطنت إلى أن الصائح كان ماكسوين.

صاح سكران وجهه منتفخ قابع في أحد جوانب الصالة بالعبارة نفسها، وكأنها مزحة كبيرة. انطلق الآخرون في إطلاق الصيحة نفسها ليس لسببٍ غير أنها بدت تزعج بوش.

جال ببصره من جانب إلى آخر من تحت حاجبَيه الأسودَين.

وحينها وجَّه كوبر لكمة عنيفة إلى صاحب القوام الممشوق في أحد جانبَي فكِّه.

أردَت هذه اللكمة أيك بوش عند أقدام الحكم.

عدَّ الحكم إلى خمسة في غضون ثانيتَين، ولكن صوت إعلان انتهاء الجولة أوقفه.

نظرتُ إلى دينا براند وضحكتُ. لم يكن ثمة شيء آخر يُفعل. ولكنها نظرت إليَّ من دون أن تضحك. بدا المرضُ على وجهها مثل وجه دان رولف، ولكنه في الوقت نفسه اكتسى بالغضب.

قام فريق بوش بسحبه إلى زاويته وأخذوا يدلكونه، لكن ليس بشدَّة. فتح بوش عينَيه ونظر إلى قدمَيه. ثم دقَّ الناقوس معلنًا عن بَدْء الجولة التالية.

تقدم كيد كوبر وهندمَ سرواله القصير. انتظر بوش حتى أصبح خصمه في منتصف الحلبة، ثم تقدَّم إليه مسرعًا.

وجَّه بوش لكمة بيده اليسرى لبطن كوبر، ولم تُرَ من سرعتها. تأوَّه كوبر وهو يتقهقر، وأمسك بطنه وتطوَّى على نفسه.

أنهضه بوش بنكزةٍ من يده اليمنى في فمه، ووجَّه له لكمة باليد اليسرى مرة أخرى. تأوَّه كوبر مرة أخرى واختل توازنه.

لطمه بوش مرة أخرى على جانبَي رأسه، وضبط وضعية يده اليمنى، ودفع وجه كوبر إلى الوضع المناسب، ووجَّه لكمةً قويةً إلى وجه كوبر بيده اليسرى، ثم سدَّد لكمة مباشرة من يده اليمنى من أسفل فكه إلى فك كوبر.

شعر كلُّ مَن في الصالة بقوة اللكمة.

خرَّ كوبر، وارتجَّ جسمه على الأرض، ولم ينهض. ولكن الحكم هذه المرة استغرق نصف دقيقة حتى يعد إلى عشرة. وحتى لو استغرق نصف ساعة حتى يعد إلى عشرة، فلن تتغير النتيجة. فقد أصبح كيد كوبر خارج النزال.

حين توقف الحكم في النهاية عن العد، رفع يد بوش. ولكن لم أرَ السعادة على وجه أيٍّ منهما.

انتبهت إلى وميض قوي. فقد انعكس الضوء على شيء فضي يندفع من إحدى الشرفتَين الصغيرتَين.

حينئذٍ صرخت امرأة.

انتهى الوميض الفضي في وسط الحلبة، وصَحِبه صوت ارتطام قوي.

أُفلتَ ذراع أيك بوش من يد الحكم وخرَّ فوق كيد كوبر. وحينئذٍ رأينا سكينًا بمقبض أسود مغروسًا في قفا بوش.

الفصل العاشر

مطلوب جريمة، رجل أو امرأة

بعد نصف ساعة، خرجتُ من الصالة، ورأيت دينا براند جالسةً خلف مقود سيارة من طراز مارمون، لونها أزرق فاتح، وتتحدث إلى ماكس ثيلر؛ إذ كان واقفًا في الطريق.

اشرأبَّتِ الفتاة بذقنها العريض إلى أعلى. وقد تلفَّظَت بكلماتٍ قاسية من بين شفتَيها الغليظتَين، وأمست الخطوط على طرفَي فمها عميقة وظاهرة.

رأيتُ الامتعاض في وجه المقامر مثلما رأيته في وجهها. فقد اصفرَّ وجهه المليح، وظهرت الصرامة في ملامحه. كانت شفتاه رفيعتَين للغاية حين كان يتحدث.

وكأني بهما زوجان لطيفان يتحدثان أحدُهما للآخر. وما كنت لأنضمَّ إليهما لولا أن الفتاة رأَتْني ونادَت عليَّ:

«بحقك، ظننتك لن تأتي أبدًا.»

سرت إلى السيارة. رمقني ثيلر من الجانب الآخر من غطاء المحرك بنظرة خلَت من كل معاني اللطف.

وتحدث إليَّ بصوته الهامس، لكن همسه كان أقسى من صراخ أي أحد آخر: «نصحتك البارحةَ بالرجوع إلى سان فرانسيسكو. والآن آمرك بأن تفعل.»

ولما ركبت بجانب الفتاة، قلت: «أشكرك مثلما شكرتك في المرة الأولى.»

ولما شرعَتِ الفتاة في تشغيل المحرك، قال لها:

«هذه ليست المرة الأولى التي تبيعينني فيها. ولكنها ستكون الأخيرة.»

ولما تحركت بالسيارة، أدارت رأسها ونظرت من فوق كتفها وغنَّت له:

«فلتذهب إلى الجحيم يا عزيزي!»

قادت بنا داخل المدينة بسرعة.

وحين انعطفت بالسيارة إلى شارع برودواي، سألَت: «هل مات بوش؟»

«لا شك. فحين قلَبوه وجدوا أن طرَف السكين بارز من مقدمة عنقه.»

«كان الأجدر به أن يعرف تبعات الأمر قبل أن يخدعهم. لِنأتِ بشيء نأكله. فقد كسبتُ نحو ألف ومائة دولار من رِهانات الليلة، وهو أمر مؤسف إن لم يفرح صديقي لذلك. ما الذي كسبتَه أنت الليلة؟»

«لم أضع رهانًا. إذن لا يروق الأمر لماكس؟»

صاحت: «لم تضع رهانًا؟ أي أحمق أنت؟ أي شخص لا يحاول أن يضع رهانًا ومعه معلومات تضمن له المكسب؟»

«لم أكن متأكدًا من أن المكسب مضمون. إذن لم يَرُق لماكس ما آلت إليه الأمور؟»

«أجل. فقد خسر مبلغًا كبيرًا. وهو حانق عليَّ لأنني أدركت ضرورة تغيير رهاني وحصلت على المكسب.» أوقفت دينا السيارة بعنف أمام مطعم صيني. وقالت: «ليذهب إلى الجحيم، دعك من هذا النكرة!»

رأيت لمعانًا في عينَيها؛ لأنهما كانتا مغرورقتين بالدموع. ومن ثَم أخذَت منديلًا ومسحتهما به بعصبية ونحن نخرج من السيارة.

قالت وهي تجرُّني على الرصيف: «يا إلهي، إني أشعر بالجوع. هلا تشتري لي طنًّا من أطباق تشاو مين؟»

بالطبع لم تأكل طنًّا منها، ولكنها تناولت كمية كبيرة، حيث إنها الْتهمت طبقها الممتلئ ونصف طبقي. بعد ذلك عدنا إلى السيارة وانطلقنا إلى منزلها.

كان دان رولف في غرفة الطعام. رأينا أمامه كوب ماء وقِنِّينة بنِّية اللون ليس عليها مُلصَق. وقد جلس منتصبَ الظهر في كرسيه يحملق في الزجاجة. كذلك شممنا رائحة صبغة الأفيون تفوح في الغرفة.

خلعت دينا براند معطف الفرو الخاص بها وألقَت به، فبات نصفه على الكرسي والنصف الآخر على الأرض، وطقطقت بإصبعَيها إلى المسلول، وقالت بنبرةٍ تنمُّ عن نفاد صبرها:

«هل جمعت الأموال؟»

ومن دون أن يرفع بصره عن الزجاجة، أخرج رزمة نقودٍ من جيبه الداخلي ورماها على المائدة. أخذت الفتاة النقود وعدَّتها مرتَين ولعقت شفتَيها، ثم وضعتها في حقيبتها.

خرجت إلى المطبخ وبدأت في تكسير الثلج. ومن ثَم جلستُ وأشعلتُ سيجارة. ولا يزال رولف يحملق في زجاجته. يبدو أن جَعبة كلٍّ منا خالية من المواضيع التي يمكن أن نتناقش فيها. بعد فترة وجيزة، دخلت الفتاة ومعها شراب الجِن وعصير الليمون ومياه معدنية فوارة وثلج.

احتسينا الشراب، وأخبرَت رولف:

«ماكس يستشيط غضبًا. فقد سمع أنك غيرت الرهان إلى بوش في اللحظة الأخيرة، ويعتقد هذا القرد الصغير أني خدعته. وما شأني أنا بذلك؟ وجُل ما فعلته كان سيفعله أي إنسان عاقل ... أن أراهن على الفائز.» ثم سألتني: «وأنا لا علاقة لي بما حدث مطلقًا، أليس كذلك؟»

«بلى، لا علاقة لكِ به.»

«بالطبع لا علاقة لي به. الخَطب مع ماكس أنه يخشى أن يعتقد الآخرون أنه متورط في المسألة أيضًا، أن دان غيَّر رهانه كما غيَّر رهاني. ولكن هذا حظه العاثر. وأنا لن أشغل بالي بمشكلات هذا النكرة الوغد مع الآخرين. لنَحتَسِ كأسًا أخرى.»

صبَّت كأسًا أخرى لها ولي. ولم يكن رولف قد مسَّ كأسه الأولى. ثم قال وهو لا يزال يحملق في الزجاجة البُنِّية:

«ليس معقولًا أن تتوقعي منه أن يطير من السعادة بما حدث.»

نظرَت الفتاة إليه شزْرًا واعترضت قائلة:

«أنا أتوقع أي شيء كما يحلو لي. ولا يحق له أن يتحدث معي بهذه الطريقة. فأنا لست جاريته. ربما هو يعتبرني كذلك، ولكني سأُريه أنه مخطئ.» احتسَت كأسها ووضعتها بقوةٍ على المائدة، والْتفتت بكرسيها كي تتوجه إليَّ. «هل حقًّا أخذتَ عشرة آلاف دولار من إيليو ويلسون كي تستعملها في تنظيف المدينة؟»

«نعم.»

لمعت عيناها الحمراوان شرهًا.

«وإن ساعدتُك، فهل سأحصل على جزءٍ من العشرة ...؟»

تحدث رولف بصوتٍ أجشَّ حازم ولكنه يتخلله شيء من اللطف، وكأنه يتحدث إلى طفل: «لا يمكنكِ فعل ذلك يا دينا. وإن فعلتِ، فستكون هذه وضاعة.»

استدارَت الفتاة بوجهها نحوه ببطء. وتغيَّر مظهر فمها إلى المظهر الذي بدا عليه حين كانت تتحدث إلى ثيلر.

قالت: «بل سأفعل. وسأكون وضيعةً حقًّا، أليس كذلك؟»

لم ينبس ببنت شفة، ولم يرفع بصره عن الزجاجة. وقد احمرَّ وجهها وظهرت فيه علامات الغلظة والقسوة. كان صوتها ناعمًا إذ هَدَلَت:

«إنه لا يليق برجل في نُبلك — حتى وإن كان مصابًا بالسل — أن يرتبط بامرأة وضيعة مثلي.»

قال بنبرة بطيئة وهو ينهض: «هذه المسألة يمكن علاجها.» فقد كان مخمورًا بسبب صبغة الأفيون.

قفزت دينا براند من كرسيها وأسرعت إلى حيث هو حول المائدة. نظر إليها بعينَين خاملتَين. وحينها قربت وجهها من وجهه وسألته:

«إذن، أنا وضيعةٌ تمامًا في نظرك الآن، أليس كذلك؟»

قال بنبرة هادئة:

«بل قلت إن خيانة أصدقائك من أجل هذا الرجل وضاعة، وهي كذلك بالفعل.»

أمسكَت أحد رُسْغيه الرفيعين ولوَته حتى جثا على ركبتيه. فتحت يدها الأخرى ولطمت وجهه الهزيل ست لطمات على كل جانب؛ إذ كانت ترجُّ رأسه من جانب إلى آخر. ورغم قدرته على وَضْع ذراعه الطليقة درعًا أمام وجهه، إلا أنه لم يفعل.

أفلتت رُسغه وأدارت ظهرها له، ومشت إلى شراب الجِن والمياه المعدنية الفوارة. ارتسمت ابتسامة على شفتيها. ولكن لم تعجبني تلك الابتسامة.

نهض وهو يرمش بعينيه. لقد احمر مكان قبضتها في رسغه، وأصيب وجهه بكدمات.

ثبَّت نفسه واقفًا ونظر إليَّ بعينَين غائمتَين.

ومن دون تغيير في هدوء وجهه وعينَيه، أدخل يده في معطفه وأخرج مسدسًا أوتوماتيكيًّا وأطلق الرصاص عليَّ.

ولكن بسبب ارتعاش جسده، لم يكن تصويبُه بالسرعة والدقة المطلوبتَين. ومن ثَم فقد سنح لي الوقت كي أرمي كوبًا عليه. أصابه الكوب في كتفه. ولذا أخطأتني الرصاصة.

قفزتُ قبل أن يتمكَّن من إطلاق الرصاصة الثانية — قفزت باتجاهه — حتى أصبحت على مسافةٍ تُتيح لي أن أطرح السلاح أرضًا من يده. ومن ثَم انطلقت الرصاصة الثانية على الأرض.

وجَّهتُ له لكمةً في فكه. وعلى إثرها سقط على الأرض بعيدًا عني، وظل قابعًا في مكان سقوطه.

حينئذٍ الْتفت.

رأيت دينا براند تستعد كي تضربني على رأسي بزجاجة الصودا، وهي عبارة عن زجاجة ثقيلة يمكن أن تهشِّم جمجمتي.

صرخت فيها: «لا تفعلي.»

زمجرَت: «ما كان ينبغي أن تضربه بهذا الشكل.»

«حسنًا، لقد انتهى الأمر. الأفضل أن تساعديه على النهوض.»

وضعَتِ الزجاجة، وساعدتُها في حمله إلى غرفة نومه. لما بدأ يحرِّك عينَيه، تركتها تكمل هذه المهمة وذهبت إلى غرفة الطعام مرة أخرى. وهي لحقتني إلى الغرفة بعد خمس عشرة دقيقة.

قالت: «إنه بخير. ولكن كان بإمكانك معالجة المسألة بطريقة غير التي اتبعتها.»

«أعلم، ولكني فعلت هذا من أجله. هل تعلمين لماذا حاول قتلي بالرصاص؟»

«هل بهدف ألَّا أجد أحدًا أبيع ماكس لأجله؟»

«لا. بل لأني رأيتكِ تضربينه ضربًا مبرِّحًا.»

قالت: «ما تقوله ليس منطقيًّا بالنسبة إليَّ. فأنا التي ضربته.»

«إنه واقع في حبك، وهذه ليست المرة الأولى التي تضربينه فيها. وقد تصرَّف وكأنه يعلم أن قوته لا تبلغ قوتك. ولكن لا تتوقَّعي أن يُسَرَّ حين يراه رجلٌ آخر وأنت تصفعينه.»

تذمرت: «ظننت أني أفهم الرجال، ولكن، يا إلهي! إني لا أفهمهم. فكلهم مجانين.»

«ولذا لكمته كي أعيد له قدرًا من احترامه لذاته. كما تعلمين، عاملته على أنه رجل، ولم أعامله على أنه رجل معتلُّ الصحة يمكن أن تصفعه امرأة.»

تنهدت: «كما ترى. لنُنهِ المناقشة الآن. ولنتناول شرابًا.»

احتسينا الشراب وقلت:

«قلتِ إنك على استعداد للعمل معي، إذا اقتطعت لك مبلغًا من الأموال التي أخذتها من ويلسون. وأنا موافق على العرض.»

«كم ستدفع لي؟»

«سأدفع لك مبلغًا معقولًا. سأدفع مبلغًا يساوي قيمة مساعدتك.»

«لست على يقين من تقديرك.»

«وأنا أيضًا لست على يقين من قيمة مساعدتك.»

«حقًّا؟ يمكنني أن أعطيك معلومات هائلة أيها الأخ، ولا تظن أني لا أستطيع. فأنا فتاة تعرف بويزونفيل حق المعرفة.» نظرَت إلى الأسفل، إلى ركبتيها ذواتي الجوربين الرماديين، ولوَّحت بساقها نحوي، وصاحت ساخطة: «انظر إلى هذا. قطع آخر. هل رأيت شيئًا كهذا من قبل؟ يا ربي! سأمشي حافية.»

قلت لها: «لديك ساقان ضخمتان. ولذلك يكون الجورب مشدودًا للغاية فينقطع.»

«دعك من هذا. ما الأفكار التي لديك بشأن طريقة تطهير القرية؟»

«إذا لم تكن المعلومات التي لديَّ مكذوبة، فإن ثيلر وبِيت الفنلندي وليو يارد ونونان هم المسئولون عن تحويل بويزونفيل إلى هذا المستنقع الذي فاحت منه الرائحة الكريهة. بالطبع يقع على إيليو العجوز جزء من الخطأ، ولكن ربما لا يقع الخطأ كله عليه. إضافةً إلى ذلك، فهو زبوني، حتى وإن لم يرضَ بذلك؛ ولذا أريد أن أكون ليِّنًا معه.

وخطتي هي أن أبحث وأجمع أكبر قدر من الجرائم والأعمال القذرة التي تورطوا فيها، ولا يُفترض أن أواجه صعوبة في ذلك. ربما أضع إعلانًا «مطلوب جريمة، رجل أو امرأة». وإذا كانوا منحرفين كما أعتقد، فلن أواجه صعوبة في العثور على جريمة أو أكثر أستطيع أن ألصقها بهم.»

«هل هذا ما سعيت إليه حين تدخلت في مجريات المباراة؟»

«بل كان مجرد تجربة ... كي أرى ماذا سيحدث.»

«إذن، هذه هي الطريقة التي تتبعونها أنتم أيها المحققون المنهجيون في التحقيقات. يا إلهي! بالنسبة إلى رجل سمين في منتصف العمر، ذي عقل محنَّك، عنيد؛ فأنت — على حد علمي — تتبع أكثر الطرق غموضًا في تحرياتك.»

قلت: «الخطط مفيدة في بعض الأحيان. وفي أحيان أخرى، تكون إثارة المتاعب هي الطريقة السليمة؛ هذا إذا كانت لديك القوة اللازمة للحفاظ على حياتك، وإبقاء عينك مفتوحةً حتى تشاهدي ما تريدين حين يطفو على السطح.»

قالت: «حديثك يستلزم المزيد من الشراب.»

الفصل الحادي عشر

آلية استفزازية

احتسينا شرابًا آخر.

ثم وضعت كأسها ولعقت شفتَيها وقالت:

«إذا كانت منهجيتك هي إثارة المتاعب، فأنا عندي آلية استفزازية من أجلك. هل سمعت عن أخٍ لنونان اسمه تيم، الذي انتحر في موك ليك منذ عامين؟»

«لا.»

«ما كنت لتسمع عنه الكثير من الإيجابيات. لكن على أي حال، فهو لم ينتحر. بل قتله ماكس.»

«أحقًّا؟»

«انتبه حبًّا لله. فما أقوله لك حقيقة. كان نونان بمثابة الأب لتيم. خذ إليه الدليل وسيسعى للانتقام من ماكس كالمجنون. وأظن أن هذا ما تريده، أليس كذلك؟»

«هل يوجد دليل؟»

«حضر شخصان عند تيم وقت احتضاره وأخبرهما أن ماكس هو القاتل. ولا يزال كلاهما في المدينة، ولكن أحدهما لا أظنه سيعيش طويلًا. فما قولك في هذا؟»

يوحي محيَّاها أنها تقول الحقيقة، ولكن هذه الحالة لا تنطبق دومًا على النساء، لا سيما صاحبات العيون الزرقاء.

قلت: «أسمعيني بقية القصة. فأنا أحب التفاصيل والخبايا.»

«سأسردها عليك. هل زرت موك ليك قبل ذلك؟ إنها منتجعنا الصيفي، وهي تبعد ثلاثين ميلًا على طريق الوادي. إنها منطقة تشبه مقلب النفايات، ولكنها وجهة مفضَّلة بفضل برودة طقسها في الصيف. وقع هذا الحادث في آخر إجازة أسبوعية من شهر أغسطس من صيف

العام المنصرم. كنتُ هناك رفقة شخص اسمه هولي. إنه في إنجلترا حاليًّا، ولكن هذا لا يهمك في شيء؛ لأنه ليس له علاقة بالحادث. لقد كانت فيه بعض خصال المرأة العجوز؛ إذ اعتاد أن يرتدي جوارب حريرية بيضاء مقلوبة حتى لا تتأذى قدمه من الخيوط السائبة. لقد وصلني خطاب منه الأسبوع الماضي. وأعتقد أني وضعته في مكان ما هنا، ولكن هذا لا يهم الآن.

ذهبنا إلى هناك، وذهب ماكس أيضًا رفقة فتاة اعتاد العبث معها اسمها ميرتل جينيسون. لكنها في الوقت الحالي مصابة بمرض برايت الخبيث أو بمرض مُشابِه، ومحجوزة في مستشفى المدينة. كانت الفتاة جميلة آنذاك؛ إذ كانت ممشوقة القوام شقراء. ودائمًا ما أُعجبتُ بها، ولكن لم يعجبني فيها أنها تصبح مزعجة بعدما تحتسي قدرًا من الشراب. لقد فُتن تيم نونان بها، ولكنها لم تُعجَب بأي رجل غير ماكس في ذلك الصيف.

لم يدعها تيم وشأنها. وعلى الرغم من كونه رجلًا أيرلنديًّا حسن المظهر، فقد كان وضيعًا ومجرمًا، ولولا أن أخاه رئيس الشرطة، لما استطاع أن يفلت من عواقب أفعاله. وأينما ذهبت ميرتل، تجده في المكان الذي تُوجَد فيه. لم تحبَّ أن تذكر شيئًا من هذا لماكس؛ خشية أن يقترف ماكس أيَّ فعلٍ يجعله على خلافٍ مع أخي تيم؛ أعني رئيس الشرطة.

بالطبع ذهب تيم إلى موك ليك في يوم السبت ذاك. وذهبت ميرتل وماكس بمفردهما. أما أنا وهولي فذهبنا رفقة مجموعة، ولكني رأيت ميرتل وتحدثت إليها، وأخبرتني أن تيم بعث إليها مرسالًا يطلب منها أن تقابله الليلة لبضع دقائق عند تعريشةٍ صغيرةٍ في حديقة الفندق. وقال إنه سيقتل نفسه إن لم تأتِ. وقد اتخذنا من هذه الجملة أضحوكة ... فهذا هو أكبر الإنذارات الزائفة. حاولت أن أتحدث إلى ميرتل وأقنعها ألَّا تذهب، ولكنها احتسَت كمية كبيرة من الخمر لدرجة أنها ثملت وقالت إنها ستوبِّخه.

كنا جميعًا نرقص في الفندق في تلك الليلة. كان ماكس موجودًا لبعض الوقت ولكني لم أرَه بعدها. كانت ميرتل ترقص مع شخصٍ اسمه روتجرز، يعمل محاميًا هنا في المدينة. بعد فترة، تركَته وخرجت من أحد الأبواب الجانبية. ولما غمزت وهي تمر بي، عرفت أنها ذاهبة لمقابلة تيم. وما كادت تخرج حتى سمعت صوت إطلاق النار. لكن لم ينتبه أحدٌ آخر إليه. وأظن أنه لولا معرفتي بأمر ميرتل وتيم لما انتبهت إليه أنا أيضًا.

أخبرت هولي أني أريد رؤية ميرتل، وخرجت بعدها بمفردي. مر نحو خمس دقائق بين لحظة خروجها ولحظة خروجي خلفها. وحين صرت بالخارج، رأيت أنوارًا وأناسًا متجمعين عند إحدى التعريشات. ذهبت إلى هناك ... هذا الحديث يصيبني بالظمأ.»

صببتُ كأسَين من شراب الجِن. وذهبت هي إلى المطبخ لإحضار زجاجة أخرى من الصودا والمزيد من الثلج. مزجنا ما أحضرته مع الشراب واحتسينا؛ ومن ثَم استأنفت سرد قصتها:

«رأيت تيم نونان ميتًا، يوجد ثقب في صُدْغه، ومسدسه مرميٌّ بجانبه. بلغ عدد الواقفين حوله نحو عشرة أفراد من بعض المقيمين في الفندق والزوار وأحد رجال نونان، وهو محقِّق اسمه ماكسوين. وبمجرد أن رأتني ميرتل، أخذتني بعيدًا عن الزحام وعادَت بي إلى ظل شجرة.

وقالت: «قتله ماكس. ماذا سأفعل.»

فسألتها ما الذي حدث. قالت إنها لمحت وميض الرصاصة وظنَّت في البداية أن تيم قتل نفسه لما يئس. كانت على مسافةٍ بعيدةٍ منه، وكان الظلام قد حلَّ ولم تتمكن من رؤية شيء آخر. وحين ركضَت نحوه، وجدَته يتدحرج ويئنُّ قائلًا: «ما كان ينبغي له أن يقتلني من أجلها. لقد ...» ولم تستطع أن تتبيَّن ما قيل بعد ذلك. فكان يتدحرج وينزف من الثقب الذي في صُدْغه.

خشيَت ميرتل من أن يكون ماكس هو القاتل، ولكن كان عليها أن تتأكد؛ ومن ثَم انحنَت وحاولت أن ترفع رأس تيم وسألته: «من الذي فعلها يا تيم؟»

كان يُحتضَر، ولكن قبل أن يموت، استجمع قواه وقال لها: «ماكس!»

ظلَّت تسألني: «ماذا سأفعل؟» فسألتها إن كان أحدٌ آخر سمع تيم، وقالت إن المحقِّق سمعه. فقد رأته يركض نحوهما لما حاولت أن ترفع رأس تيم. ولم تظن أن أحدًا وُجِد على مسافةٍ قريبةٍ تُتيح له أن يسمع حديثهما، ولكن المحقق سمعه.

لم أُرِد أن يقع ماكس في مأزق بسبب قتله وغدًا مثل تيم نونان. ولم يكن ماكس يعني لي شيئًا حينذاك سوى أني معجبةٌ به، وأني لا أحب البتة أيَّ فردٍ من عائلة نونان. كنت أعرف الوغد ... أعني ماكسوين. كنت على معرفةٍ سابقةٍ بزوجته. كان رجلًا صالحًا إلى حدٍّ كبير؛ فقد اتصف بالأمانة والاستقامة، إلى أن انضم إلى قوة الشرطة. حينها سلك مسلك بقيَّتهم. تحمَّلَت زوجته قدر استطاعتها، ثم تركته لما يئست منه.

أخبرتُ ميرتل أنه يمكن تسوية المسألة بما أنني أعرف ذلك الرجل. رشوة صغيرة من شأنها أن تجعل ماكسوين يذكر أحداثًا غير التي جرَت، وإن لم نصل إلى اتفاق في هذا، فبإمكان ماكس أن يتخلص منه. كان لدى ميرتل رسالةٌ من تيم يهدد فيها بالانتحار. وبتعاون

المحقق، ووجود ثقب في صدغ تيم من مسدسه الخاص، والتهديد بالانتحار في رسالته، فإنه يمكن طمس الحقيقة وتسوية المسألة بسلاسة.

تركتُ ميرتل تحت الشجرة وخرجت للبحث عن ماكس، ولكن لم أجده. لم أرَ في المكان عددًا كبيرًا من الناس، وسمعت فرقة الفندق مستمرةً في عزف الموسيقى الراقصة. ولما لم أجد ماكس، عُدت إلى ميرتل. لكن وجدتها مضطربة ومنشغلة بفكرة أخرى. لم تُرِد أن يعلم ماكس أنها اكتشفت أنه قتل تيم. والسبب أنها كانت تخشاه.

هل تفهم ما أعنيه؟ خشيَت أنه في حالة انفصالها عن ماكس، فربما يتخلص منها إن علم أن لديها أدلة يمكن أن تؤذيه. أعلم كيف كان شعورها. فقد تملكني الشعور ذاته فيما بعد؛ ولذا ظَلِلت صامتةً كما فعلَت. عندئذٍ قررنا أن نسوي المسألة من دون علمه، وبذلك تصبح النتيجة أفضل. وكذلك لم أُرِد أن أتورط في هذه المسألة.

عادت ميرتل بمفردها إلى المجموعة المحيطة بتيم واقتربت من ماكسوين. أخذته بعيدًا عن الناس وتفاوضَت معه على اتفاق. فقد كان معها بعض النقود. ومن ثَم أعطته مائتَي دولار وخاتمًا ماسيًّا كلَّف صاحبه الأصلي، واسمه بويل، ألف دولار. ظننت أنه سيعود لطلب المزيد فيما بعد، ولكنه لم يفعل. بل التزم بما اتفق عليه معها. وبالاستعانة بالرسالة، رتَّب قصة الانتحار.

علم نونان أن القصة فيها شيء يدعو إلى الرِّيبة، ولكنه لم يحدد ما هو. وأظن أنه شك في تورُّط ماكس. ولكن ماكس كان معه حُجة غياب قوية ... ما جعل نونان يثق في كلامه ... وأظن أن نونان في النهاية أخرجه من المسألة. لكن نونان لم يصدِّق البتة أن مجريات الحادث وقعت بالطريقة التي صُوِّرت له. ومن ثَم تخلَّص من ماكسوين، وطرده من الشرطة.

انفصل ماكس عن ميرتل بعد فترةٍ قصيرة من ذلك. لم يكن انفصالهما بعد مشكلات أو خلافات، بل انفصلا بهدوء. ولا أظنها شعرت بالارتياح إزاءه مرة أخرى، على الرغم من أنه — على حد علمي — لم يشكَّ في أنها على علم بشيء. وهي مريضة الآن كما أخبرتك، وأيامها في الدنيا معدودة. وأحسب أنها لن تمانع في قول الحقيقة إن طُلب منها. لا يزال ماكسوين قابعًا في المدينة. وقد يرغب في الحديث إن عُرض عليه مقابلٌ لذلك. هذان الشخصان لديهما معلومات تُدين ماكس ... وسيصدِّقها نونان من دون تشكيك! أتكفيك هذه المعلومات كي تشرع في خطة إثارة المتاعب؟»

سألت: «ألَا يمكن أن يكون الحادث انتحارًا؟ ألَا يمكن أن تيم نونان واتَتْه فكرةٌ ألمعيةٌ في آخر لحظة بأن يلصق التهمة بماكس؟»

«أيقتل هذا المحتال نفسه؟ محال.»

«أيمكن أن تكون ميرتل قد قتلَته؟»

«لم يغفل نونان عن هذا الاحتمال. ولكنها لم تبلغ حتى ثلث المسافة من المنحدر حين أُطلقَ الرصاص. وكان على رأس تيم آثار البارود، وهذه دلالةٌ على أنه لم يتدحرج على المنحدر بعد أن أُصيبَ بالرصاص. ولذا استُبعدت ميرتل.»

«ولكن ماكس كان معه حجةُ غياب؟»

«نعم، بالفعل. دائمًا ما يكون لديه حُجج غياب قوية. كان في حانة الفندق طَوال الوقت، وهي على الجانب الآخر من المبنى. شهد أربعة أشخاص بذلك. وحسبما أتذكر، فإنهم أدلَوا بذلك كثيرًا وعلنًا قبل أن تُطلَب شهادتهم بوقتٍ طويل. ثم إن هناك أشخاصًا آخرين لم يتذكَّروا هل رأَوا ماكس في الحانة حينها أم لا، ولكن هؤلاء الأربعة يتذكرون. إنهم يتذكرون كل ما أراد منهم ماكس أن يتذكَّروه.»

اتسعت عيناها، ثم كادَت تُغمِض جفنَيها ذوَي الرموش السوداء. ومالت نحوي محرِّكةً كأسها.

«كان بيك ماري أحد الرجال الأربعة. وهو ليس على وفاقٍ مع ماكس في الوقت الحالي. وربما سيقول الحقيقة الآن. إنه يمتلك صالة بلياردو في شارع برودواي.»

سألتها: «هل الاسم الأول لماكسوين هو بوب؟ أهو رجل متقوِّس الساقَين وله فكٌّ يشبه فك الخنزير؟»

«نعم. هل تعرفه؟»

«أعرفه شكلًا. وما عمله الآن؟»

«إنه محتال صغير. ما قولك في هذه المعلومات؟»

«ليسَت سيئة. وأحسب أني سأستغلُّها.»

«لنتحدَّث عن المال إذن.»

ابتسمتُ لما رأيت الشرَه في عينَيها وقلت:

«لم يَحِن الوقت بعدُ يا أختاه. سننتظر كي نرى كيف تتطوَّر الأمور قبل أن نبدأ في إنفاق الأموال بدون حساب.»

بالطبع نعتَتني بالشحيح، ثم مدَّت يدها إلى شراب الجِن.

أخبرتها وأنا أنظر في ساعتي: «لقد استكفيت اليوم، وأشكركِ على ذلك. اقتربت الساعة من الخامسة صباحًا وأمامي يوم حافل.»

قالت إنها جاعت ثانية. وبهذا تذكرتُ أنني أيضًا جائع. استغرق تحضير الفطائر واللحم في الفرن نصف ساعة أو أكثر ومعهما القهوة. واستغرق الأمر وقتًا أطول حتى تصبح بداخل معدتنا، ويدخن كلٌّ منا سيجارة أخرى مع فنجان قهوة آخر. وكانت الساعة قد تخطَّت السادسة بكثيرٍ حين أصبحت جاهزًا للمغادرة.

* * *

عُدت إلى فندقي واغتسلت بماء بارد. وهذا الاغتسال أعاد لي نشاطي؛ إذ كنت بحاجةٍ إلى ذلك. في عمر الأربعين، يمكنني أن أتخذ شراب الجِن بديلًا عن النوم، ولكنه ليس خيارًا مثاليًّا.

حين ارتديت ملابسي، جلست كي أكتبَ مستندًا مفاده الآتي:

> «أخبرني تيم نونان قبل موته أن قاتله هو ماكس ثيلر. وقد سمعه المحقِّق بوب ماكسوين وهو يخبرني. ولذا أعطيت المحقق مائتَي دولار وخاتمًا ماسيًّا بقيمة ألف دولار كي أشتريَ سكوته، فيبدو الحادث وكأنه انتحار.»

وضعت المستند في جيبي ونزلت السلم، وتناولت فطورًا آخر، وأكثر مكوناته هو القهوة، ثم انطلقت إلى مستشفى المدينة.

كانت الساعات المخصصة للزيارة في وقت الظهيرة، ولكن لما أبرزت أوراق اعتمادي لدى وكالة كونتينينتال للتحريات، وحاولت أن أُبيِّن لكل شخص أن التأخير ولو ساعة قد يتسبَّب في آلاف الوفَيَات، أو غيرها من الكلمات المؤثرة؛ تمكنت من زيارة ميرتل جينيسون.

وجدتها في عنبر بالطابق الثالث، وكانت بمفردها. فقد خلَتِ الأسِرَّة الأربعة الأخرى من المرضى. لم أستطع أن أحدد هل هي فتاة في الخامسة والعشرين أم امرأة في الخامسة والخمسين من عمرها. فقد كان وجهها متورمًا، تنتشر عليه البقع. وشعرُها الأصفر الباهت الجاف مصفَّف في ضفيرتَين رفيعتَين، ومستقر على الوسادة بجانبها.

انتظرت حتى خرجت الممرضة التي صحبتني إلى الغرفة. ثم أخرجت المستند وأبرزته إلى المرأة طريحة الفراش وقلت:

«من فضلك يا آنسة جينيسون، هلا تُوقِّعين على هذا المستند؟»

نظرت إليَّ بعينَيها المتعبتَين؛ إذ لم أعرف لهما لونًا محددًا بسبب وجهها المتورم من حولهما، ثم نظرت إلى المستند، وفي النهاية أخرجت يدًا سمينة شنيعة الشكل من تحت الغطاء كي تأخذه.

تظاهرت بأن الأمر استغرق منها نحو خمس دقائق كي تقرأ الخمس والثلاثين كلمة التي كتبتها. وأفلتَتِ المستند فوقع على الغطاء، وسألَت:

«من أين أتيت بهذه المعلومات؟» كان صوتها واهنًا، وينم عن انفعال.

«أرسلتني إليكِ دينا براند.»

سألت متحمسة:

«هل انفصلت عن ماكس؟»

كذبت: «لا أعلم شيئًا عن هذا. وأظن أنها تريد فقط أن تحتفظ بهذا المستند، عسى أن ينفعها في المستقبل.»

«بل عسى أن يذبحها ماكس. أعطني قلمًا.»

أعطيتها قلم الحبر خاصتي، ووضعت دفتري تحت المستند كي تستند إليه وهي تضع توقيعها في ذيل المستند، وكي يكون في يدي بمجرد أن تنتهي من التوقيع. وبمجرد أن هوَّيت على الورقة كي يجفَّ الحبر قالت:

«إذا كان هذا ما تريده فلا ضير عندي في ذلك. لماذا سيهمني ما يفعله الآخرون الآن؟ لقد انتهى أمري. اللعنة عليهم جميعًا!» ضحكت ساخرة، وفجأة أزاحت الأغطية إلى ركبتيها، وأظهرت لي جسدًا متورمًا فظيعًا يرتدي منامة بيضاء خشنة. «كيف تراني؟ انظر، لقد انتهيت.»

أرجعتُ الأغطية عليها وقلت:

«أشكرك على تعاونك يا آنسة جينيسون.»

«لا عليك. لم يعُد شيء يعنيني بعد الآن. فقط ...» ثم ارتجف ذقنها المنتفخ «... من العذاب أن أموت قبيحةً بهذا الشكل.»

الفصل الثاني عشر

اتفاقٌ جديد

خرجت أبحث عن ماكسوين. لكني لم أعثر على أي معلومة من دليل المدينة ولا من دليل الهاتف. بحثت في صالات البلياردو ومتاجر السجائر والحانات غير القانونية، كنت أتفقد المكان أولًا ثم أطرح أسئلة حذرة. ولكني لم أخرج بنتيجة. تجوَّلت في الشوارع عسى أن أرى سيقانًا متقوِّسة. ولكن لم أجد. ولذا قررت العودة إلى الفندق وأخْذ قيلولة، ثم استئناف البحث في المساء.

في ركن بعيد من الرواق، رأيت رجلًا متخفِّيًا خلف جريدة، ثم أتى نحوي. رجلًا متقوس الساقَين، وله فكٌّ يشبه فك الخنزير، إنه ماكسوين.

أعرته إيماءةً لا تفضح اهتمامي، ومشيت صوب المصاعد. وعندها تبعني وهو يتمتم قائلًا:

«يا هذا، هل لي بدقيقةٍ معك؟»

توقفت وتظاهرت بعدم الاكتراث: «نعم، تقريبًا.»

قال بعصبية: «لنبتعد عن الأنظار.»

أخذته إلى غرفتي. وفيها اعتلى كرسيًّا وباعَد بين ساقَيه، ووضع عود ثقاب في فمه. وجلستُ على طرف السرير وانتظرته حتى يتكلم. مكث يمضغ عود الثقاب فترة، ثم استهلَّ قائلًا:

«سأصارحك وأُفصِح لك يا أخي. أنا ...»

سألته: «هل تعني أنك ستقول لي إنك كنت تعرفني حين قابلتني بالأمس؟ وهل ستقول لي إن بوش لم يخبرك بأن تراهن عليه؟ وإنك لم تراهن عليه حتى مر وقت؟ وإنك علمت جريمته السابقة لأنك كنت شرطيًّا فيما سبق؟ وإنك حسبتَ أنك إذا أقنعتني بأن أحاول معه فستجني مبلغًا من أموال الرهان عليه؟»

أجاب: «لم يكن في نيتي البتة أن أَدلي بكل هذه المعلومات، ولكن بما أنك أتيت على ذكرها، فسأجيبك بنعم.»

«وهل حققت أرباحًا؟»

دفع قبعته إلى الخلف وهرش جبهته بالطرف الممضوغ من عود الثقاب. «ربحتُ ستمائة دولار. ثم خسرت المبلغ كله وخسرت معه مائتَي دولار كانت معي وبعض النقود الأخرى في لعبة نرد. هل تصدق هذا؟ لقد ربحت ستمائة دولار بكل سهولة، ولكني خسرتها، ولم يبقَ معي ما أسدُّ به جوعي.»

قلت إنها خسارة كبيرة، ولكن هذه طبيعة الدنيا التي نعيشها.

قال: «أجل»، ووضع عود الثقاب في فمه مرة أخرى وأخذ يمضغه أكثر، ثم أردف: «ولهذا فكرت في الإتيان إليك. فقد اعتدت على أن أُقحِم نفسي في المتاعب و...»

«ولماذا أقالك نونان؟»

«أقالني؟ أي إقالة؟ بل أنا الذي استقلت. طرأ تغيير في حياتي حين تُوفيت زوجتي في حادث سيارة ... وحصلت على التأمين ... ولذا تركت العمل.»

«سمعت أنه طردك من الخدمة حين قَتل أخوه نفسَه.»

«إذن، فالأخبار التي وصلتك خاطئة. صحيحٌ أني تركتُ العمل بعد هذه الواقعة، ولكن اسأله إن لم تصدقني.»

«هذه المسألة لا تهمني كثيرًا. أكمل لماذا أتيت لرؤيتي.»

«أصبحتُ مفلسًا تمامًا. وأعلم أنك محقق لدى وكالة كونتينتال للتحريات، وأحسب أني متيقن من سبب وجودك هنا. أنا على معرفة قوية بما يجري في هذه المدينة سواء كان قانونيًّا أو غير قانوني. وعندي ما أساعدك به، فلا تنسَ أني محقق سابق، وأعلم الجوانب القانونية وغير القانونية لمجريات الأمور.»

«هل تريد أن تعمل مخبرًا لديَّ؟»

نظر في عينَيَّ مباشرةً وقال بنبرةٍ هادئة:

«لا يليق بالمرء أن ينتقيَ الألفاظ السلبية دومًا من أجل وصف الأشياء.»

«لديَّ ما أعطيك إياه يا ماكسوين.» وأخرجت مستند ميرتل جينيسون وأعطيته له. «أخبرني عن المكتوب هنا.»

قرأ الورقة متأنيًا؛ إذ ارتسم نطق الكلمات على شفتَيه، وأخذ عودُ الثقاب يتأرجح في فمه صعودًا وهبوطًا. حينئذٍ نهض ووضع الورقة على السرير بجانبي، وعبس وهو ينظر إليها.

قال بنبرة جادة: «هناك شيء ينبغي أن أتحقق منه أولًا. سأعود إليك بعد قليلٍ وأسرد لك القصة كاملة.»

ضحكت وقلت له:

«لا تكن سخيفًا. تعلم أني لن أذرك تهجرني فجأة.»

هز رأسه ولا يزال جادًّا: «لا أعلم هذا. ولا أنت أيضًا. لكن كل ما تعلمه هو أنك ستحاول منعي.»

قلت وأنا أفكر في قوته التي تفوق قوتي؛ حيث إنه أصغر مني بست أو سبع سنوات، وأخف مني بعشرين أو ثلاثين رطلًا: «أصبت في هذا.»

وقف عند نهاية السرير والجدية باديةٌ في عينَيه وهو ينظر إليَّ. وجلست أنا على طرف السرير، وارتسمَت في عينيَّ تعابير ما كان يدور في خَلَدي ساعتَها. ظللنا على هذه الحال قرابة ثلاث دقائق.

استغرقت جزءًا من الوقت في قياس المسافة بيننا، وأفكِّر كيف أوجِّه كعبَيْ قدميَّ في وجهِه إن حاول الهجوم عليَّ؛ إذ نويت أن أرتميَ بجسدي على السرير وأستخدم فخذي في الالتفاف. كان يقف على مسافة قريبة مني لا تمكِّنني من سحب المسدس. كنت قد انتهيت من هذا التخطيط الذهني حين تكلم:

«ذلك الخاتم الرديء لم يساوِ ألف دولار. بل إن أفضل مبلغ عُرض عليَّ فيه هو مائتا دولار.»

هز رأسه مرة أخرى وقال:

«أريد أولًا أن أعرف ما الذي تنوي فعله في هذه المسألة.»

«أن ألقيَ القبض على ويسبر.»

«لا أقصد ذلك. بل أقصد ما ستفعله معي.»

«ستُضطر إلى المجيء معي إلى دار البلدية.»

«هذا لن يكون.»

«ولمَ؟ فأنت مجرد شاهد.»

«أنا مجرد شاهد يوشك أن يتهمه نونان بتقاضي الرشوة أو بالتستُّر على الجاني أو بكلَيهما. وسيُسَر هو كثيرًا إن سنحت له هذه الفرصة.»

ويكأن هذا الكلام لم يُفضِ إلى شيء. قلت:

«يؤسفني ذلك كثيرًا. ولكنك ستذهب إلى نونان.»

«حاول وخُذني عَنوة.»

اعتدلت في جِلستي ووضعت يدي اليمنى تحت فخذي.

مدَّ يده يحاول أن يُمسك بي. ولكني ارتميت بجسدي على السرير، ودُرت على فخذي ووجَّهت ضربة بقدمي نحوه. كانت حركة جيدة ولكنها لم تُصِبه. حيث إنه لما أسرع كي يُمسك بي، ارتطم بالسرير فحرَّكه من مكانه بما يكفي لأن يُسقِطني على الأرض.

طُرِحت أرضًا وأنا ممدَّد على ظهري. وظللت أحاول سحب مسدسي وأنا أحاول أن أتدحرج تحت السرير.

وحيث أخطأني، حملته قوة اندفاعه حتى تجاوز مسند القدم المنخفض على جانب السرير. ومن ثَم أصبح تحت السرير بجانبي، ولكنه وقع على قفاه وانقلب.

صوبت فُوَّهة المسدس في عينه اليسرى وقلت:

«أنت تجعل منا مهرجَيْن. ابقَ ساكنًا وإلا أحدثت فتحة في رأسك يتسرب منها مخك.»

نهضت وبحثت عن المستند ووضعته في جيبي وتركته ينهض.

بعدما مرَّرت يدي فوق ملابسه ولم أُحسَّ شيئًا يشبه السلاح، قلت له: «عدِّل ثنايا قبعتك وهندمْ رابطة عنقك حتى لا تخزيني وأنت تمشي معي في الشوارع. والأمر عائد إليك، ولكن تذكر أن هذا المسدس سيظل في جيب معطفي ويدي عليه.»

هندمَ قبعته ورابطة عنقه وقال:

«اسمع يا هذا، أعلم أني متورط في هذه القضية، وإثارةُ الجلبة لن تنفعني. لنفترضْ أني سأحسن التصرف. هلا تغضُّ الطَّرْف عن هذا الشجار؟ واسمع ... ربما الأيسر لي أن يعتقدوا

أني أتيت بإرادتي ولم آتِ مكرَهًا.»

«لا بأس.»

«شكرًا يا أخي.»

* * *

كان نونان يتناول طعامه بالخارج. واضطُررنا إلى انتظاره نصف ساعة في مكتبه الخارجي. وحين دخل ورآني، ألقى عليَّ التحية المعتادة: «كيف حالك؟ ... عساك بخير ...» وعبارات من هذا القبيل. لم يقل شيئًا لماكسوين، بل نظر إليه شزْرًا.

دخلنا إلى المكتب الخاص برئيس الشرطة. سحب كرسيًّا نحو مكتبه من أجلي، ثم جلس في كرسيه وتجاهل المحقِّق السابق.

أعطيت نونان المستند الذي وقَّعَت عليه الفتاة المريضة.

وبمجرد أن اطَّلع عليه، وثب من كرسيه، وهوى على وجه ماكسوين بلكمةٍ قويةٍ بيده التي بحجم ثمرة الشمام.

دفعت اللكمة ماكسوين إلى نهاية الغرفة ولم يوقفه إلا الجدار. وكأن الجدار قد أنَّ من قوة الارتطام، وقد سقطت صورة ذات إطار تضم نونان مع مجموعة من الشخصيات المهمة في المدينة، وهم يرحِّبون بشخصٍ ما يرتدي طماقًا للكاحل، سقطَت على الأرض مع سقوط الرجل.

سار رئيس الشرطة السمين نحو الصورة، فأخذها وهشَّمها على رأس ماكسوين وكتفَيه.

عاد نونان إلى مكتبه وهو يلهث ويبتسم ويتحدث إليَّ مبتهجًا:

«إنه لحقير.»

نهض ماكسوين ونظر حوله والدم ينزف من أنفه وفمه ورأسه.

زمجر نونان في وجهه:

«تعالَ إلى هنا يا هذا.»

قال ماكسوين: «أمرك أيها الرئيس»، وزحف ليقوم، ثم جرى مسرعًا تجاه المكتب.

قال نونان: «اصدُقني وإلا قتلتك.»

قال ماكسوين:

«أمرك أيها الرئيس. الأمر كما قالت الفتاة باستثناء أن الخاتم لم يساوِ ألف دولار. ولكنها أعطَتني إياه مع مائتَي دولار كي أُبقِي فمي مغلقًا؛ لأنني وصلت إلى المكان لحظة كانت تسأله: «من الذي فعلها يا تيم؟» فردَّ عليها: «ماكس!». قالها بصوتٍ عالٍ وحادٍّ وكأنه أراد أن يلفظ الكلمة قبل أن يموت؛ لأنه مات في حينها، بعد أن لفظها مباشرةً. هذه الحقيقة أيها الرئيس، ولكن الخاتم لم يساوِ ...»

صاح نونان: «اللعنة على الخاتم. وتوقَّفْ عن النزيف على سجادتي.»

بحث ماكسوين في جيبه وأخرج منديلًا متسخًا ومسح به أنفه وفمه، واستأنف ثرثرته:

«هذه هي حقيقة الأمر أيها الرئيس. أما بقية ما حدث فهو مطابقٌ لما أدليت به حينذاك، والشيء الوحيد الذي لم أُدلِ به هو سماعي إياه وهو يقول إن ماكس قتله. أعلم أنه ما كان ينبغي لي أن ...»

قال نونان: «اخرس»، وضغط زرًّا على مكتبه.

دخل شرطي مُرتدٍ الزي الرسمي. وأشار نونان بإبهامه إلى ماكسوين وقال:

«خُذ هذا النذل إلى الزنزانة، وذَر طاقم التشريفة يرحِّبون به قبل أن تحبسه؟»

شرع ماكسوين في استعطاف يائس: «أرجوك أيها الرئيس»، ولكن الشرطي أخذه قبل أن يتفوَّه بكلمة أخرى.

أخرج نونان سيجارة من أجلي، ونقر على المستند بسيجارة أخرى وسأل:

«أين هذه العاهرة؟»

«إنها في مستشفى المدينة، ولكنها تُحتضَر. هل تنوي أَخْذ اعترافٍ منها؟ هذا المستند ليس قانونيًّا بصورةٍ تامة ... فقد حررته للخروج بالنتيجة المرجوة. هناك شيء آخر ... نما إلى سمعي أن بيك ماري لم يعُد على وفاق مع ويسبر. ألم يكن ماري أحد شهود النفي؟»

أجاب رئيس الشرطة: «بلى»، ثم رفع سماعة أحد الهواتف وقال: «ماكجرو»، ثم استأنف حديثه: «اعثر على بيك ماري واطلب منه الحضور. ورتِّب لإلقاء القبض على طوني أجوستي لاستجوابه في حادث رَمْي السكين.»

وضع سماعة الهاتف ووقف، ونفث كمية دخان كبيرة من السيجارة، وقال والدخان يخرج من فمه:

«لم أكن صادقًا معك على الدوام.»

رأيت أن كلامه هو مجرد تعبيرٍ لطيفٍ عن الأمر، وأنه أقلُّ ما يُقال، ولكني لم أتفوَّه بكلمة، على حين أردف قائلًا:

«أنت على درايةٍ بمجريات الأمور. وتفهم طبيعة هذه الوظيفة. فهناك أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة وغيرهم. وكونُ الرجل يحمل لقب رئيس الشرطة، فهذا لا يعني أنه صاحب كل النفوذ. أنت ربما تقضُّ مضجع شخصٍ يقضُّ مضجعي. ولا يهم إن كنتُ أظنُّ أنك رجل سويٌّ صالح. فالأحرى لي أن أتعامل مع أولئك وأسترضيهم. هل تفهم ما أعنيه؟»

هززت رأسي إشارةً إلى أني أفهم قصده.

قال: «هكذا كان الحال. ولكن لا مزيد من هذا. هذا الأمر مختلف، هذا خَطْب جديد. كان تيم لا يزال طفلًا حين ماتت أمي. وقد أوصتني قائلة: «اعتنِ به يا جون»، ووعدتها بأن أفعل. ثم يقتله ويسبر من أجل امرأة سيئة السمعة.» حينئذٍ مدَّ يده إلى الأسفل وأمسك بيدي. وأردف: «هل تعي ما أرمي إليه؟ وقع هذا الحادث منذ سنةٍ ونصف، وأنت تمنحني أول فرصةٍ كي أحمِّله جريمته. وأقول لك إنه لن يعلو صوتٌ في بيرسونفيل فوق صوتك. ليس بعد اليوم.»

كلماته أسعدَتني، وأخبرتُه بذلك. وظللنا نتبادل المجاملات حتى دخل علينا رجل نحيل، له أنفٌ طرَفه مرفوع للأعلى في وسط وجه مستدير به نمش. كان الرجل هو بيك ماري.

حين دخل ماري وجلس وأعطاه رئيس الشرطة سيجارة، قال رئيس الشرطة: «كنا نتحدث عن الوقت الذي مات فيه تيم. كنتَ في موك ليك في تلك الليلة، أليس كذلك؟»

قال ماري وقد تغيَّرت ملامح وجهه: «بلى.»

«مع ويسبر؟»

«لم أكن معه طَوال الوقت.»

«هل كنت معه وقت إطلاق النار؟»

«كلا.»

ضاقَت عينا رئيس الشرطة الخضراوان وظهر فيهما لَمَعان. وسأل بنبرةٍ هادئة:

«هل تعرف أين كان؟»

«كلا.»

تنهَّد رئيس الشرطة بطريقةٍ توحي بالرضا التام، واتَّكأ بظهره في كرسيه.

قال: «اللعنة يا بيك، أخبرتنا من قبلُ أنك كنت معه عند المَشرَب.»

اعترف الرجل النحيل: «نعم. ولكن هذا لا يعني شيئًا سوى أنه طلب مني ذلك، ولم أمانع أن أساعد صديقًا.»

«هل يعني ذلك أنك تتحمَّل مسئولية شهادة الزور؟»

بصق ماري بقوة في المبصقة وقال: «لا تمازحني. فأنا لم أُدلِ بأي شهادة في أي محكمة.»

سأل رئيس الشرطة: «ماذا عن جيري وجورج كيلي وأوبريان؟ هل شهدوا بأنهم كانوا معه لأنه طلب منهم ذلك؟»

«شهد أوبريان بناءً على طلبه. لكن لا أعلم شيئًا عن الآخرَين. فقد كنت خارجًا من الحانة حين قابلت ويسبر وجيري وكيلي، وعدنا كي أحتسي كأسًا من الشراب معهم. وحينها أخبرني كيلي أن تيم قُتل. ثم قال ويسبر: «لن يَضير أحدًا أن تكون لدينا حُجة غياب. فقد كنا هنا طَوال الوقت، أليس كذلك؟» ونظر إلى أوبريان الواقف خلف منضدة الحانة. وحينها قال أوبريان: «بلى، كنت هنا»، وحين نظر ويسبر إليَّ رددتُ بالإجابة ذاتها. ولكن ليس عندي أسبابٌ للتستر عليه في الوقت الحالي.»

«وهل قال كيلي إن تيم قُتل؟ ألم يقل إنه وُجد ميتًا؟»

«الكلمة التي تلفَّظ بها هي أنه قُتل.»

قال رئيس الشرطة:

«شكرًا يا بيك. ما كان يجدر بك أن تفعل ما فعلت، ولكن ما حدث قد حدث. كيف حال الأطفال؟»

قال ماري إنهم بخير، ولكن الرضيع ليس بالوزن الكبير الذي أحبَّ أن يكون عليه. واتصل نونان بمكتب النائب العام وتحدَّث إلى دارت، كما دوَّن كاتب الاختزال أقوال بيك قبل أن يغادر.

انطلق نونان ودارت وكاتب الاختزال إلى مستشفى المدينة لأخذ أقوال ميرتل جينيسون كاملة. لكني لم أذهب معهم. بل قررت النوم، وأخبرت رئيس الشرطة أني سأراه لاحقًا، وعُدت إلى الفندق.

الفصل الثالث عشر

مائتا دولار وعشرة سنتات

حين فككتُ أزرار صِداري، رنَّ جرس الهاتف.

كانت دينا براند تتذمَّر من أنها تحاول الاتصال بي منذ الساعة العاشرة.

سألَت: «هل اتخذت أي خطواتٍ بشأن ما أخبرتك به؟»

«كنتُ أفحص الأمر وأدقق فيه. أرى نتائج مبشِّرة. وأحسب أني سأتوصل إلى جوهره بعد ظهر اليوم.»

«لا تفعل. توقَّف ريثما أراك. هل يناسبك أن تلقاني الآن؟»

نظرت إلى السرير الأبيض الخالي وقلت: «نعم»، ولكن من دون حماسةٍ كبيرة.

ولم يسعفني أني اغتسلت في حوض الاستحمام بماءٍ بارد، حتى إني أوشكتُ أن أنعس وأنا فيه.

أدخلني دان رولف بعدما ضغطتُ على جرس المنزل. أوحت طلعته وسلوكه كأن شيئًا لم يحدث البارحةَ. ثم أتت دينا براند إلى الصالة وساعدتني على خلع المعطف. كانت ترتدي فستانًا من الصوف البيج المائل للصفرة، وكان به قَطع طوله بوصتان في إحدى حمَّالتَي الكتف.

قادَتني إلى غرفة المعيشة. ثم جلست على الأريكة من طراز تشيسترفيلد بجانبي وقالت:

«سأطلب منك أن تفعل شيئًا لأجلي. أنت تثق بي بما فيه الكفاية، أليس كذلك؟»

اعترفت لها بذلك. عدَّت أصابع يدي اليسرى بإصبعها الدافئ وأعربَت عن طلبها:

«أطلب منك ألا تستغل المعلومات التي أخبرتك بها البارحةَ أكثر من ذلك. تريَّثِ الآن. تريث ريثما أنتهي مما أريد قوله. كان دان محقًّا. ما كان ينبغي لي أن أغدر بماكس على هذا النحو. فستكون هذه وضاعة مني. إضافةً إلى هذا، نونان هو الهدف الأساسي في نظرك، أليس

كذلك؟ إن تلطفتَ وخلّيتَ سبيل ماكس الآن، فسأَعطيك معلوماتٍ تكفي لأن تطيح بنونان إلى الأبد. هذا الخيار أفضل في نظرك، أليس كذلك؟ وأنا أَرُوقك أكثر من أن ترغب في أن تستغلني، عبر استخدام المعلومات التي أدليتُ بها إليك حين غضبتُ مما قاله ماكس، أليس كذلك؟»

سألتها: «وما المعلومات التي تُدين نونان؟»

دلكَت ذراعي من الأعلى وتمتمت: «هل تعدني؟»

«ليس بعد.»

عبست في وجهي وقالت:

«أؤكد لك أني قطعت صلتي بماكس. ولا يحق لك أن تجعلني أَشي به.»

«وماذا عما لديكِ عن نونان؟»

«عِدني أولًا.»

«كلا.»

غرست أصابعها في ذراعي وسألت بنبرةٍ حادة:

«هل ذهبت إلى نونان؟»

«نعم.»

تركَت ذراعي وقطبت جبينها وانتفضَت، وقالت بنبرة حزن:

«حسنًا، وما الذي في يدي الآن؟»

وحين وقفتُ سمعتُ صوتًا يقول:

«اجلس.»

كان صوتًا هامسًا أجشَّ ... إنه صوت ثيلر.

التفتُّ ورأيته واقفًا في طرقة غرفة الطعام، وفي إحدى يدَيه الصغيرتَين مسدس كبير. ورأيتُ خلفه رجلًا وجهه مُشرَب حمرةً، وخده به ندوب.

حين جلست، رأيت في الطرقة الأخرى — المفتوحة على الصالة — رجلًا آخر. فقد خرج من هذه الطرقة رجل رخو الفك صغير الذقن، سمعت ويسبر يناديه باسم جيري. كان

ممسكًا بمسدسَين. أما الشاب الأكثر نحافةً من بين هؤلاء الشباب الشُّقر الذين كانوا في وكر شارع كينج، فكان ينظر من خلف كتف ثيلر.

نهضَت دينا براند عن أريكة تشيسترفيلد وأعطَت ظهرها لثيلر وتحدثت إليَّ. خرج من فمها صوت أجشٌّ، فيه مسحة من غضب.

«أنا لم أفعل شيئًا. لقد أتى إلى هنا من تلقاء نفسه واعتذر عما قاله، وأوضح لي كيف يمكن جَنْي الكثير من المال إن أوشينا بنونان. وتبيَّن أن الأمر برُمَّته فخٌّ مرتَّب، وزلَّت قدمي فيه. أقسم لك على هذا! كان سينتظر في الطابق العلوي حين أدلي لك بالمعلومات. ولكن لم أعلم شيئًا عن الآخرين. لم ...»

قال جيري متشدِّقًا:

«إن أطلقت النار على ساقها، فلا ريب أنها ستجلس، وربما تصمت. فهل أفعل؟»

لم أستطع رؤية ويسبر. فقد وقفت الفتاة بيني وبينه. لكنه قال:

«ليس الآن. أين دان؟»

قال الشاب الأشقر النحيل:

«إنه على أرضية الحمام بالطابق العلوي. فقد اضطررت إلى أن أُفقِده وعيَه بالهراوة.»

التفتَت دينا براند كي تعطي وجهها لثيلر. فظهرت شقوق الجورب المتعرجة في رَبْلتيها الممتلئتَين. وقالت:

«ماكس ثيلر، يا لك من ...»

همس بصوته الأجش بنبرةٍ بالغة الجدية:

«اصمتي وتنحَّيْ جانبًا.»

فاجأتني بفعل الأمرَين، وظلَّت صامتةً حين تحدث إليَّ:

«إذن، تحاول أنت ونونان إلصاق تهمة قتل أخيه بي؟»

«الأمر لا يحتاج إلى إلصاق. بل إنها ملتصقةٌ بك طبيعيًّا.»

ارتسمت تعابير الاستهزاء على شفتَيه وقال:

«أنت مثله، لستَ شريفًا.»

قلت:

«أنت أدرى. ولكني وقفت إلى جانبك حين حاول أن يتجنَّى عليك. ولكنه هذه المرة لديه دليلٌ قويٌّ ضدك.»

هبَّت دينا براند تلوِّح بذراعَيها في وسط الغرفة وقالت غاضبة:

«اخرجوا من هنا، اخرجوا كلكم. فما الذي يعنيني في مشكلاتكم؟ اخرجوا.»

عبر من جانب جيري الفتى الأشقر الذي ضرب رولف، ودخل إلى الغرفة مبتسمًا. أمسك إحدى ذراعَي الفتاة الملوِّحتَين ولواها خلف ظهرها.

لكنها التفتَت إليه ولكمته في بطنه بقبضتها الأخرى. كانت لكمة قوية ... وكأنها لكمة رجل. ومن ثَم انفلتت قبضته عن ذراعها وتقهقر خطوتَين.

استنشق الفتى نفسًا كبيرًا، وبسرعةٍ أخرج هراوة صغيرة من خاصرته وتقدم مرة أخرى. ولكن تلاشت ابتسامته.

ضحك جيري، ما أدى إلى اختفاء ذقنه الصغير.

تحدث ثيلر بصوته الأجش محذرًا: «توقف!»

لم يسمعه الفتى. فقد كان يزمجر في الفتاة.

نظرت إليه الفتاة بوجه صارم. كانت تقف بمعظم وزنها على قدمها اليسرى. وظننت أن الفتى الأشقر سيتلقى ركلة حين يقترب.

تظاهر الفتى بأنه سيوجِّه ضربة بيده اليسرى وشرع يهوي بالهراوة على وجهها.

حذَّره ثيلر بصوته الأجش مرة أخرى: «توقف»، ثم أطلق الرصاص.

أصابَت الرصاصة الفتى الأشقر تحت عينه اليمنى، وجعلته يلتف ويسقط بين ذراعَي دينا براند.

ارتأيت أن هذا الوقت هو الوقت الأنسب لي.

في وسط هذه الفوضى، وصلت يدي إلى خصري. على الفور أخرجت مسدسي وصوبت الرمي على كتف ثيلر.

لكني أخطأت. ولو صوبت على قلبه، لأصبته. أما جيري صاحب الذقن الصغير فأحسنَ التصويب. إذ عاجَلني برصاصة. أصابتني رصاصته في رُسْغي، ما جعلني أخطئ الهدف.

ولما لم أَصِب ثيلر، فقد أصابت الرصاصة صاحب الوجه الأحمر الذي يقف خلفه.

وحيث لم أعرف مدى سوء إصابتي في رسغي، نقلت المسدس إلى يدي اليسرى.

صوَّب جيري عليَّ مرة أخرى. لكن الفتاة أحبطت هذه المحاولة لما رمت الجثة عليه.

ارتطمت جثة صاحب الشعر الأصفر بركبتَيه. وهنا هجمت عليه حين اختلَّ توازنه.

لما هجمت عليه، صرت بعيدًا عن مسار الرصاصة التي أطلقها ثيلر. وبهجومي أيضًا، اندفعت أنا وجيري إلى الصالة، واشتبكنا معًا.

لم يصعب عليَّ التعامل مع جيري، ولكن توجب عليَّ التحلِّي بالسرعة. فقد كان ثيلر خلفي. وجهت لكمتَين لجيري، ورفسته وضربته في رأسه مرةً على الأقل، وكنت أتفقَّد أي مكان كي أنهشه منه حين فقدَ وعيه من تحتي. ضربته مرة أخرى في المكان الذي من المفترَض أنه ذقنه؛ إذ أردت التأكد من أنه لم يكن يخدعني؛ ومن ثَم حبوت على يديَّ وركبتيَّ في الصالة حتى اختفيت عن مرمى البصر من الباب.

جلست على كعبيَّ وأسندت ظهري إلى الحائط، وثبَّتُّ مسدسي بمستوى المكان الذي يوجد فيه ثيلر وانتظرت. وحينئذٍ تحليت بأقصى درجات اليقظة لما يدور حولي.

ظهرت دينا براند عند الباب الذي اندفعت منه، ونظرت إلى جيري ثم إليَّ. ابتسمت وعضت بأسنانها على لسانها، وأومأت إليَّ بحركةٍ من رأسها، وعادَت إلى غرفة المعيشة. ومن ثَم تبعتها حذِرًا.

وقف ويسبر في وسط الغرفة. خلَت يداه من الأسلحة، وخلا وجهه من التعابير. وباستثناء فمه الصغير البذيء، فقد بدا وكأنه تمثال في نافذة متجر لعرض الملابس.

وقف دان رولف خلف المقامر مصوِّبًا فُوَّهة المسدس على كليته اليسرى. كان الدم يغطي معظم وجه رولف. فقد أَثخنَه الفتى الأشقرُ — المُلقَى ميتًا على الأرض بيني وبين رولف — ضربًا على رأسه.

ابتسمتُ إلى ثيلر وقلت: «حسنًا، هذا جميل»، قبل أن أرى أنَّ رولف لديه مسدس آخر مصوَّب نحو خصري البدين. لم يكن هذا الموقف جميلًا. ولكني كنت ممسكًا مسدسي في يدي. ومن ثَم فقد تساوت الفرص بالنسبة إليَّ.

قال رولف:

«ضع مسدسك على الأرض.»

نظرت إلى دينا، وأظن أنها كانت في حيرةٍ من أمرها. هزَّت كتفَيها وأخبرتني: «أصبح زمام الأمور في يد دان الآن.»

«أحقًّا؟ على أحدهم أن يخبره أني لا أحب أن تسير الأمور على هذا المنوال.»

كرَّر رولف كلامه: «ضع مسدسك على الأرض.»

أجبته معترضًا:

«قطعًا لن أفعل. فقد بذلت جهدًا خرافيًّا في محاولة اعتقال هذا الرجل، وأنا على استعداد لبذل المزيد من الجهد من أجل هذا الهدف ذاته.»

قال رولف:

«أنا لا يهمني ما بينكما، ولا أنوي أن أعطي أيًّا منكما ...»

كانت دينا براند قد أخذت تتجول في الغرفة. وحين أصبحت خلف رولف، قاطعتُ كلامه وأخبرتُها:

«إذا أحبطت محاولته الآن فتأكدي أنك ستكسبين صديقين؛ أعنى نونان وأنا. لم يعُد لديكِ فرصة للوثوق في ثيلر؛ ومن ثَم لا فائدة من مساعدته.»

ضحكَت وقالت:

«تحدَّث بلغة الأموال يا عزيزي.»

احتجَّ رولف قائلًا: «دينا!» كانت قد أمسكَته. فقد كانت خلفه، وأوتيَت من القوة ما يمكِّنها من التعامل معه. لم يكن من المحتمل أن يطلق عليها الرصاص، ولم يكن من المحتمل أن يمنعها شيء من فعل شيء عزمَت على القيام به.

ساومتُها: «مائة دولار.»

صاحَت: «يا إلهي! لقد حصلت بالفعل على عرضٍ نقدي منك. لكنه ليس كافيًا.»

«مائتا دولار.»

«بدأتَ تتهوَّر في دفع الأموال. ولكن ما زلتُ أرفض عرضك.»

قلت: «حاولي أن تفكري فيه. فهذا العرض سيوفر عليَّ الاضطرار إلى التصويب على يد رولف كي أُسقِط السلاح منها، ولن أدفع أكثر من ذلك.»

«هذه بداية مبشرة. فلا تتراجع. على أي حال، ارفع السعر مرة أخرى.»

«مائتا دولار وعشرة سنتات، ولن أدفع أكثر من ذلك.»

قالت: «أنت وغدٌ كبير، ولا أقبل عرضك.»

«الأمر يعود إليك.» وحينها ارتسمت تعابير السأم على وجهي وحذرتُ ثيلر: «حين يحدث المحتوم، فابقَ كما أنت ولا تتدخل.»

صاحَت دينا:

«انتظر! هل ستبدأ حقًّا في إثارة المتاعب؟»

«لن آبَه لشيء، وسأقتاد ثيلر في طريق خروجي مهما كان الأمر.»

«مائتا دولار وعشرة سنتات؟»

«نعم.»

نادى رولف من دون أن يُشيح بوجهه عني: «دينا، لن ...»

لكنها ضحكت واقتربت من ظهره ولفَّت ذراعَيها القويتَين حوله، وأجبرته على عدم رفعهما وإبقائهما ملتصقتين بجنبيه.

نحيت ثيلر جانبًا بذراعي اليمنى، وظَلِلت مصوِّبًا مسدسي تجاهه، وأخذت المسدَّسين عَنوة من يدَي رولف. حينئذٍ أفلتَت دينا المسلول.

مشى خطوتَين تجاه باب غرفة الطعام، وقال بنبرةٍ تنم عن تعبه: «لا يوجد ...» وخرَّ على الأرض.

جرَت دينا نحوه. اقتدتُ ثيلر عبر الصالة وتجاوزنا جيري الذي لا يزال مغشيًّا عليه، واتجهنا إلى تجويفٍ أسفل السلم الأمامي سبق أن رأيت فيه هاتفًا.

اتصلت بنونان وأخبرته أني أمسكت ثيلر، وذكرت له المكان. قال: «بحق الله! لا تقتله حتى آتيك.»

الفصل الرابع عشر

ماكس

انتشرت أخبار القبض على ويسبر كالنار في الهشيم. فحينما أخذنا أنا ونونان والقوة التي أحضرها معه كلًّا من المقامر وجيري — بعدما أفاق — إلى دار البلدية، وقف يُشاهدنا ما لا يقلُّ عن مائة فرد.

لم أرَ السرور في وجه أيٍّ منهم. حتى أفراد الشرطة الذين مع نونان — وأفضل ما يقال عنهم أنهم أراذل الناس — كانوا يتجوَّلون وعلى وجوههم الشاحبة تعابيرُ الانقباض. لكن نونان كان أكثر المنتشين بالنصر في غرب المسيسيبي. حتى تعثُّر حظه في استجواب ويسبر استجوابًا شديدًا لم يُفسِد عليه سعادته.

صمد ويسبر في وجه كل الضغوط التي مورسَت عليه. وقال إنه لن يتحدَّث إلى أحدٍ غير محاميه، وظل متمسكًا بكلامه. وعلى الرغم من كُره نونان الشديد للمقامر، فإنه لم يعرِّض هذا السجين الخاص إلى المعاملة المعهودة في السجن، ولم يدعه لطاقم التشريفة. وعلى الرغم من أن ويسبر قتل أخا القائد، مما أثار حنقه عليه، فإن ويسبر لا يزال يحظى بمكانةٍ في بويزونفيل تحميه من المعاملة الفظَّة.

في النهاية، سئم نونان المراوغات مع سجينه، وأرسله إلى الحجز الموجود في الطابق الأعلى في دار البلدية. أشعلتُ سيجارة أخرى من سجائر رئيس الشرطة، واطَّلعتُ على الإفادة التفصيلية التي أدلَت بها المرأة القابعة في المستشفى. لكن لم أجد فيها غير ما علمتُه من دينا وماكسوين.

دعاني رئيس الشرطة إلى تناول العشاء في منزله، ولكني اعتذرت متذرِّعًا بأن رسغي — المضمَّد الآن — يؤلمني. وفي الحقيقة لم يكن سوى جرحٍ يسير.

وفي أثناء حديثنا، دخل رجلان بملابس مدنية، ومعهما صاحب الوجه الأحمر الذي تلقَّى الرصاصة التي أخطأت ويسبر. فقد تسلل من الباب الخلفي وقت انشغال بقيتنا، بعدما كسرَت

له الرصاصة ضلعًا. ألقى رجال نونان القبض عليه في عيادة أحد الأطباء. لكن لم يتمكن رئيس الشرطة من أخذ أي معلومة منه؛ ولذا أرسله إلى المستشفى.

نهضتُ استعدادًا للمغادرة، وقلت:

«أعطتني دينا براند طرف خيطٍ بشأن هذه القضية. ولذا طلبت منك أن تخرجها ورولف من حساباتك.»

أمسك رئيس الشرطة بيدي اليسرى للمرة الخامسة أو السادسة في غضون الساعتَين المنصرمتَين.

طمأنني: «إذا كنت تريد حمايتها، فأنا كفيل بذلك. لكن إذا كان لديها يدٌ في الإمساك بهذا النذل، يمكنك أن تنقل لها على لساني أنه إذا أرادت أي شيءٍ في أي وقت، فما عليها إلا أن تذكره لي وسأُلبِّيه لها.»

قلت إني سأبلغها، وانطلقتُ إلى الفندق وأنا أفكِّر في ذلك السرير الأبيض المهندَم. لكن كانت الساعة الثامنة تقريبًا، ومعدتي بحاجةٍ إلى الاعتناء بها هي الأخرى. ولذا ذهبت إلى صالة الطعام في الفندق وتناولت الطعام.

بعد ذلك، أغراني كرسي جلدي بالجلوس فيه ريثما أدخن سيجارة في الرواق. قادتني هذه الاستراحة إلى محادثة مع مدقق حسابات متجول لدى السكك الحديدية من دنفر، وكان يعرف رجلًا أعرفه في سانت لويس. بعد لحظات، سمعنا إطلاق نار كثيفًا في الشارع.

وقفنا عند الباب، وعلمنا أن ضرب النار في المناطق المجاورة لدار البلدية. حينئذٍ صافحت المدقق وانطلقت في ذلك الاتجاه.

كنت قد قطعت ثلثَي المسافة، حين أتَت نحوي في الشارع سيارةٌ مسرعة تُطلِق وابلًا من الرصاص من مؤخَّرها.

اختبأت في مدخل زقاق وأخرجت مسدسي. اقتربت السيارة وأصبحت في مقابلي. عندئذٍ كشف نور عمود الشارع لي عن وجهَين في المقعدَين الأماميَّين. أحدهما وجه السائق، وهذا لم أعرفه. أما الجزء العلوي من الراكب الثاني، فكان مختبئًا خلف قبعة مسحوبة على الوجه. لكن الجزء السفلي كان جسد ويسبر.

في الجهة المقابلة لي من الشارع، كان ثمَّة مدخلٌ لبناية في الزقاق، وكان مُضاءً في نهايته. وبين الضوء وبيني، رأيت شخصًا يتحرَّك لمَّا مرت بي سيارة ويسبر. اندفع الشخص من خلف ساتر، ربما كان صندوق نفايات، وانتقل إلى ساتر آخر.

وما جعلني أنسى أمر ويسبر أني لمحت تقوسًا في ساقَي ذلك الشخص.

تدفق عددٌ كبيرٌ من رجال الشرطة، وانهالوا بسيل من الرصاص على السيارة الأولى.

اندفعت عبر الشارع إلى جزء الزقاق الذي يُحتمل أن يُوجَد فيه صاحب الساقَين المتقوستَين.

إذا كان الرجل الذي أعرفه، فالأرجح عندي أنه ليس مسلحًا. تقدَّمت بناءً على هذا الترجيح، ومشيت في وسط الزقاق الضيق أتحسَّس الظلال بكل حواسي.

بعد أن قطعت ثلاثة أرباع المربع السكني في الزقاق، اندفع ظلٌّ من مكان آخر؛ رجل يجري بعيدًا عني بكلِّ سرعته.

صحت عليه وأنا أجري خلفه: «توقف! توقف وإلا ضربتك بالنار يا ماكسوين.»

جرى بضع خطوات ثم توقف والتفتَ.

قال: «أوه، إنه أنت»، وكأن مَن يقتاده إلى السجن مرة أخرى سيصنع فرقًا.

جهرت قائلًا: «نعم. لماذا تتجوَّلون في الأرجاء أحرارًا؟»

«لا أعلم شيئًا عن هذه المسألة. شخصٌ ما فجَّر الزنزانة بالديناميت. وتسللت من الفتحة مع البقية. ورأيت بعض الرجال يعوقون تقدُّم رجال الشرطة. ومن ثَم تراجعت مع إحدى المجموعات. ثم تفرقنا، وكنت أنوي أن أعبر هذا الزقاق وأَعمِد إلى التلال. ليس لي علاقةٌ بما حدث. كل ما هنالك أني تسللت خارجًا حينما انفجرت الزنزانة.»

أخبرته: «لقد أُلقيَ القبض على ويسبر الليلة.»

«أحقًّا! المسألة هكذا إذن. كان يجدر بنونان معرفة أنه ما ينبغي له أن يُبقِي ذلك الرجل محبوسًا في مدينته.»

وقفنا ساكنَين في الزقاق الذي توقف ماكسوين عن الركض فيه.

سألته: «هل تعلم تهمة القبض عليه؟»

«نعم، تهمة قتل تيم.»

«أتعرف من قتل تيم؟»

«ماذا؟ بالتأكيد هو القاتل.»

«بل أنت القاتل.»

«ماذا؟ ما الأمر؟ هل أنت أبله؟»

حذَّرته: «المسدس في يدي اليسرى.»

«ولكن اسمعني ... ألم يخبر تلك المرأة أن ويسبر هو القاتل؟ ماذا بك إذن؟»

«لم يقُل ويسبر. لقد سمعت النساء ينادون ثيلر باسم ماكس، ولكني لم أسمع أي رجل يناديه بأي اسم غير ويسبر. ولما قال تيم: ماكس، فإنه لم يكن يقصد ثيلر. بل لَفَظ ماكس، وهو أول مقطع من اسم ماكسوين، ومات قبل أن يكمل الاسم. ولا تنسَ أن المسدس معي.»

«ولماذا سأقتله؟ لقد كان يسعى وراء ما يخصُّ ويسبر وهو ...»

اعترفت له: «لمْ أتوصَّل إلى الدافع بعد، ولكن فكِّر معي؛ أنت انفصلت عن زوجتك. ومعروف عن تيم أنه زير نساء، أليس كذلك؟ وارد أنه نشأت علاقة بينهما. ولكن عليَّ أن أتقصَّى هذا الأمر. وما جعلني أبدأ التفكير في هذا الأمر هو أنك لم تحاول أن تطلب أي أموالٍ أخرى من الفتاة.»

توسل إليَّ يقول: «لا تكمل. أنت تعرف أن هذا ليس له أساس منطقي. ما الذي سيُبقيني في الأرجاء بعد وقوع الجريمة؟ كنت سأخرج بحثًا عن شهود نفي مثل ويسبر.»

«لماذا؟ لقد كنت محققًا حينها. ومن ثَم فوجودك في مكانٍ قريبٍ كان الوضع الأمثل لك ... كي تطمئن أن كل شيء يسير كما خُطِّط له ... وأن تتعامل مع الموضوع بنفسك.»

«أنت تعلم أن هذه القصة ليست محبوكة، وليس لها أساس منطقي. فكُفَّ عن هذا بحقك.»

قلت: «أنا لا يعنيني كم هو أجوفُ هذا التفسير. ولكن ينبغي أن يُطرَح أمام نونان حين نعود. فربما هو مغتاظٌ من هرب ويسبر. وهذا سيُريح عقله من التفكير في هروبه.»

جثا ماكسوين على ركبتَيه في الزقاق الموحل وبكى: «يا إلهي، لا! سيقتلني بيدَيه.»

نهرتُه: «انهض وتوقف عن النواح. والآن، هل ستقول الحقيقة؟»

انتحب: «سيقتلني بيدَيه.»

«الأمر يعود إليك. ولكن إذا لم تتحدث، فسأتحدث أنا إلى نونان. وإن صدَقتني القول، فسأفعل ما بوسعي من أجلك.»

سأل يائسًا، وبدأ يبكي مرة أخرى: «وما الذي يمكنك فعله؟ وكيف لي أن أعرف أنك ستحاول أن تفعل شيئًا؟»

خاطرت وذكرت له جزءًا صغيرًا من الحقيقة:

«قلت لي إن لديك معلومةً عن سبب وجودي في بويزونفيل. ومن ثَم عليك أن تعلم أن خطتي هي إضرام نار الفُرقة بين نونان وويسبر. وجَعْل نونان يظنُّ أن ويسبر قتَل تيم سيزيد هذه النار. ولكن إذا لم تُرِد أن تكون معي، فهذا شأنك، وحينها سآخذ نونان إلى جانبي.»

سأل متحمسًا: «هل تعني أنك لن تخبره؟ هل تعدني؟»

قلت: «لن أعدك بشيء. ولمَ عليَّ أن أعدك؟ لقد كُشف أمرك. وإما أن تتحدث إليَّ أو إلى نونان. فخذ قرارك بسرعة. فأنا لن أمكث هنا طَوال الليل.»

قرر أن يتحدث إليَّ.

«لا أعلم مقدار ما تعرفه، ولكن الأمر كما قلت، كانت زوجتي على علاقةٍ مع تيم. وهذا ما أوصلني إلى ما أنا عليه. بإمكانك أن تسأل أي شخص وسيقول لك إني كنت رجلًا صالحًا فيما سبق. وعهدي معها أني كنت أُلبِّي لها كل رغباتها. وفي كثيرٍ من الأحيان، كانت رغباتها تُثقِل كاهلي. لكني لم أغير أسلوبي معها. لربما صارت حياتنا أفضل لو غيَّرت أسلوبي معها. ولذا تركتها تغادر البيت وتبدأ في إجراءات الطلاق حتى تستطيع أن تتزوجه؛ ظنًّا مني أنه ينوي الزواج بها.

لكن سرعان ما تنامى إلى سمعي أنه يلاحق ميرتل جينيسون. لم أتحمل هذا. فقد أعطيته فرصةً عادلةً مع هيلين. لكنه بات يتجاهلها من أجل ميرتل. ولم أنوِ أن أدع الأمر يمر مرور الكرام. فهيلين ليست بامرأةٍ مشبوهة. على الرغم من ذلك، كان الْتقائي به في موك ليك في تلك الليلة مصادفة. وعندما رأيته يَعمِد إلى التعريشات، تبعته. فقد بدَت مكانًا هادئًا وملائمًا لمواجهته.

حسبتُ أن كلَينا سيحتسي بعض الشراب. على أي حال، احتدَّ الكلام بيننا. وحين احتدَّ الكلام من جانبه، أخرج مسدسه. وقد كان جبانًا. فأمسكت المسدس منه، ولكن خرجت الرصاصة منه حين كنا نتعارك. أُقسِم بالله أني ما ضربته بالرصاص إلا خطأً. فقد خرجت الرصاصة وقتما كان يمسك كلانا المسدس. ولذا تراجعت واختبأت في بعض الشُّجَيرات. لكن حين اختبأت، سمعته يئنُّ ويتحدث. ورأيت أناسًا يتوافدون ... رأيت فتاة تجري نحوه من الفندق، وعلمت أنها ميرتل جينيسون.

أردت أن أعود وأسمع ما يقوله تيم؛ بحيث أكون على دراية بموقفي، ولكني تخوَّفت من أن أُعتبَر أول الوافدين إلى المكان. ولذا اضطُررت إلى الانتظار حتى تصل الفتاة، وأستمع إلى صياحه طَوال هذا الوقت، ولكني لم أتبيَّن ما يقوله بسبب بُعد المسافة بيننا. وحين وصلَت إليه، ركضتُ نحوهما ووصلت إلى هناك حين مات وهو يحاول أن يلفظ اسمي.

لم أدرِ أن ذلك هو اسم ويسبر، حتى عرضَت عليَّ الخطابَ المذكور فيه الانتحار، ومائتَي دولار والخاتم الماسي. حاولت أن أكسب بعض الوقت متظاهرًا بأني أَحبِك اللعبة — كوني في الشرطة حينذاك — ومحاولًا أن أعرف موقفي. ولما طرحَت فكرتها، علمتُ أني في موقفٍ مُواتٍ. وظلت الأمور على هذا المنوال حتى بدأتَ في التنقيب في القضية مرة أخرى.»

أخذ يحرك قدمَيه في الوحل وأردف قائلًا:

«وفي الأسبوع التالي، قُتلت زوجتي ... في حادث. نعم، في حادث. لقد قادت سيارة فورد أمام القطار رقم ٦ الآتي على منحدرٍ طويل من تانر وأوقفَتها أمامه.»

سألته: «هل موك ليك تابعة إلى هذه المقاطعة؟»

«لا، بل تابعة إلى مقاطعة بولدر.»

«هذه خارج حدود نفوذ نونان. فهل تفضِّل أن آخذك إلى هناك وأسلمك إلى المأمور؟»

«إنه زوج ابنة السيناتور كيفر، ويدعى توم كوك. ولن يختلف وضعي عن هنا. ويمكن أن يصل إليَّ نونان من خلال كيفر.»

«إن جرَت الأمور على النحو الذي تقول، فسيكون أمامك على الأقل فرصة عادلة لدفع التهمة عنك في المحكمة.»

«لن يعطوني فرصة. كنت سأوافق على ما تقول إذا رأيت أيَّ فرصةٍ في الوقوف أمام محاكمةٍ عادلة ... ولكن هذا لا يكون معهم.»

قلت: «سنعود إلى دار البلدية. فأبقِ فمك مغلقًا.»

* * *

وجدت نونان يغدو ويروح ويلعن أفراد الشرطة الستة الذين يقفون حوله، ويتمنَّون لو أنهم في مكانٍ آخر غير هذا.

قلت وأنا أدفع ماكسوين أمامي: «أحضرت لك شيئًا عثرت عليه وهو يحوم في المكان.»

ضرب نونان المحقِّق السابق ورفسه، وأمر أحد أفراد الشرطة أن يأخذوه إلى الحجز.

اتصل شخص بنونان عَبْر الهاتف. ومن ثَم تسلَّلت عائدًا إلى الفندق من دون أن أقول له «طابت ليلتك».

دوَّى صوت بعض الرصاصات من اتجاه الشمال.

مرَّ بي ثلاثة رجالٍ يتحسسون في مشيتهم وينظرون حولهم في اضطراب.

وعلى مسافة ليست ببعيدة، تحرك رجل آخر إلى حافة الرصيف كي يفسح لي مساحةً كافيةً كي أمرَّ. أنا لم أعرفه، ولا أحسب أنه يعرفني.

وسمعت عيارًا ناريًّا على مسافةٍ قريبة.

لما وصلت الفندق، دخلَت سيارة سوداء مكشوفة محطمة إلى الشارع على سرعة خمسين ميلًا في الساعة على الأقل، ومكتظَّة بالرجال عن آخرها.

ابتسمت حين مرت السيارة. فقد بدأت بويزونفيل تغلي على صفيح ساخن، وتملَّكني شعور قوي بأني واحد من أهل المدينة، لدرجة أن تذكُّري لدوري في إضرام هذا الغليان لم يمنعني من النوم لمدة اثنتَي عشرة ساعة متواصلة من دون انقطاع.

الفصل الخامس عشر

نُزُل «سيدار هيل»

اتصل ميكي لينهان عبر الهاتف وأيقظني بعد الظهر بقليل.

قال لي: «لقد وصلنا. أين لجنة الاستقبال؟»

«ربما تجهِّز حبل المشنقة. تفقَّدا حقائبكما وائتيا إلى الفندق. الغرفة ٥٣٧. ولا تُعلِنا عن قدومكما.»

انتهيت من ارتداء ملابسي قُبَيل وصولهما.

كان ميكي لينهان رجلًا ضخم الجثة، كتفاه مرتخيتان، وجسمه غير متناسق الشكل، وكأن كل مَفصِل من مفاصله منفصل عن الآخر. وقد برزت أذناه كأنهما جناحان أحمران، ووجهه أحمر مستدير، وعادةً ما ترتسم عليه ابتسامة تجعل من يراه يظنُّه أبله. يُوحي مظهره بأنه رجل فكاهي، وهو كذلك بالفعل.

أما ديك فولي فهو رجل كندي ضئيل الجسم، له وجه حادُّ الملامح، وسريع الانفعال. كان يرتدي أحذيةً ذات كعب عالٍ كي تزيد طوله، ويعطِّر مناديله، ويقتصد في كلامه قدر الإمكان.

كان الرجلان عميلَين سريَّين يتمتعان بالكفاءة.

لما استقر بنا المجلس، سألتهما: «ما الذي قاله لكما الرجل الكبير عن المهمة؟» الرجل الكبير هو مدير فرع سان فرانسيسكو لوكالة كونتينتال للتحريات. يُعرَف أيضًا باسم «بيلاطس البنطي»؛ لأنه يبتسم بعذوبة حين يرسلنا في مهمات انتحارية، وكأنه يسوقنا إلى الموت كما أصدر بيلاطس البنطي الحكم بصلب المسيح. وهو شخص كبير في السن يتَّسم بالدماثة والاحترام، ولكنه بارد المشاعر كالجلاد. يتندَّر العاملون في الوكالة على برودة مشاعره بقولهم إن بإمكانه بصق رقاقات الثلج حتى في حر يوليو.

قال ميكي: «يبدو أنه ليس على دراية كاملة بالموقف، ولا يعلم سوى أنك أرسلت طلبًا للمساعدة. وقال إنه لم يتلقَّ منك أي تقارير منذ بضعة أيام.»

«ويبدو أنه سينتظر بضعة أيام أخرى. هل لديكما أي معلومات عن بيرسونفيل؟»

هز ديك رأسه نافيًا. وقال ميكي:

«لا أعلم سوى أن بعض الناس يحرِّفون الاسم إلى بويزونفيل، ويبدو أنهم يتعمدون ذلك.»

أخبرتهما ما أعلمه وما فعلته. ولكن جرس الهاتف قطع حديثي في الجزء الأخير من الحكاية.

جاء صوت دينا براند الناعم:

«مرحبًا! كيف حال رسغك؟»

«إنه جرح بسيط. ماذا تقولين في هذا الهروب الذي وقع؟»

قالت: «ليس خطئي. فقد أديت دوري. يؤسفني أن نونان لم يستطع أن يحبسه. أنا قادمة إلى وسط المدينة كي أشتري قبعة بعد ظهر اليوم. وكنت أفكر أن آتي وأراك لبضع دقائق إذا نويت الذهاب إلى هناك.»

«متى؟»

«أوه، نحو الساعة الثالثة.»

«حسنًا، سأنتظرك وسأُحضِر معي مائتي الدولار وعشرة السنتات التي أَدين بها لك.»

قالت: «حسنًا. هذا ما سآتي من أجله. مع السلامة.»

عدت إلى الكرسي وأكملت قصتي.

حين انتهيت، صفَّر ميكي لينهان وقال:

«لا أتعجب من أنك تخشى إرسال أي تقارير. فالرجل الكبير لم يكن ليفعل شيئًا إن علم بما يجدُّ في أمر مهمتك، أليس كذلك؟»

قلت: «إن سارَت الأمور بالطريقة التي أريدها، فلن أُضطر إلى تدوين كل التفاصيل المقلقة في التقرير. من الصائب أن تضع الوكالة قواعدها ولوائحها، ولكن حين تكون مكلَّفًا في مهمة، فعليك أن تنجزها بأفضل ما تستطيع. وكل من يأتي إلى بويزونفيل حاملًا الأخلاقيات يطرحها جانبًا في النهاية. على أي حال، لا ينبغي أن تُسطِّر التفاصيل المخالِفة للقواعد واللوائح في التقارير، ولا أريدكما أن ترسلا أي تقارير إلى سان فرانسيسكو من دون أن أطَّلع عليها أولًا.»

سأل ميكي: «وما الجرائم التي أحضرتنا من أجلها؟»

«أريدك أن تتولى أمر بِيت الفنلندي. وسيتولى ديك أمر ليو يارد. عليكما أن تتبعا الاستراتيجية التي أتبعها، وهي فعل ما يمكنكما وقتما يمكنكما. وأظن أن كليهما سيحاول أن يقنع نونان بأن يترك ويسبر وشأنه. أنا لا أعلم ما الذي سيفعله. فلا أحد يعلم ما يدور في خَلَده، ولكن لا شك أنه يريد الانتقام لمقتل أخيه.»

قال ميكي: «بعدما أتولى أمر ذلك الفنلندي، ما الذي سأفعله به؟ لا أقصد التباهي بعدم المعرفة، ولكن علمي بتفاصيل هذه المهمة كعلمي بالفلك. أنا أفهم كل شيء باستثناء ما فعلته والأسباب التي دفعتك لفعله، وما تحاول أن تفعله والطريقة التي تتبعها في فعله.»

«يمكنك البدء بمراقبته. ولا بد من إحداث مشكلة للتفريق بين بيت ويارد، أو يارد ونونان، أو بيت ونونان، أو بيت وثيلر، أو يارد وثيلر. إذا نجحنا في التفريق بينهم، بأن نقطع أواصر اتحادهم، فسيطعن كل واحد منهم الآخر في ظهره، وبذلك ينجزون أعمالنا بالنيابة عنا. وقد بدأتُ بقطع أواصر الاتحاد بين ثيلر ونونان. ولكن سيذهب عملنا سدًى إذا لم نستمر في التفريق بينهم.

يمكنني شراء المزيد من المعلومات عنهم من دينا براند. ولكن لن يفيد اقتياد أي أحد منهم إلى المحكمة، مهما كانت قوة الدليل الذي يُدينه. فالمحاكم في قبضتهم، وإضافةً إلى ذلك، فإن إجراءات المحاكم ستبطِّئ عملنا. لقد أقحمت نفسي في عمل، وبمجرد أن يشم الرجل الكبير خبرًا — وسان فرانسيسكو ليست بعيدة عن هنا، ولن يمكننا أن نضلله — فلن يهدأ عن طلب تفسيرات. علينا أن نحصل على نتائج جوهرية كي نخفي التفاصيل بين ثناياها. ومن ثَم فإن الأدلة ليسَت كافية. بل نريد شيئًا له تأثيرٌ جبار.»

سأل ميكي: «وماذا عن زبوننا المحترم السيد إيليو ويلسون؟ ما الذي تنوي أن تفعله معه أو له؟»

«إما أن ندمره أو نجبره على دعمنا. لا يهمني أي نتيجة نصل إليها معه. والأفضل أن تمكث أنت في فندق «بيرسون» يا ميكي، ويمكث ديك في فندق «ناشونال». ابقيا متفرِّقَين، وإذا لم تُرِيدا لي الطرد من وظيفتي، فعليكما أن تُنجزا المهمة قبل أن تصل أيُّ معلومةٍ إلى الرجل الكبير. ويُفضَّل أن تدوِّنوا المعلومات التالية.»

أعطيتهما الأسماء والأوصاف والعناوين التي حصلت عليها لكلٍّ من إيليو ويلسون، وسكرتيره ستانلي لويس، ودينا براند، ودان رولف، ونونان، وماكس ثيلر المعروف باسم

ويسبر، وذراعه اليمنى جيري صاحب الذقن الصغير، والسيدة دونالد ويلسون، وابنة لويس التي كانت سكرتيرة دونالد ويلسون، وصديق دينا السابق المتطرف بيل كوينت.

قلت: «انطلقا إلى العمل الآن. ولا تُمنِّيا أنفسكما بأنه توجد قوانين في بويزونفيل غير تلك التي تضعانها لأنفسكما.»

قال ميكي إني سأتفاجأ بكمِّ القوانين التي سينجز العمل من دون الالتزام بها. وقال ديك: «إلى اللقاء»، وغادرا.

* * *

بعد الإفطار، انطلقت إلى دار البلدية.

كانت عينا نونان المخضرَّتان مشوشتين، وكأنهما لم تذوقا النوم، وشحب لون وجهه قليلًا. صافحني بحرارة وهو يهز يدي صعودًا وهبوطًا كالمعتاد، ولمست في صوته وأسلوبه الود الذي عهدته منه.

لما انتهينا من الترحيب الحار، سألته: «هل من أخبار بشأن ويسبر؟»

نظر إلى الساعة على الحائط ثم إلى الهاتف. «أحسب أني حصلت على طرف خيط. وأنا في انتظار ورود أخبار في أي لحظة. تفضل بالجلوس.»

«مَن هرب غيره؟»

«لم يبقَ طليقًا أحدٌ غير جيري هوبر وطوني أجوستي. أما البقية فقد أمسكنا بهم. جيري هو ذراع ويسبر اليمنى، والوغد الإيطالي أحد أفراد عصابته. كما أنه الشخص الذي غرس السكين في عنق أيك بوش ليلة المباراة.»

«هل يوجد المزيد من عصابة ويسبر؟»

«لا. أمسكنا فقط بثلاثتهم باستثناء باك والاس، وهو الشخص الذي أصبته. وهو في المستشفى الآن.»

نظر رئيس الشرطة إلى ساعة الحائط مرة أخرى، وإلى ساعة يده. كانت الساعة الثانية بالضبط. الْتفتَ إلى الهاتف. حينئذٍ رنَّ جرس الهاتف. أخذ السماعة وقال:

«نونان معك ... نعم ... نعم ... نعم ... حسنًا.»

أزاح الهاتف جانبًا وضغط على صف الأزرار الصغيرة على مكتبه، ما جعلها تصدر صوتًا كالنغمة. عندئذٍ امتلأ المكتب برجال الشرطة.

قال: «سننطلق إلى نُزُل «سيدار هيل». اتبعني أنت وفريقك يا بيتس. تيري، ادخل أنت من شارع برودواي واضرب الهدف من الخلف. واجمع معك ضباط المرور الواقفين في الخدمة على طول طريقك. فربما نحتاج إلى كل فردٍ يمكنه الانضمام إلينا. أما أنت يا دافي، فخذ فريقك من شارع يونيون والتفَّ من طريق المَنجَم القديم. سيظلُّ ماكجرو في المقر كي يدير شئونه. وأرسِلْ خلفنا كل من تصل إليه. هيا تحركوا!»

أخذ قبعته وخرج خلفهم، ونادى عليَّ ملتفتًا برأسه من فوق كتفيه العريضتَين:

«هيا يا رجل، فهذه المواجهة الحاسمة.»

تبعته إلى جراج القسم حيث تَهدِر محركات ست سيارات. جلس رئيس الشرطة بجانب سائقه. وجلستُ في المقعد الخلفي مع أربعة محققين.

اندفع الرجال إلى السيارات الأخرى. وأُخرِجَت المدافع الرشاشة. ووُزِّعت البنادق وأسلحة مكافحة الشغب، وعبوات من الذخيرة.

انطلقت سيارة رئيس الشرطة أولًا، وأحدثت قفزة عن الأرض جعلت أسناننا يصطكُّ بعضُها ببعض. غادرنا باب الجراج ولم يفصلنا عنه أكثر من نصف بوصة، وبدا وكأننا نطارد اثنين من المارة فوق الرصيف، ونحن نعبره للنزول إلى نهر الطريق في اندفاع، وبالكاد تجاوزنا شاحنة كاد باب السيارة يحتكُّ بها، وانطلقنا إلى شارع كينج وصفارة الإنذار تعلن عن قدومنا بأعلى الأصوات.

اندفعَت السيارات المذعورة يمنة ويسرة، ضاربةً بقواعد المرور عُرض الحائط، كي تفسح لنا الطريق. كانت مغامرة ممتعة.

نظرت خلفي ورأيت سيارة شرطة أخرى خلفنا، وثالثة انعطفت إلى شارع برودواي. مضغ نونان سيجارة غير مشتعلة وأمر السائق:

«أسرع أكثر يا بات.»

ناور بنا بات حول سيارة رياضية تقودها امرأة مذعورة، واجتاز بالسيارة من بين سيارة تسير في الشارع وعربة غسيل ملابس، كانت مساحة ضيقة لدرجة أننا استطعنا اجتيازها بمشقة، وكأن نعومة صقل السيارة لها الفضل في ذلك، ثم قال:

«عذرًا، ولكن المكابح لا تعمل بكفاءة.»

قال المحقق صاحب الشارب الرمادي الجالس إلى يساري: «لا بأس.» لكني لم أسمع الجدية في نبرة صوته.

لما خرجنا من وسط المدينة، لم ننزعج من الحركة المرورية لخفَّتها، ولكن الطريق كان أوعر. استمتعت بالرحلة التي استمرَّت نصف ساعة، وفيها حظيَ كل فرد بفرصة الجلوس على حِجر الآخر. أما آخر عشر دقائق، فقد مشينا على طريق غير معبَّد، فوق عددٍ من التلال، لدرجة أننا لم ننسَ مقولة بات عن المكابح.

انتهت الرحلة عند بوابةٍ تعلوها لافتةٌ كهربية قبيحة المنظر كان مكتوبًا عليها «نُزُل سيدار هيل»، قبل أن تفقد ملامحها. كان نُزُل الطريق — الواقع على مسافة عشرين قدمًا من البوابة — عبارةً عن مبنًى خشبيٍّ قصيرٍ مطلي باللون الأخضر الذي يشبه العفن، وأكثر ما يحيط به هو القمامة. وجدنا الباب الأمامي والنوافذ مغلقة، وكأنه لا يوجد أحدٌ بالداخل.

تبعنا نونان بعدما ترجَّل من السيارة. رأينا السيارة التي كانت خلفنا على مقربةٍ من منعطف في الطريق، وقد توقفت بجانب سيارتنا وأفرغت حمولتها من الرجال والعتاد.

أعطى نونان عدة أوامر.

انطلق إلى كل جانب من المبنى ثلاثةٌ من رجال الشرطة. وبقي ثلاثة آخرون — وفيهم حامل المدفع الرشاش — عند البوابة. أما بقيتنا فقد مشى من بين علب القصدير والزجاجات والجرائد القديمة إلى مقدمة النُّزل.

حمل المحقق صاحب الشارب الرمادي الذي جلس بجانبي في السيارة فأسًا حمراء. وصعدنا إلى الشرفة الأرضية.

سمعنا أصوات جلبة وإطلاق نار من أسفل عتبة إحدى النوافذ.

سقط المحقق صاحب الشارب الرمادي، واختفت الفأس تحت جثته.

حينئذٍ هرب بقيتنا.

جريتُ مع نونان. اختبأنا بداخل خندق في الطريق الذي بجانب النُّزل. كان الخندق عميقًا، وجوانبه مرتفعة بالقدر الذي يتيح لنا الوقوف منتصبين من دون أن نصبح أهدافًا سهلة.

كان رئيس الشرطة متحمسًا.

فقال مسرورًا: «يا له من حظ سعيد! إنه هنا، يا إلهي، إنه هنا!»

قلت: «انطلقت الرصاصات من تحت عتبة النافذة. ليست خدعة سيئة.»

قال مبتهجًا: «ولكننا سنفسدها. سندكُّ هذا المبنى. لا بد أن دافي قد وصل إلى المكان في الشارع الآخر الآن، وسيكون تيري شين في إثره بعد بضع دقائق.» نادَى على رجل كان يختلس النظر من خلف صخرة: «دونر! اذهب إلى الخلف وأخبر دافي وشين أن يبدآ في خطتهما بمجرد الوصول، وأن يهجما بكل ما أُوتِيَا من قوة. أين كيمبل؟»

أشار المتلصص بإبهامه تجاه شجرة خلفه. ولم نرَ إلا الجزء العلوي من هذه الشجرة من الخندق الذي نختبئ فيه.

أمره نونان: «مُرْه أن يملأ الخزنة ويبدأ الهجوم. مُرْه أن يبدأ التصويب من الأسفل في مقدمة المبنى، ولْيُحسن التصويب.»

اختفى المتلصِّص.

تحرَّك نونان جَيئةً وذهابًا في الخندق، مُخاطرًا بالصعود برأسه خارج الخندق بين الفَينة والأخرى كي يلقي نظرة، وكل مرة ينادي على رجاله أو يشير لهم بالتعليمات.

عاد وجلس على عَقِبيه بجانبي، وأعطاني سيجارةً وأشعل واحدةً لنفسه.

قال بنبرة تنمُّ عن الرضا: «سنُنجِز المهمة. لم يعُد أمام ويسبر أيُّ فرصة. لقد انتهى أمره.»

أطلق المدفع الرشاش الذي بجانب الشجرة ثماني رصاصات أو عشرًا على نحوٍ متقطِّع، وبتصويباتٍ مدروسة. ابتسم نونان ونفث من فمه حلقة دخان. بدأ إطلاق النار من المدفع الرشاش، فأخذ رصاص المدفع يفُلُّ الحديد. نفث نونان حلقة دخان أخرى وقال:

«هذا تحديدًا ما سينجز المهمة.»

وافقته على ذلك. اتكأنا على الضفة الطينية ودخَّنَّا السجائر، وعلى مسافة بعيدة، بدأ مدفع رشاش آخر في إطلاق الرصاص، ثم تبعه مدفع ثالث. وبعد ذلك بدأ إطلاق الرصاص من البنادق والمسدسات وبنادق الرش على نحو غير منتظم. أومأ نونان مستحسنًا وقال:

«خمس دقائق من هذا السيل ستعرِّفه أنه في وسط الجحيم.»

بعدما انتهت خمس الدقائق، اقترحت عليه أن يلقيَ نظرةً على ما يحدث. ساعدته على صعود الضفة وتسلَّقت خلفه.

وجدنا النُّزل أَجردَ فارغًا في ظاهره كما كان من قبل، ولكنه خُرِّب أكثر. لم تخرج رصاصةٌ من الداخل. بل انهال سيلٌ من الرصاص عليه.

سأل نونان: «ما تقول في ذلك؟»

«إذا كان هناك قبو فربما يختبئ الجرذ فيه.»

«حسنًا، يمكننا إنهاء أمره فيما بعد.»

أخرج صفارة من جيبه ونفخ فيها فأحدثت صوتًا عاليًا. ثم لوَّح بذراعَيه السمينتَين، وبدأت المدافع الرشاشة في التوقُّف. اضطُررنا إلى انتظار إشارةٍ كي نتفقد المكان بكامل محيطه.

وحين أتت، اقتحمنا الباب.

كانت أرضية الطابق الأول غارقة بارتفاع الكاحل بالنبيذ، الذي كان لا يزال يتهاوى من الثقوب التي أحدثها الرصاص في الصناديق والبراميل المكدَّسة بداخل النُّزل.

شعرنا بالدوار من أبخرة الخمر المتصاعدة، وتجولنا في المكان حتى عثرنا على أربع جثث، ولم نجد أحدًا على قيد الحياة. كان الأربعة غرباء من أصحاب البشرة الداكنة، يرتدون ملابس العمال. واثنان منهم قطَّعهم الرصاص حرفيًّا.

قال نونان:

«اتركوهم هنا واخرجوا.»

خالج صوتَه مسحةٌ من نشوة الابتهاج، ولكن فضحته عينه في ضوء مصباح الكشاف؛ إذ كشفت عن شعوره بالخوف.

خرجنا بسرور على الرغم من أنني ترددت كثيرًا في أن أضع في جيبي زجاجة غير مكسورة تحمل علامة «ديوار» في جيبي.

حينئذٍ ترجَّل شرطي يرتدي ملابس من قماش الكاكي عن دراجة بخارية عند البوابة. وصاح علينا قائلًا:

«تعرَّض البنك الوطني الأول للسرقة.»

انهال نونان بسيل من اللعنات وجعجع قائلًا:

«لقد خدعنا، اللعنة عليه! فليرجع الجميع إلى المدينة.»

اندفع الجميع إلى السيارات باستثناء نحن الذين رافقنا رئيس الشرطة. وأخذ اثنان منهم المحقق الميت معهما.

نظر إليَّ نونان بطرَف عينه وقال:

«الموقف صعب ولا مجال للهذر.»

قلت: «حسنًا»، وهززت كتفيَّ وذهبت إلى سيارته، حيث كان السائق جالسًا ممسكًا بعجلة القيادة. وقفت موليًّا ظهري إلى النُّزل وتحدثت إلى بات. لكني لا أتذكَّر الموضوع الذي تحدثنا فيه. فقد انضم إلينا نونان وبقية أفراد الشرطة من فورهم.

لكن ظهرت شرارة صغيرة من باب النُّزل المفتوح، قبل أن يغيب عن مرمى البصر عند المنعطف الذي في الطريق.

الفصل السادس عشر

جيري يلقى مصرعه

تجمَّع الناس حول البنك الوطني الأول. تدافعنا بين الزحام حتى وصلنا الباب، وقد وجدنا ماكجرو نَكِد المحيَّا.

أخبر رئيس الشرطة حين دخلنا: «كانوا ستةَ رجال ملثَّمين. اقتحم الرجال البنك نحو الساعة الثانية والنصف. فرَّ خمسة منهم بالأموال من دون أن يخلِّفوا أثرًا. لكن حارس البنك أسقط واحدًا منهم وهو جيري هوبر. وهو ملقًى على المقعد وقد فارق الحياة. وعلى إثر ذلك أغلقنا الطرق، وطوَّقنا المدينة، ولكن أرجو ألَّا يكون هذا الإجراء متأخرًا. وآخر مرة شوهِدوا فيها كانت وقت انعطافهم إلى شارع كينج في سيارة لينكون سوداء.»

ذهبنا كي نلقي نظرة على جيري الميت، وهو ممدَّد على أحد مقاعد الرواق ومغطًّى برداء بني. وجدنا أن الرصاصة اخترقت أسفل لوح كتفه اليسرى.

حارس البنك رجل عجوز بادٍ فيه الضعف، ولكنه كان يقص علينا ما حدث باختيال:

«لم تسنح أي فرصةٍ لفعل شيءٍ في البداية. فقد دخلوا إلى البنك قبل أن يدرك أحدٌ ما يحدث. ولا شكَّ أنهم تمتعوا بسرعةٍ عالية. ونهبوا كل شيء أتى في طريقهم. ولذا لم تسنح فرصة لفعل أي شيء حينئذٍ. ولكن قلت في نفسي: «حسنًا أيها الشباب، قد تكون لكم اليد العليا الآن، ولكن انتظروا حتى تحاولوا الخروج.»

وقد كنت على قدر الكلمة، وهذا القتيل يؤكد كلامي. ركضت نحو الباب خلفهم وأخرجت سلاحي القديم. أصبت ذلك الفتى وهو يحاول ركوب السيارة. وأؤكد لكم أنه لولا نفاد الرصاص معي، لأصبت المزيد منهم لأن التصويب يكون صعبًا؛ إذ كنت أقف في ...»

أوقف نونان حديثه المسترسل لما ربَّت على ظهر العجوز، حتى كادت تفرغ رئتاه من الهواء، وقال له: «أحسنت صنعًا. نحن نشكر صنيعك.»

سحب ماكجرو الرداء على الجثة مرة أخرى، ودمدم قائلًا:

«لا أحد يمكنه التعرف على أحدٍ منهم. ولكن بما أن جيري في العملية، فلا شك أن الرأس المدبِّر هو ويسبر.»

أومأ رئيس الشرطة سعيدًا وقال:

«سأترك هذه القضية لك يا ماك.» ثم سألني: «هل ستتقصَّى المكان أم ستعود معي إلى دار البلدية؟»

«لا هذا ولا ذاك. فأنا لديَّ موعد، وأريد أن أرتدي حذاءً جافًّا.» كانت سيارة دينا براند الصغيرة من طراز مارمون تقف أمام الفندق. ولكني لم أرَ دينا. صعدت إلى غرفتي وتركت الباب مفتوحًا. وكنتُ قد خلعت قبعتي ومعطفي حين دخلَت من دون أن تطرق الباب.

قالت: «يا إلهي، غرفتك زَنِخة برائحة الخمر.»

«بل حذائي. فقد أقحمني نونان في مكان مليء بشراب الرام.»

قطعَت الغرفة إلى النافذة وفتحَتها وجلسَت على عتبها، وسألَت:

«وماذا كان الهدف من ذلك؟»

«ظن أنه سيعثر على صاحبنا ماكس في خرابة تُسمَّى نُزل «سيدار هيل». ومن ثم ذهبنا إلى هناك وانهلنا عليه بسيل من الرصاص، وأردينا بعض الأوغاد من الأصول الإيطالية، وأهدرنا قدرًا كبيرًا من الخمر، وتركنا المكان مشتعلًا.»

«نُزل «سيدار هيل»؟ على حد علمي إنه مغلق منذ عام أو نحو ذلك.»

«كان هذا هو ظاهر الأمر، ولكنه مستودع مملوك لأحدهم.»

سألَت: «ولكن ألم تعثروا على ماكس هناك؟»

«يبدو أنه سطا على البنك الوطني الأول الذي يملكه إيليو لما كنا نحن هناك.»

قالت: «لقد رأيت عملية السطو تلك. فحينها كنت خرجت لتوي من متجر بينجرين، إنه يقع على مسافة مبنيَين من البنك. وما كدت أركب سيارتي حتى رأيت فتًى ضخمًا ملثمًا بمنديل أسود يخرج من البنك ويحمل زَكيبةً ومسدسًا.»

«هل كان ماكس معهم؟»

«لا، لا يُوجَد بشخصه في هذه العمليات. إنه يرسل جيري ورجاله. هذا هو دورهم. ولذا رأيت جيري معهم. لقد عرفته بمجرد أن خرج من السيارة على الرغم من تلثُّمه بالمنديل

الأسود. كانوا كلهم ملثّمين بمناديل سوداء. خرج أربعةٌ منهم من البنك يركضون تجاه السيارة الواقفة بجانب الرصيف. وكان جيري وشخص آخر في السيارة. ولما جاء الرجال الأربعة على الرصيف، قفز جيري خارج السيارة كي يساعدَهم. وحينئذٍ بدأ إطلاق النار، وسقط جيري. قفز الآخرون داخل السيارة ولاذوا بالفرار. هل أحضرتَ الأموال التي تدين بها لي؟»

عددت عشر ورقات من فئة العشرين دولارًا، وعشرة سنتات. وعندئذٍ نزلَت عن عتبة النافذة وأتت كي تأخذها.

حين وضعَتِ الأموال في حقيبتها، قالَت: «هذا المبلغ نظير تشتيت انتباه دان حتى تتمكن من الإمساك بماكس. والآن، ماذا عن ثمن إفشاء المعلومات الذي تُدينه في قتل تيم نونان؟»

«ستُضطرين إلى الانتظار حتى يُتهم رسميًّا. فكيف لي أن أعرف أن المعلومات موثوقة؟»

عبست وسألت:

«ما الذي تفعله بكل هذه الأموال التي لا تنفقها؟» حينئذٍ أشرق وجهها. «هل تعلم أين ماكس؟»

«لا.»

«كم تساوي هذه المعلومة عندك؟»

«لا تساوي شيئًا.»

«سأقولها لك مقابل مائة دولار.»

«لا أود أن أستغلك بهذه الطريقة.»

«سأقولها لك مقابل خمسين دولارًا.»

هززت رأسي رافضًا.

«خمسة وعشرين.»

قلت: «أنا لا أريده. لست مهتمًّا بمعرفة مكانه. لماذا لا تبيعين هذه المعلومة لنونان؟»

«أنت على حق، وأحاول أن آخذ منه المال. ألَا تستخدم الخمر إلا في تعطير نفسك، أليس لك مآرب أخرى في شربه مثلًا؟»

«معي زجاجة من نوعية ديوار أخذتها من نُزل «سيدار هيل» بعد ظهر اليوم. وتوجد زجاجةٌ أخرى من نوعية كينج جورج في حقيبتي. ماذا تختارين؟»

اختارت كينج جورج. واحتسينا شرابًا من دون إضافاتٍ وقلت:

«اجلسي واشربي منها ريثما أغيِّر ملابسي.»

حين خرجت من الحمام بعد خمس وعشرين دقيقة، وجدتها جالسةً إلى المكتب تدخن سيجارة، وتقرأ دفتر مذكرات أحتفظ به في الجيب الجانبي لحقيبة صغيرة أحمل فيها أغراضي.

قالت من دون أن ترفع نظرها: «أظن أن هذه هي النفقات التي تكبَّدتَها في القضايا الأخرى. أنا لا أفهم لماذا تَغُل يدك معي. انظر، هذا بند بقيمة ستمائة دولار باسم «معلومات». وهذه قيمة معلومات اشتريتها من أحدهم، أليس كذلك؟ وهذا بند آخر بقيمة مائة وخمسين دولارًا باسم «سري للغاية» أيًّا ما كانت دلالته. وهنا يوم آخر أنفقت فيه ما يقرب من ألف الدولار.»

قلت وأنا آخذ الدفتر منها: «لا بد أنها أرقام هواتف. أين نشأتِ؟ ما بالك تبحثين في حقيبتي!»

أخبرتني: «نشأت في دير. وطَوال فترة مكوثي هناك، كنت أحصل على جائزة حسن السير والسلوك كل عام. وحينذاك، كنت أظنُّ أن الفتيات الصغيرات اللواتي يضعْنَ ملاعق سكر إضافية في الشوكولاتة الخاصة بهن يذنبن بسبب الشراهة. ولم أعلم شيئًا عن السِّباب حتى بلغت الثامنة عشرة. أول مرة أسمع فيها السباب، كدت يُغمَى عليَّ.» بصقَت على السجادة التي أمامها، وأمالت كرسيها إلى الوراء، ووضعت قدمَيها واحدةً على الأخرى على سريري وسألَت: «هل تصدق هذا؟»

دفعت قدمَيها من فوق السرير وقلت:

«أما أنا فقد نشأتُ في حانة على الساحل. لا تبصقي في أرضية غرفتي وإلا رميتكِ خارجها من دون تفكير.»

«لنَحتسِ شرابًا آخر أولًا. اسمع، كم ستدفع مقابل المعلومات السرية بشأن الطريقة التي لم يخسر بها هؤلاء الرجال شيئًا في بناء دار البلدية ... تلك القصة التي بعتها لدونالد ويلسون وكتبها في الجريدة؟»

«هذا لا يعنيني. جربي شيئًا آخر.»

«ماذا عن سبب دخول السيدة ليو يارد إلى مستشفى الأمراض العقلية للمرة الأولى؟»

«لا.»

«الملك، أو مأمور مدينتنا، كان مدينًا بثمانية آلاف دولار منذ أربع سنوات، والآن يملك عددًا من المباني التجارية المُربحة في وسط المدينة كالتي تتمنَّى أنت نفسُك امتلاكها. ليس عندي المعلومات كلها، ولكن سأدلُّك على مصدرها.»

شجعتها: «جرِّبي شيئًا آخر.»

«لا. فأنت لا تريد أن تشتريَ شيئًا. بل ترجو أن تحصل على شيء من دون أن تدفع. هذا الويسكي ليس سيئًا. من أين اشتريته؟»

«جلبته معي من سان فرانسيسكو.»

«ما المغزى من أنك لا تريد أيًّا من المعلومات التي أعرضها عليك الآن؟ هل تعتقد أن بإمكانك الحصول عليها بسعرٍ أقل؟»

«المعلومات من هذه النوعية لن تنفعني في الوقت الحالي. فأنا مضطر إلى التحرك بسرعة. أنا بحاجة إلى شيء يشعل الموقف ... شيء يمزقهم إرْبًا إرْبًا.»

ضحكت وقفزت وعيناها الواسعتان تلمعان.

«معي بطاقةٌ من بطاقات ليو يارد. لنفترض أننا أرسلنا زجاجة ديوار التي أخذتها معك إلى بِيت ومعها البطاقة. ألن يُعتبر هذا إعلانًا للحرب؟ إذا كان نُزل «سيدار هيل» مستودعًا للخمر، فمؤكد أنه ملكٌ لبِيت. ألن تسوقه الزجاجة وبطاقة ليو إلى الاعتقاد بأن نونان دكَّ المكان بناءً على تعليمات من ليو؟»

فكرت مليًّا، ثم قلت:

«هذه خدعة بسيطة. ولن ينخدع بها. إضافةً إلى ذلك، أنا أريد بِيت وليو أن يكونا معًا في مواجهة رئيس الشرطة في هذه المرحلة.»

عبسَت وقالت:

«تظن أنك تعرف كل شيء. ومن الصعب جدًّا التعامل معك. هلَّا تصطحبني للخروج الليلة؟ فقد اشتريت زيًّا جديدًا سيذهل الجميع.»

«موافق.»

«تعالَ نحو الساعة الثامنة.»

ربَّتت على خدِّي بيدها الدافئة وقالت: «مع السلامة»، وخرجت حين بدأ جرس الهاتف يرن.

* * *

قال ميكي لينهان على الطرف الآخر من خط الهاتف: «هدفي وهدف ديك كلاهما في وكر زبونك. هدفي كان منشغلًا للغاية، ولكن لا أعلم التفاصيل بعد. هل من أخبارٍ جديدة؟»

قلت إنه لا توجد أخبار جديدة، وغُصت في التفكير مع نفسي وأنا على السرير، محاولًا أن أخمن النتائج المحتملة لهجوم نونان على نُزل سيدار هيل، وهجوم ويسبر على البنك الوطني الأول. وَدِدت لو استطعت أن أسترق السمع لما يقوله إيليو، وما يقوله بِيت الفنلندي وليو يارد في منزل إيليو. ولكن لم يسعني ذلك، ولا أتمتَّع بحسٍّ جيدٍ في التخمين؛ ولذا، بعد نصف ساعة، توقفتُ عن إجهاد عقلي وغفوت قليلًا.

صحوت من غفوتي الساعة السابعة تقريبًا. استحممت وارتديت ملابسي، ووضعت في جيبي المسدس وقِنِّينةً بسَعة نصف لتر من ويسكي سكوتش، وانطلقت إلى منزل دينا.

الفصل السابع عشر

رينو

صحبَتني إلى غرفة المعيشة، وتراجعَت إلى الوراء قليلًا، ودارت دورةً كاملة وسألتني كيف أجد فستانها الجديد. قلت إنه أعجبني. وأوضحَت أن الفستان بلون البيج الوردي، وأرَتني التطريزات والزخارف على الجنب، وانتهت بسؤالها:

«هل تراني جميلة فيه حقًّا؟»

قلت: «أنت جميلة على الدوام. لقد زار ليو يارد وبيت الفنلندي إيليو العجوز بعد ظهر اليوم.»

ارتسمَت تعابير السأم على وجهها وقالت:

«أنت لا يهمك أمر فستاني حقًّا. ماذا كانوا يفعلون هناك؟»

«أظنُّهم يعقدون اجتماعًا.»

نظرَت إليَّ بعينَين مغمضتَين قليلًا وسألتني:

«ألَا تعلم حقًّا مكان ماكس؟»

كنت أعلم في تلك اللحظة. ولكن لا جدوى من الاعتراف بأنني لم أكن أعلم من قبل. قلت:

«ربما يمكث عند ويلسون، ولكني لست مهتمًّا بالقدر الذي يدفعني إلى التأكد.»

«هذه حماقة منك. وهو محقٌّ في كرهه لك ولي. خذ بنصيحتي وتخلَّص منه سريعًا إذا كانت حياتك عزيزةً عليك وكذلك حياتي.»

ابتسمت وقلت:

«لم تعلمي الأسوأ بعد. ماكس لم يقتل أخا نونان. تيم لم يقُل ماكس. بل حاول أن يلفظ اسم ماكسوين، لكنه مات قبل أن يُكمل الاسم.»

شدَّتني من كتفيَّ وحاولت أن تهزَّ جسدي البالغ وزنه مائة وتسعين رطلًا. وكانت قويةً بالقدر الذي يمكِّنها من هزِّه.

«يا لك من لعين!» أحسست بأنفاسها الحارَّة في وجهي. كان وجهها أبيض مثل أسنانها. فبرز لون أحمر الشفاه حادًّا كأنه علامات ملصقة على شفتَيها وخدَّيها. «بما أنك تجنَّيت عليه وجعلتني أتجنَّى عليه، فالأجدر أن تقتله ... والآن.»

لا أحب أن يعاملني أحدٌ بخشونة، حتى لو كان امرأةً تشبه الشخصيات الأسطورية حين تغضب. أنزلتُ يدَيها عن كتفيَّ وقلت:

«توقَّفي عن التذمُّر. فأنت لا تزالين على قيد الحياة.»

«نعم، ما زلت على قيد الحياة. ولكني أعرف ماكس أكثر مما تعرفه. وأعرف كم هي ضئيلة فرص البقاء على قيد الحياة لأي شخصٍ يحاول أن يرميَه بالتهم. تكون الأمور سيئةً بما يكفي ونحن محقَّان في اتهامه، ولكن ...»

«لا تبالغي في ردَّة فعلك هكذا. فقد ألقيتُ التهم على عددٍ لا يُحصَى بالإضافة إليه، ولم يحدث لي شيء. ارتدي قبعتك ومعطفك، سنخرج للعشاء. ستشعرين بتحسن حينئذٍ.»

«أنت مجنون إن ظننت أني سأخرج. لن أخرج وذلك ...»

«توقَّفي يا أختاه. إن كان بالخطورة التي تذكرينها، فلن يُعجِزه التخلصُ منكِ في أي مكان. ولذا، ما الفارق بين مكوثِك في المنزل وخروجك؟»

«الفرق ... هل تعلم ما ستفعله؟ ستمكث هنا حتى ينتهيَ أمر ماكس. فهذا خطؤك وعليك أن تحرسني. فحتى دان ليس موجودًا هنا. إنه في المستشفى الآن.»

قلت: «ليس بوسعي ذلك. فأنا لديَّ عمل. وأرى أنكِ تقلقين من دون داعٍ. وربما نسيَ ماكس أمرك تمامًا الآن. ارتدي قبعتك ومعطفك. فأنا أتضور جوعًا.»

اقتربَت بوجهها إلى وجهي مرة أخرى، وكأن عينَيها أبصَرَتا شيئًا مرعبًا في عينيَّ.

قالت: «إنك لبغيض! أنت لا تأبه لما قد يحلُّ بي. فأنت تستغلني كما تستغل البقية ... أنا بالنسبة إليك الديناميت الذي تريده. أنا وثقت بك.»

«صحيح أنكِ تشبهين الديناميت أحيانًا، ولكن بقية كلامك مجرد سخافات. جمالك يزداد حين تكونين سعيدة. فملامحك حادة. والغضب يُظهِر القسوة فيها. إني أتضور جوعًا يا أختاه.»

قالت: «ستأكل هنا. لن أدعك تُخرِجني من المنزل بعد حلول الليل.»

لقد عزمَت أمرها. ومن ثَم غيرَت فستانها ذا اللون البيج الوردي، وارتدَت مئزرًا، وتفقَّدت الموجود في الثلاجة. وجدَت بطاطس وخسًّا ومرقة معلبة ونصف كعكة فواكه. أما أنا فقد خرجت وأحضرت شريحتَي لحم بقري وخبزًا وخضار الهليون وطماطم.

وحين عدت، وجدتها تمزج شراب الجِن مع الفيرموت والنارنج في رجَّاجة بسعة ربع جالون، ولم تترك مساحةً كافيةً كي يتحرَّك الخليط فيها.

سألَت: «هل رأيتَ أي شيء؟»

رددتُ عليها ساخرًا ولكن بطريق المزاح. حملنا خليط الشراب إلى غرفة الطعام وشربناه ريثما يطيب الطعام. ارتفعت معنوياتها كثيرًا بعد الشراب. ولما جلسنا إلى الطعام، تبدَّد خوفها كلُّه تقريبًا. صحيحٌ أنها ليست طاهيةً ماهرة، ولكننا أكلنا وكأنها قد أعدَّت أشهى الطعام.

احتسينا كأسَين من شراب الجِن الممزوج بشراب الزنجبيل بعد العشاء.

قالت إنها قررَتِ الذَّهاب إلى مكانٍ ما وفِعْل شيء ما. فلا يسع أي شخص حقير أن يقيِّد حريتها، لا سيما أنها ظلَّت مخلصةً له حتى انزعج من أمورٍ لا تستحق هذا الانزعاج، وإذا لم يعجبه ما فعلَت، فليذهب إلى حيث شاء، وسنخرج إلى الاحتفال المقام في نُزل «سيلفر آرو» حيث قرَّرت أن تصحبني؛ لأنها وعدَت رينو أن تحضر حفله، وهي ذاهبةٌ لا محالة، وأي شخص يظن غير ذلك مجنون، وسألَتني ما رأيي في ذلك؟

سألتُها وهي تقيد نفسها بقوة في المريلة بشد حزامها بطريقة خاطئة: «ومَن رينو؟»

«رينو ستاركي. سيَرُوقك. إنه رجل جدير بالثقة. وقد وعدته بحضور احتفاله، وهذا ما سأفعله.»

«وما مناسبة الاحتفال؟»

«ما خطب هذا المئزر اللعين؟ لقد خرج من السجن بعد ظهر اليوم.»

«الْتفتي وسأفكُّه لك. وما سبب دخوله السجن؟ ابقَيْ ساكنة.»

«سرقة خزنة منذ ستة أشهر أو سبعة ... صاحبُها تورلوك بائع المجوهرات. تضمَّنت قائمة المتهمين كلًّا من رينو، وبوت كولينجس، وبلاكي والن، وهانك أومارا، ورجل به شيء من عرَج يُطلقون عليه اسم الأعرج. وعلى الرغم من أنه كان لديهم شاهد نفي قوي، وهو ليو يارد، فإن المحققين من اتحاد الصاغة ألصقوا التهمة بهم. ولذا قد شارك نونان في التحقيقات. ولكن هذا لا يهم. فقد أُفرِجَ عنهم بكفالةٍ في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم، وهذه نهاية

القضية. ولكن رينو معتادٌ على ذلك. فقد سبق أن أَفرجَ عنه بكفالةٍ في ثلاث قضايا أخرى. هلا تمزج الشراب ريثما أرتدي الفستان.»

* * *

يقع نُزل «سيلفر أرو» في منتصف الطريق بين بيرسونفيل وموك ليك.

أخبرَتني دينا وهي تقود سيارتها الصغيرة من طراز مارمون تجاه المدينة: «إنه ليس بنُزل سيئ. وبولي دي فوتو امرأة صالحة، وأي شيء تبيعه لك مذاقه طيب باستثناء، ربما، ويسكي البوربون. فدائمًا ما تتذوق فيه طعمًا غريبًا بعض الشيء وكأنه مستخرَج من جيفة. ستَرُوقك. ويمكنك فعل ما يحلو لك هناك ما دمت لا تُثير الضوضاء. فهي لا تطيق الضوضاء. كدنا نصل. هل ترى الأضواء الحمراء والزرقاء من بين الأشجار؟»

خرجنا من طريق الغابة وأمسينا نرى النُّزل بوضوح، وهو يُحاكي القلعة في التصميم، ومبهرَج بالأضواء الكهربائية، ويقع على مسافةٍ قريبةٍ من الطريق.

سألت وأنا أسمع إيقاع الأعيرة النارية وهي تتردَّد: «ما الذي تقصدينه بأنها لا تتحمل الضوضاء؟»

تمتمت الفتاة وهي توقف السيارة: «ثمة خَطْب ما.»

رأينا رجلَين يجرَّان امرأةً بينهما، يركضان بها من الباب الأمامي للنُّزل، واختفيا في الظلام. اندفع رجلٌ آخر من بابٍ جانبي ولاذَ بالفرار. بدأ إيقاع الأعيرة النارية مرة أخرى. لكني لم أرَ وميضها.

اندفع رجلٌ آخر من الداخل واختفى خلف النُّزل.

ومال رجلٌ بجسده خارج نافذةٍ في الطابق الثاني ميلًا شديدًا، وفي يده مسدس أسود.

شهقت دينا شهقة حادة.

ومن سياجٍ على جانب الطريق، انطلق وميض برتقالي تجاه الرجل المتدلي في النافذة. وعلى إثر ذلك رأينا وميضًا من مسدسه متجهًا إلى أسفل. ثم مال بجسده أكثر. ولم نرَ وميضًا آخر عند السياج.

أخرج الرجل الذي في النافذة ساقَه من فوق عتبة النافذة، وانحنى وتشبَّث بيدَيه، ثم أفلتهما وسقط.

ارتجَّت سيارتنا نحو الأمام. وكانت دينا تعض على شفتها السفلى.

شرع الرجل الساقط من النافذة في النهوض وهو على يدَيه وركبتَيه.

اقتربت دينا بوجهها حتى أصبح أمام وجهي وصاحت:

«رينو!»

وثب الرجل مولِّيًا وجهه نحونا. وقد قطع الطريق في ثلاث وثباتٍ ونحن نقترب منه.

قادت دينا سيارتها الصغيرة بأقصى سرعةٍ لديها، قبل أن يتمكن رينو من وضع قدمه على عتبة الباب المجاور لي في السيارة المتحركة. لففت ذراعيَّ حوله، لدرجة أني أحسست أنهما كادتا تنخلعان، كي أمسكه جيدًا. وقد صعَّب عليَّ الأمر حين مال خارج السيارة، في محاولةٍ لإطلاق النار تجاه الأعيرة النارية التي تنهال علينا من كل اتجاه.

وفي لحظةٍ انتهى كل شيء. بِتنا على مسافةٍ بعيدة عن نُزل «سيلفر أرو» وعن رؤيته، وعن الأصوات الصادرة منه؛ إذ كنا نسرع بعيدًا عن بيرسونفيل.

التفتَ رينو وثبَّت نفسه بالسيارة. حينئذٍ أدخلت ذراعيَّ ووجدت أن جميع مفاصل ذراعيَّ لا تزال سليمة. أما دينا فقد انشغلت بقيادة السيارة.

قال رينو:

«شكرًا يا رجل. كنت في حاجةٍ لمن يخرجني من وسط كل هذا.»

قالت له دينا: «لا عليك. هل هذه نوعية الحفلات التي تقيمها؟»

«أتانا ضيوف لم ندعُهم. هل تعرفين طريق تانر؟»

«نعم.»

«اسلكيه. سيأخذنا هذا الطريق إلى جادة ماونتن، ويمكننا العودة إلى المدينة من هناك.»

أومأت الفتاة وأبطأت السيارة قليلًا وسألت:

«من هم الضيوف غير المدعوِّين؟»

«بعض الأوغاد ممن لا يريدون أن يتركوني وشأني.»

سألَت بعفويةٍ كبيرةٍ وهي تنعطف بالسيارة إلى طريقٍ أضيق وأوعر: «هل أعرفهم؟»

قال رينو: «ذَري هذا يا عزيزتي. الأفضل أن نسيرَ بهذه السيارة بأقصى سرعةٍ ممكنة.»

ضغطت دينا على الدواسة، فأضافت إلى سرعة سيارة مارمون خمسة عشر ميلًا. ومن ثَم صبَّت جُل اهتمامها على تثبيت السيارة على الطريق، وصبَّ رينو جُل اهتمامه على تثبيت نفسه بالسيارة. ولذا لم ينخرط كلاهما في أي حديثٍ حتى خرجنا إلى طريق آخر ممهَّد أكثر.

حينئذٍ سأل:

«هل أنهيت علاقتك مع ويسبر؟»

«بشكل ما.»

«يقول الناس إنكِ وشيتِ به.»

«دعك من قولهم. ما رأيك أنت؟»

«لا بأس عندي في الانفصال عنه. ولكن الانحياز إلى محقق وإفشاء الأسرار له شيء مَقيت. مقيت جدًّا في نظري.»

نظر إليَّ وهو يقولها. كان في الرابعة أو الخامسة والثلاثين من عمره، معتدل الطول، عريض المنكبين، ضخم الجسم، ولكنه ليس سمينًا. عيناه كبيرتان بُنِّيتان فاترتان، وتفرق بينهما مسافة كبيرة في وجه طويل شاحب بعض الشيء يشبه أوجُه الخيل. يوحي وجهه بالبلاهة والافتقار إلى حس الدعابة، لكنه، وبشكل ما، ليس مزعجًا. نظرت إليه ولكن لم أقُل شيئًا.

قالت الفتاة: «إذا كان هذا رأيك فيما فعلت، يمكنك ...»

صاح رينو: «انتبهي.»

تأرجحنا بالسيارة في شكل منحنًى. فقد وقفت أمامنا سيارة سوداء طويلة تقطع الطريق أمامنا ... كانت تشكِّل حاجزًا.

انهالت الأعيرة النارية من حولنا. شرعت أنا ورينو في إطلاق الأعيرة النارية، على حين ناورت الفتاة بمرونة وسرعة كبيرتَين بسيارتها الصغيرة من طراز مارمون.

جنحت بالسيارة إلى الجانب الأيسر من الطريق، ما جعل العجلتَين جهة اليسار ترتفعان على الضفة، ثم قطعت الطريق مرة أخرى، وكان وزني ووزن رينو جهة الداخل، وحينها ارتفعَت العجلتان جهة اليسار فوق الضفة اليمنى؛ ومن ثَم بدأت السيارة ترتفع من الجانب الذي

يجلس فيه كلانا، على الرغم من وزنَينا؛ ومن ثَم سلكَتِ الطريق وقد ولّينا العدوَّ ظهورَنا، وانطلقت بنا وخرجت من الحي وقت أن فرغ الرصاص منا.

أطلق كثيرٌ من الرجال وابلًا كثيفًا من الأعيرة النارية، ولكن على حد ما نعلم فإن رصاصاتهم لم تُصِب أحدًا.

وقال رينو، وهو متشبث في الباب بذراعيه، ويدفع في نفس الوقت خزنة أخرى في مسدسه الأوتوماتيكي:

«أحسنتِ صنعًا أيتها الفتاة. لقد ناورتِ بالسيارة كالمحترفين.»

سألت دينا: «إلى أين الآن؟»

«لنبتعد أولًا. اسلكي الطريق وحسب. علينا أن نفكِّر أولًا. يبدو أنهم أغلقوا أبواب المدينة أمامنا. لا تتوقَّفي عن القيادة الآن.»

قطعنا مسافة عشرة أميال أو اثني عشر ميلًا أخرى بعيدًا عن بيرسونفيل. اجتزنا بضع سيارات، ولكن لم نرَ شيئًا يبيِّن لنا أننا ملاحَقون. ثم عبرنا فوق جسرٍ صغيرٍ كان يئنُّ تحت عجلات السيارة. وقال رينو:

«انعطفي جهة اليمين عند قمة التل.»

سرنا على طريقٍ وعر ومتعرِّج بين الأشجار بطول جانب التلِّ الناتئةِ منه الصخورُ. وفي هذا الطريق، كانت السرعة التي بلغت عشرة أميال في الساعة تُعَد سرعة كبيرة. وبعد خمس دقائق من السير في هذا الطريق، أمر رينو بالتوقف. لم نسمع شيئًا ولم نرَ شيئًا في مدة نصف ساعة مكثناها في الظلام. بعد ذلك قال رينو:

«يوجد كوخٌ خالٍ على مسافة ميلٍ من هنا. سنُخيِّم هناك، ما قولكم؟ أرى أنه لا معنًى من الاقتراب من حدود المدينة الليلة.»

قالت دينا إنها تفضِّل أي شيء على أن تتعرض لضرب النار مرة أخرى. وقلت إنه لا بأس عندي، على الرغم من أني كنت أفضِّل البحث عن طريق للعودة إلى المدينة.

تابعنا السير في الطريق الوعر حذِرين، حتى أظهرت أضواء المصابيح الأمامية كوخًا صغيرًا من ألواح الخشب، يبدو أنه في حاجة للطِّلاء؛ حيث لم يُطلَ من قبل قط.

سألت دينا رينو: «هل هذا هو؟»

«أجل. ابقيا هنا ريثما ألقي نظرة.»

تركنا، وسرعان ما ظهر في شعاع المصابيح عند باب الكوخ. جرب عدة مفاتيح لفتح القُفل، ولما فتحه، دلف إلى الداخل. وبعد لحظاتٍ خرج عند الباب ونادى علينا:

«الأمور على ما يرام. تعاليا واعتبرا أنكما في منزلَيكما.»

أوقفت دينا المحرك وترجَّلَت من السيارة.

سألتُ: «هل يوجد مصباح كشاف في السيارة؟»

قالت: «نعم»، وأعطته لي، وتثاءبت: «يا إلهي، إني متعَبة. أرجو أن أجد شرابًا في هذا الجحر.»

أخبرتها أن معي زجاجة من ويسكي سكوتش. وقد سُرَّت لما قلت لها ذلك.

كان الكوخ عبارةً عن غرفة واحدة بها سرير خاص بمعسكرات الجيش وعليه بطانيات بنِّية، وطاولة خشبية عليها رزمة من أوراق اللعب، وبعض رقاقات بوكر اللاصقة عليها، وموقد حديدي بُنِّي، وأربعة كراسيَّ، ومصباح زيتي، وأطباق، وأوانٍ، ومَقالٍ، ودِلاء، وثلاثة أرفف عليها أطعمة معلَّبة، وكومة من أخشاب المدفأة، وعربة يدوية.

حين دخلنا، وجدنا رينو يشعل المصباح، وقال:

«المكان ليس رثًّا بدرجة كبيرة. سأُخفي السيارة، ثم سنمكث هنا حتى يشرق النهار.»

ذهبت دينا إلى السرير، وقلبت الأغطية وقالت:

«ربما يوجد شيء بين ثناياها، ولكن يُرجَّح أنه ميت على أي حال. والآن، اسقِنا من ذلك الشراب.»

فتحتُ الزجاجة وأعطيتها إياها، وخرج رينو كي يخفيَ السيارة. وحين شربَت، أخذتُ رشفة منها.

بدأت أصوات محرك سيارة مارمون تتلاشى. وحينئذٍ فتحتُ الباب ونظرت بالخارج. وعلى طول المنحدر، ومن بين الأشجار والأجمات، رأيت شعاعًا خافتًا من الضوء الأبيض يتلاشى وسط الظلام. وحين تلاشى الضوء كليَّةً، عدتُ إلى الداخل وسألت الفتاة:

«هل اضطُررت من قبلُ أن تعودي إلى البيت سيرًا على الأقدام؟»

«ماذا؟»

«لقد ذهب رينو بالسيارة.»

«يا له من متشرد حقير! لكن على أي حال، الحمد لله أنه تركنا في مكانٍ به سرير.»

«لن ينفعك هذا السرير في شيء.»

«حقًّا؟»

«أجل. فرينو معتاد على المجيء إلى هذا المكان. والأرجح عندي أن ملاحقيه يعرفون هذا المكان. ومن أجل ذلك تركنا هنا. ومن المفترض أن نتعامل نحن معهم ونبطِّئهم ريثما يكسب هو بعض الوقت.»

نهضت قلقةً من السرير، ولعنت رينو وكل الرجال منذ بَدْء الخليقة حتى وقتنا هذا، وقالَت بنبرةٍ يخالجها الحزن:

«أنت تعرف كل شيء. ما الذي سنفعله الآن؟»

«سنبحث عن بقعةٍ مريحةٍ في هذه المساحة الشاسعة، شريطةَ ألَّا تكون بعيدة عن هنا، وننتظر كي نرى ما سيحدث.»

«سآخذ البطانيات.»

«ربما لا يلاحظون اختفاء بطانيةٍ واحدة، لكن أكثر من واحدة قد يُكشف أمرنا.»

تذمرت: «اللعنة على احتياطاتك»، ولكنها لم تأخذ سوى بطانية واحدة.

أطفأت السراج، وأقفلت الباب خلفنا، وسلكنا طريقًا بين الشجيرات المتشابكة، مستعينَين بالمصباح الكشاف.

وعلى منحدر التل بالأعلى، وجدنا تجويفًا صغيرًا يمكن منه مراقبة الطريق والكوخ من خلال أوراق شجرٍ كثيفة بما يكفي لتُخبِّئنا، ما لم نصدر ضوءًا.

فرشتُ البطانية في الفجوة وجلسنا عليها.

اتكأت الفتاة عليَّ وتذمَّرت من رطوبة الأرض، ومن شعورها بالبرد على الرغم من أنها ترتدي معطفًا من الفرو، ومن تشنُّجٍ في ساقها، وقالَت إنها تحتاج إلى سيجارة.

أعطيتها رشفةً أخرى من القنينة. فمنحني هذا عشر دقائق من الهدوء.

بعد ذلك قالت:

«لقد أُصبت بنزلة برد. وحين يأتي أي فرد، إن أتى أحدٌ أساسًا، فلا أحسبني أتوقَّف عن العُطاس والسعال بصوتٍ عالٍ يسمعه مَن في المدينة.»

أخبرتها: «افعليها لمرة واحدة. وبعدها سيكتمون أنفاسك.»

«أحسُّ بفأر أو شيء يزحف تحت البطانية.»

«ربما ليس سوى أفعى.»

«هل أنت متزوج؟»

«لا تخوضي في هذه المسائل.»

«إنك متزوج إذن؟»

«لا.»

«أراهن أن زوجتك سعيدة بك.»

كنت أحاول أن أصوغ ردًّا مناسبًا على تعليقها الساخر، ولكني لمحت ضوءًا بعيدًا يتلألأ على الطريق. ثم اختفى بعد لحظات، وأمرت الفتاة أن تصمت.

سألَت: «ما هذا؟»

«ضوء. لقد اختفى الآن. ترك زوارنا السيارة وسيكملون الرحلة سيرًا على الأقدام.»

مر وقتٌ طويل. ارتعشَت الفتاة وأسندت خدها الدافئ إلى خدي. ثم سمعنا وَقْع أقدام، ورأينا ظلالًا تتحرَّك على الطريق وحول الكوخ، ولكننا لم نعرف هل رأيناهم حقيقةً أم إن خيالنا صوَّر لنا ذلك.

تأكدت شكوكنا لما سُلِّط ضوء مصباح كشاف على باب الكوخ، وأحدثَ دائرةً مضيئةً فيه. قال صوت غليظ:

«سنترك الفتاة تغادر المكان.»

خيَّم الصمت لمدة نصف دقيقة وهم ينتظرون ردًّا من الداخل. ثم سأل الصوت الغليظ ذاته: «هل ستخرجون؟» ثم خيم الصمت مرة أخرى.

كُسر الصمت بصوت عيار ناري كان مألوفًا في هذه الليلة. وارتطم شيء بالألواح الخشبية.

همستُ إلى الفتاة: «هيا. سنحاول أخذ سيارتهم وهم مشغولون في هذه الجلبة.»

قالت وهي تسحب ذراعي حين بدأت النهوض: «دعهم وشأنهم. فقد أخذت كفايتي مما يحدث الليلة. إننا قابعون في سلام هنا.»

أصررتُ: «هيا.»

قالت: «لن أفعل»، وأصرَّت على ذلك، ثم سرعان ما فات الأوان لما مكثنا في هذا الجدال. فقد اقتحم هؤلاء الفتية الكوخ، ولما وجدوه خاليًا عادوا أدراجهم إلى السيارة.

ركب في السيارة ثمانية رجال، وتبعوا آثار رينو على المنحدر.

قلتُ: «يمكننا نحن أيضًا العودة إلى الكوخ. فلا أظنهم يعاودون الكرَّة هذه الليلة.»

قالت وأنا أساعدها على النهوض: «أرجو أن يكونَ هناك بعضُ الويسكي في تلك القنينة.»

الفصل الثامن عشر

شارع بينتر

لم تتضمن الأطعمة المعلَّبة الموجودة في الكوخ أي طعام يشجِّعنا على تناوُل الإفطار. ولذا أفطرنا قهوة أعددناها من مياه راكدة كانت في دلو مُجلفَن.

بعد أن قطعنا ميلًا كاملًا سيرًا على الأقدام، بلغنا منزلًا ريفيًّا حيث وجدنا فتًى لم يمانع الحصول على بضعة دولارات مقابل توصيلنا إلى المدينة، في سيارة فورد تمتلكها العائلة. طرح الفتى أسئلة كثيرة وأعطيناه إجابات زائفة عن بعضها، ولم نُجِب عن بعضها الآخر. وأنزلَنا أمام مطعم صغيرٍ عند أول شارع كينج، حيث تناولنا كميات كبيرة من كعكات الحنطة السوداء واللحم المقدَّد.

أوصلتنا سيارة أجرة إلى منزل دينا قُبَيل الساعة التاسعة. فتشت المكان لها بدايةً من السقف حتى القبو، ولم أجد إشارات على أن أحدًا زارها.

سألت وهي توصلني إلى الباب: «متى ستعود؟»

«سأحاول أن أمر عليكِ من بعد الآن وحتى منتصف الليل، ولو حتى لبضع دقائق. أين يعيش ليو يارد؟»

«في العقار رقم ١٦٢٢ بشارع بينتر. يقع شارع بينتر على مسافة ثلاثة مربعات سكنية من هنا. ويقع رقم العقار ١٦٢٢ على مسافة أربعة مربعات سكنية من بدايته. ما الذي ستفعله هناك؟» وقبل أن أُجيبها، وضعَت يدَيها على ذراعي وتوسَّلت: «هلَّا تنال من ماكس؟ أنا خائفة منه.»

«سأسلِّط عليه نونان لاحقًا. لكن الأمر كلَّه معتمدٌ على تطور الأحداث.»

نعتَتني بالمخادع اللعين أو نُعوت من هذا القبيل، متهمةً إياي بأني لا آبه لما قد يحلُّ بها ما دمتُ سأنجز عملي، وأُتِم ما أريد.

ذهبت إلى شارع بينتر. وكان العقار ١٦٢٢ عبارة عن منزلٍ من الطوب الأحمر، ملحَق به مرأب تحت الشرفة الأمامية.

وعلى مسافة مربع سكني تجاه أعلى الشارع، وجدت ديك فولي جالسًا في سيارة بويك مؤجَّرة من دون سائق. ركبت بجانبه وسألته:

«ما الذي يجري؟»

«رأيته الثانية. وخرج الثالثة والنصف، إلى مكتب ويلسون. ميكي. في الخامسة. المنزل. منشغل. ظللت في مكاني. غادرتُ في الثالثة، وحتى السابعة. لا شيء حتى الآن.»

من شأن هذه الشفرة أن تخبرني أنه رأى ليو يارد في الساعة الثانية ظهر يوم أمس، وقد تبعه إلى منزل ويلسون في الساعة الثالثة والنصف حيث كان ميكي يتتبَّع بيت، ثم تبع يارد بعدما خرج في الساعة الخامسة حتى وصل إلى منزله، ثم رأى أناسًا يدخلون إلى المنزل ويخرجون منه، ولكنه لم يراقب أيًّا منهم، واستمر في مراقبة المنزل حتى الساعة الثالثة صباح اليوم، ثم غادر وعاد إلى المراقبة في الساعة السابعة، ومنذ ذلك الحين لم يدخل أو يخرج أحد.

قلت له: «اترك مراقبة هذا المنزل الآن وراقب منزل ويلسون. فقد سمعت أن ويسبر ثيلر يختبئ هناك، وأريد أن أبقي عينًا عليه حتى أرى هل أفشي أمره إلى نونان أم لا.»

أومأ ديك وأدار المحرك. وغادرت أنا المكان عائدًا إلى الفندق.

وجدتُ في انتظاري برقية من الرجل الكبير مفادها الآتي:

«أرسل لي في أول بريد شرحًا وافيًا للعملية التي بيدك، والظروف التي دعتك إلى قبولها، على أن يرافق ذلك تقارير يومية حتى تاريخه.»

وضعت البرقية في جيبي، ورجوت أن تستمر الأمور في التكشُّف سريعًا. فإرسال المعلومات التي طلبها بمثابة إرسال استقالتي.

بدَّلتُ ملابسي وأسرعت إلى دار البلدية.

رحَّب بي نونان: «مرحبًا. رجوت أن تأتي. حاولت الاتصال بك في الفندق ولكنهم أخبروني أنك غير موجود.»

لم أره بحال جيدة هذا الصباح، ولكنه بدا — من وراء هذا التودد — أنه سعيد حقًّا لرؤيتي على نحو غير معهود.

حين جلست، رن أحد هواتفه. وضع السماعة على أذنه وقال: «نعم؟» واستمع للحظات ثم قال: «الأفضل أن تذهب بنفسك يا ماك»، وحاول مرتين أن ينهي المكالمة ويضع السماعة على الحامل قبل أن يتحقق له ذلك. شحب وجهه قليلًا، ولكن كان صوته طبيعيًّا تقريبًا وهو يخبرني:

«قُتل ليو يارد ... أصيب للتو بطلق ناري وهو ينزل سُلم منزله الأمامي.»

«هل من تفاصيل؟» سألت وأنا ناقم على نفسي؛ لأني أبعدت ديك فولي عن شارع بينتر مبكرًا بساعة. وكان هذا تطورًا مشئومًا في الأحداث.

هز نونان رأسه وظل يحملق في حجره.

اقترحت وأنا أنهض: «هل نخرج ونلقي نظرة على الجثة؟»

لكنه لم يقم ولم يرفع بصره.

بل قال ضجِرًا، وما زال مطأطئ رأسه: «لا. في الحقيقة، أنا لا أريد. لست واثقًا من أني أستطيع أن أتحمل الأمر الآن. لقد سئمت من كل هذا القتل. فقد بدأت أتأثر ... أعني بدأت أعصابي تتأثر.»

جلست مرة أخرى مراعيًا تدنِّي روحه المعنوية، وسألت:

«من تظن أنه القاتل؟»

تمتم: «الله أعلم. فالكل يقتل الكل. ما مآل هذا الأمر؟»

«هل تعتقد أن رينو فعلها؟»

جَفَل نونان وأخذ ينظر إليَّ، وكأنه همَّ بقول شيء، لكنه غيَّر رأيه مكررًا: «الله أعلم.»

راوغته من زاوية أخرى:

«هل قُتل أحد في المعركة التي دارت في نُزل «سيلفر أرو» البارحة؟»

«ثلاثة فقط.»

«ومن هم؟»

«اثنان من إخوة جونسون؛ الأول اسمه بلاكي والن، وبوت كولينجس، وقد خرجا بكفالة نحو الساعة الخامسة بالأمس، وجيك الهولندي، وهو فرد عصابات.»

«وما السبب في نشوب العراك؟»

«أعتقد أنه مجرد شجار. يبدو أن بوت وبلاكي وغيرهما ممن خرجوا من السجن معهما كانوا يحتفلون مع ثُلَّة كبيرة من الأصدقاء، وانتهى الأمر إلى فوضى.»

«هل كلهم من رجال ليو يارد؟»

قال: «لا أعرف شيئًا عن ذلك.»

نهضت وقلت: «أوه، حسنًا»، وشرعت أمشي نحو الباب.

نادى عليَّ: «انتظر. لا تغادر هكذا. أظن أنهم من رجاله.»

عدت إلى كرسيِّي. وأخذ نونان ينظر إلى سطح مكتبه. كان وجهه شاحبًا مترهلًا، يتقطَّر العرق منه مثل المِلاط المُعَد حديثًا.

أخبرته: «ويسبر يمكث عند ويلسون.»

انتفض برأسه إلى أعلى. واحتدَّت عيناه. ثم ارتعش فمه فجأة وطأطأ رأسه مرة أخرى. وتلاشت الحدة من عينيه.

وتمتم: «لا يسعني الاستمرار. فقد سئمت من كل هذا القتل. فقدتُ قدرتي على التحمل.»

سألته: «هل سئمت من فكرة الثأر لمقتل تيم، حتى ولو كانت ستضع حدًّا لهذا العنف؟»

«أجل.»

ذكَّرته: «بدأت الفوضى من هذا الحادث. وإذا أردت أن تتوقف، فلا بد من تهيئة السبل لذلك.»

رفع وجهه ونظر إليَّ بعينين تشبهان عينَي الكلب وهو ينظر إلى عظمة.

أردفت قائلًا: «لا بد أن الآخرين أيضًا قد سئموا من ذلك. أخبرهم عن شعورك هذا. اعقد اجتماعًا معهم وأفشوا السلام.»

اعترض مبتئسًا: «سيظنُّون أني أحوك خدعةً ضدهم.»

«اعقد الاجتماع في منزل ويلسون. فويسبر مرابطٌ هناك. وستكون أنت مَن يُخاطر بالذهاب إلى هناك. فهل تخشى من ذلك؟»

عبس وسأل:

«هل تذهب معي؟»

«أفعل إذا أردتني معك.»

قال: «أشكرك. أنا ... سأحاول.»

الفصل التاسع عشر

مؤتمر السلام

وجدنا كل الأعضاء الآخرين في مؤتمر السلام حاضرين، حين وصلت أنا ونونان إلى منزل ويلسون في الموعد المقرر، وهو الساعة التاسعة في تلك الليلة. حيَّانا الجميع بإيماءة، ولم تتجاوز الترحيبات هذا الحد.

بيت الفنلندي هو الوحيد الذي لم أَلتقِه من قبل. كان ذاك المهرب ضخم الجسم، في الخمسينيات من عمره، رأسه أصلع بالكامل. وكانت جبهته صغيرة، وفكه ضخمًا؛ كان ثقيلًا، عريض المنكبَين، مفتول العضلات.

جلسنا حول المائدة في مكتبة ويلسون.

جلس العجوز إيليو على رأس المائدة. وبدا شعره القصير فضيًّا تحت الضوء فوق رأسه المستدير الوردي اللون. وترسل عيناه المستديرتان الزرقاوان نظرات صارمة وقوية، من تحت حاجبَيه الأبيضَين الكثيفَين. أما فمه وذقنه فيشبهان خطَّين أفقيَّين.

جلس عن يمينه بيت الفنلندي يرقب الجميع بعينَيه الصغيرتَين السوداوَين، من دون أن يحركهما البتة. وجلس رينو ستاركي بجانب المهرب. وقد أبصرت شحوبًا في وجه رينو المستطيل، وجمودًا مثل جمود عينيه.

مال ماكس ثيلر للخلف في الكرسي على يسار ويلسون. فقد جلس المقامر الصغير واضعًا ساقًا على الأخرى من دون اعتبار لأحد، مرتديًا سروالًا مكويًّا بعناية. وقد أَطبَق بشفتيه على سيجارة في جانب من فمه.

جلست بجانب ثيلر. وجلس نونان بجانبي من الناحية الأخرى.

افتتح إيليو ويلسون الاجتماع.

قال إن ما يجري لا يجدر أن يستمر. وقال إننا جميعًا رجال عقلانيون وناضجون، وقد عَرَكَتنا الحياة لدرجة أننا نفهم أنه لا يَسَع المرءَ الحصولُ على ما كل ما يريد، مهما كانت

هويته ومكانته. فلا بد من تقديم تنازلاتٍ في بعض الأحيان. وكي يحصل المرء على ما يريد، فعليه أن يعطي الآخرين ما يريدون. وقال إنه متيقن من أن ما يريده الجميع الآن هو إيقاف نهر الدم المتدفق. وقال أيضًا إنه متيقن من إمكانية طرح كل المواضيع وتسويتها بصراحة في غضون ساعة، من دون أن تتحول بيرسونفيل إلى بحرٍ من الدم.

لم يكن خطابًا سيئًا.

حين انتهى، خيَّمت لحظات من الصمت. ونظر ثيلر إلى نونان متجاوزًا وجودي بينهما وكأنه يتوقع منه التفوُّه بشيء. احتذى بقيتنا حذوه، وأخذنا ننظر إلى رئيس الشرطة.

احمر وجه نونان وتحدث بصوت أجشَّ:

«ويسبر، سأتغاضى عن قتلك أخي تيم.» ثم وقف ورفع يده المكتنزة باللحم. «ها هي يدي أمدها إليك.»

ارتسمت ابتسامة خبيثة على فم ثيلر النحيف.

وتحدث بصوته الهامس بنبرة باردة: «لقد استحق أخوك النذل أن يُقتَل، ولكني لم أقتله.»

صار وجه رئيس الشرطة قرمزيًّا بعد حُمرته.

فقلت بصوت عالٍ:

«مهلًا يا نونان. فنحن نسلك المسلك الخطأ. ولن نصل إلى أي حل إذا لم يَصدُق الجميعُ الجميعَ القولَ. بل ستتفاقم الأمور أكثر مما كانت قبلُ. ماكسوين هو قاتل أخيك وأنت تعلم ذلك.»

رمقني بنظرات تنم عن الاندهاش. فقد فَغَر فاه. ولم يفهم ما سبق أن فعلته به.

نظرت إلى البقية، وحاولت أن أتوشَّح ثوب الفضيلة قدر المستطاع، وسألت:

«انحلَّت هذه المسألة الآن، هل نتفق على هذا؟ حريٌّ بنا أن نحل باقي القضايا الآن.» توجهت بحديثي إلى بيت الفنلندي: «ما تقول في حادث الأمس الذي وقع لمستودعك وأربعة الرجال؟»

تمتم: «إنه حادث مروِّع لا شك.»

أفصحت:

«لم يعلم نونان أنك كنت تستخدم ذلك الوكر. فقد ذهبنا إلى هناك وفي ظننا أنه خالٍ، ولم نهدف إلا إلى تمهيد الطريق إلى مهمة ما في المدينة. أطلق رجالك الرصاص أولًا، وحينئذٍ ظن أنه اكتشف مخبأ ثيلر. ولما اكتشف أنه دخل إلى مكان يخصُّك، جُن جنونه، وحوَّل المكان إلى خراب.»

أخذ ثيلر يرمقني، بابتسامة صغيرة على شفتيه وفي عينيه. أما رينو فما انفك الجمود عن وجهه. مال إيليو ويلسون نحوي وراح يرمقني بنظرات حادة وقلقة بعينيه الشَّيباوَين. لم أعرف ما كان يفعله نونان. فلم تُتَح الفرصة كي أنظر إليه. كان وضعي سيتطور للأفضل إن أحسنت اللعب بأوراقي، وإن لم أُحسِن فسأكون في وضع لا أُحسَد عليه.

قال بيت الفنلندي: «أما رجالي، فقد تلقَّوا الأموال نظير الأخطار التي يواجهونها. وأما الخسائر الأخرى، فمن شأن خمسة وعشرين ألف دولار أن تسوي المسألة.»

قال نونان بسرعة وحماسة:

«حسنًا يا بيت حسنًا، سأدفع المبلغ لك.»

أطبقتُ شفتيَّ كي أحبس الضحك على الرعب الظاهر في صوته.

صار من الآمن أن أنظر إليه الآن. رأيته منهزمًا ومشتَّتًا، وراغبًا في فعل أي شيء كي ينقذ رقبته السمينة، أو حتى لمجرد المحاولة. ونظرت إليه.

تحاشى أن تتلاقى أعيننا. وقد جلس وتحاشى أن تتلاقى عيناه مع أعين الباقين. انشغل في محاولة الظهور وكأنه لم يتوقع أن يُمزَّق إرْبًا إرْبًا قبل أن يهرب من هؤلاء الذئاب الذين أسلمتُه لهم.

واصلتُ حديثي متوجهًا إلى إيليو ويلسون:

«هل تريد أن تشكو سرقة بنكك أم إن الأمر لا يغضبك؟»

لمس ماكس ثيلر ذراعي واقترح:

«ربما الأفضل أن نقرر من له الحق في الشكوى، بعدما تُدلي بما لديك من معلومات.»

لقد أسعدني ذلك.

أخبرته: «أراد نونان أن يلقي القبض عليك، ولكنه إما أنه حصل أو توقع الحصول على تعليمات من يارد وويلسون كي يدعك وشأنك. ولذا اعتقد أنه إذا سُرق البنك واتهمك بسرقته، فسيتخلى عنك داعموك ويدعونه يلاحقك كما يريد. وكان من المفترض، على حد فهمي، أن

يقدم يارد موافقته على كل الجرائم التي تحدث في المدينة. وبذلك تصبح أنت متعديًا على نطاق نفوذه، وخائنًا لويلسون. هكذا من المفترض أن يبدو الوضع. ومن المفترض أن يثير هذا الوضع غضبهم؛ ولذا يساعدون نونان في إلقاء القبض عليك. لكنه لم يعلم أنك تمكث هنا.

كان رينو وعصابته في السجن. وهو من أتباع يارد، ولكنه لم يمانع خيانة رئيسه. وقد راودته فكرة أن يستولي على حكم المدينة من بعد ليو.» التفتُّ إلى رينو وسألته: «أليس كلامي صحيحًا؟»

نظر إليَّ غير مُبالٍ وقال:

«بلى، صحيح.»

واصلت قول ما لديَّ:

«يتظاهر نونان بحصوله على معلومة بأنك في نُزل «سيدار هيل»، وبناءً على ذلك يأخذ كل أفراد الشرطة الذين لا يثق بهم، حتى إنه أخذ كل أفراد المرور بطول طريق برودواي، بحيث يصبح الطريق خاليًا أمام رينو. بعد ذلك ييسِّر ماكجرو وأفراد الشرطة المشتركون في المخطط هروبَ رينو وعصابته من السجن؛ كي يرتكبوا الجريمة، ثم يعودوا من دون أن يدري أحدٌ بهم. ثم يخرجوا بكفالة بعد ساعتَين.

يبدو وكأن ليو يارد قد فهم ما يجري. ومن ثم أرسل جيك الهولندي وبعض الرجال إلى نُزل «سيلفر أرو» البارحةَ كي يلقِّنوا رينو وعصابته درسًا؛ لئلا ينظر إلى ما في يد غيره. ولكن يهرب رينو ويعود إلى المدينة. وبذلك أصبحت المواجهة بينه وبين ليو. حرص رينو على حياته بالتربُّص أمام منزل ليو ومعه المسدس، حين خرج ليو من منزله هذا الصباح. وأرى أن رينو تلقَّى معلومةً صحيحة؛ لأنني ألاحظ الآن أنه ما كان ليجلس في مكانٍ يخص ليو يارد لولا أنه قُتل.»

جلس الجميع وكأن على رءوسهم الطير، وكأنهم يتنافسون في الجلوس بصمت. لم يكن بوسع أحد منهم الاعتماد على حلفائه المزعومين في هذا الجمع. كما أن الوقت ليس مناسبًا كي يقوم أي أحد بأي حركة طائشة.

ولو أن ما قلته كان له أي تأثير في رينو، سواء إيجابي أو سلبي، فلم يكن ليُظهِره.

همس ثيلر بهدوء:

«هل أسقطت جزءًا من الحكاية؟»

تابعت دور نجم الحفل الذي ألعبه: «هل تقصد الجزئية المتعلقة بجيري؟ لم آتِ على ذكرها بعد. لا أعلم هل هرب من السجن معك وأُلقي القبض عليه فيما بعد، أم إنه لم يهرب، ولا أعلم السبب. ولا أعلم إلى أي مدًى رغب في المشاركة في سرقة البنك. ولكنه شارك بالفعل، وقُتل وتُرك أمام البنك لأنه كان ذراعك اليمنى، وقَتْله في هذا المكان سيورِّطك. لقد ظل في السيارة حتى شرعت العصابة في الهرب. ثم دُفع خارج السيارة وأُصيبَ بالرصاصة في ظهره. فقد كان وجهه للبنك وظهره للسيارة حين أُطلقَ عليه الرصاص.»

نظر ثيلر إلى رينو وقال بصوته الهامس:

«أحقًّا ما يقول؟»

نظر رينو بعينَين باهتتين إلى ثيلر وسأل بهدوء:

«وماذا في ذلك؟»

وقف ثيلر وقال: «اعتبروني خارج هذا الاتفاق»، واتجه صوب الباب.

وقف بِيت الفنلندي واتكأ بيده الضخمة على الطاولة، وتحدَّث بجديةٍ بنبرة عميقة:

«ويسبر.» وحين توقف ثيلر والتفتَ إليه قال: «أنا أحذِّرك. أحذرك يا ويسبر وأحذِّر كل الحاضرين. لن يُستخدم السلاح بعد الآن. وعلى الجميع أن يفهم ذلك. فأنتم لا تعرفون الصالح لشأنكم. ولذا سأُفهمكم إياه. هذه الفوضى لا تصبُّ في صالح أعمالنا. ولن أُقحِم نفسي فيها بعد الآن. فالتزموا من تلقاء أنفسكم لئلا أُضطر إلى إجباركم على الالتزام.

عندي جيش من الشباب المتمرسين على استخدام السلاح. وأنا أستخدمهم في أعمالي الخاصة. وإن اضطُررت إلى استخدامهم ضدكم، فسأفعل. فهل تريدون اللعب بالبارود والديناميت؟ سأريكم كيف يكون اللعب بهما. هل تحبون القتال؟ سأدخل في القتال ضدكم. عليكم أن تعوا كلامي جيدًا. هذا ما عندي لكم.»

وجلس بيت الفنلندي.

نظر ثيلر متأملًا للحظة، ثم ذهب من دون أن يتكلَّم أو يُظهِر ما يدور في خَلَده.

ذهابه أنفدَ صبرَ الباقين. لم يُرِد أحدٌ أن يمكث متفرجًا في حين أن غيره يحظى بالوقت كي يجمع السلاح في المنطقة.

وفي غضون بضع دقائق، لم يتبقَّ سواي أنا وويلسون في المكتبة.

جلسنا وأخذ أحدُنا ينظر إلى الآخر.

حينئذٍ قال:

«ما رأيك أن تصبح أنت رئيس الشرطة؟»

«كلا. فأنا مجرد ساعٍ.»

«أنا لا أقصد أن تصبح ضمن هذه الجماعة. ولكني أقصد بعد التخلُّص منهم.»

«ثم تحل جماعةٌ أخرى محلَّهم.»

قال: «اللعنة عليك، لن يَضيرك أن تتحدَّث بأسلوبٍ أفضل من هذا مع رجل في مقام والدك.»

«مع رجلٍ يلعنني ثم يتوارى خلف تقدُّمه في العمر.»

أدى الغضب إلى انتفاخ عروقٍ في جبهته. ولكنه ضحك بعد ذلك.

وقال: «حديثك يضايقني أيها الشاب، ولكني لا أنكر أنك أنجزت المهمة التي أعطيتك المال من أجلها.»

«وأنت أغرقتني بمساعداتك!»

«وهل كنت تحتاج إلى من يرعاك؟ لقد منحتك المال وأطلقت يدك. وهذا ما طلبته أنت. ما الذي تريده غير ذلك؟»

قلت: «أيُّها القرصان العجوز، لقد أرغمتك على هذه المهمة، وأنت ظللت ضدي طوال هذه المدة الماضية وحتى الآن، حتى بات واضحًا للجميع، ومنهم أنت، أنهم عزموا على أن يقضي بعضهم على بعض. والآن، تتحدَّث عما فعلتَه من أجلي.»

كرَّر كلامي قائلًا: «قرصان عجوز. يا ولدي، لو لم أكن قرصانًا، لظللت أعمل لدى شركة أناكوندا بالأجرة، ولما قامت شركة بيرسونفيل للتعدين. وأحسب أنك تعتبر نفسك حمَلًا وديعًا. لقد خُدعتُ واستُغللتُ يا ولدي لما كنتُ صغيرًا. وقعت أشياء لم أود أن تقع ... وأشياء أسوأ لم أكن أعلم عنها شيئًا حتى الليلة ... ولكني وقعت في الفخ واضطُررت إلى انتظار اللحظة المناسبة. ومنذ أن وطئت قدمَا ويسبر ثيلر هذه المدينة، وأنا حبيسٌ في منزلي، وكأنني رهينةٌ لعين!»

قلت: «أمر صعب. ولكن ما هو موقفك الآن؟ هل تدعمني؟»

«إن انتصرتَ.»

وقفت وقلت:

«أرجو أن يُقبض عليك معهم.»

قال:

«أراهن أنك تأمل هذا فعلًا، ولكن هذا لن يحدث.» ثم نظر إليَّ شزْرًا. «أنا أقدم لك التمويل. وهذا يبرهن على حسن نيتي، صحيح؟ فلا تكن فظًّا معي يا ولدي، فأنا ...»

قلت: «اذهب إلى الجحيم»، وغادرت المكان.

الفصل العشرون

صبغة الأفيون

كان ديك فولي جالسًا في سيارته المستأجرة عند الناصية التالية. طلبت منه أن يوصلني حتى أصبحت على مسافة مربع سكني من منزل دينا براند، ومشيت بقية المسافة.

حين تبعتها إلى غرفة المعيشة، قالت: «تبدو متعبًا. هل كنت في العمل؟»

«حضرت مؤتمرًا للسلام وسيُسفِر عن عشرة قتلى على الأقل.»

رنَّ جرس الهاتف. ردت على الهاتف ونادت عليَّ.

تحدث رينو ستاركي:

«ارتأيت أنك ربما تودُّ أن تعرف بخبر مقتل نونان، حين خرج من سيارته أمام منزله. وأظن أن وحشية مقتله لم يُرَ لها مثيل. فقد تلقَّى جسده ثلاثين رصاصةً على الأقل.»

«شكرًا.»

رأيت الأسئلة في عينَي دينا الكبيرتَين الزرقاوَين.

أخبرتها: «أول ثمار مؤتمر السلام قطفها ويسبر ثيلر. أين شراب الجِن؟»

«كان رينو على الهاتف، أليس كذلك؟»

«بلى. ظن أنه قد يهمني أن أعلم خلوَّ بويزونفيل من أي رئيس للشرطة.»

«هل تعني أن ...؟»

«حُصِد رأس نونان الليلة على حد قول رينو. أليس لديكِ أيُّ جِن؟ أم إنكِ تستمتعين بطلبي إياه؟»

«أنت تعرف مكانه. هل كنت منشغلًا في بعض خدعك الحاذقة؟»

عدتُ إلى المطبخ وفتحت الباب العلوي للثلاجة، وهاجمت قطع الثلج بمِخرَز ثلج له شفرة حادة بمقاس ست بوصات، مثبَّت إلى يدٍ مستديرةٍ باللونَين الأزرق والأبيض. وقفت الفتاة في الطرقة وطرحت بعض الأسئلة. لكني لم أجبها، بينما أضع الثلج وشراب الجن وعصير الليمون والصودا في كأسَين.

سألَت ونحن نحمل كأسَينا إلى غرفة الطعام: «ماذا كنت تفعل؟ فحالُك لا يسُرُّ.»

وضعت كأسي على الطاولة، وجلست على الكرسي أمامها، وقصصت عليها شكواي:

«هذه المدينة اللعينة تقودني إلى الجنون. وإذا لم أهرب في أقرب وقت، فسأُجنُّ مثل أهلها وأصبح فاسدًا. ما الذي رأيته من وقت مجيئي؟ نحو دزينة ونصف دزينة من جرائم القتل، منذ أن وطئت قدمي أرضها. دونالد ويلسون، وأيك بوش، وأربعة إيطاليين، والمحقق في نُزل «سيدار هيل»، وجيري، وليو يارد، وجيك الهولندي، وبلاكي والن، وبوت كولينجس في نُزل «سيلفر أرو»، ونيك الضخم، والشرطي الذي أرديتُه، وقُتل فتى ويسبر الأشقر هنا، وياكيما شورتي، واللص في منزل إيليو العجوز، وأخيرًا نونان. سقط ستة عشر منهم في أقل من أسبوع، والبقية آتية.»

قطَّبت جبينها في وجهي وقالت بحدَّة:

«لا تجعلني أراك بهذه الحال.»

فضحكتُ وواصلت:

«خططتُ للقتل مرة أو مرتين في حياتي، وذلك حين اقتضت الضرورة ذلك. ولكن هذه هي المرة الأولى التي تستحوذ عليَّ هذه الرغبة. هذه المدينة اللعينة هي السبب. لا يسع المرء أن يصبح مستقيمًا فيها. لقد أقحمت نفسي منذ البداية. عندما تخلَّى عني إيليو العجوز، لم أجد بدًّا من أن أضرب أحدهم بالآخر. وكان عليَّ أن أُتم هذا الأمر على أكمل وجه. وما حيلتي إن كانت أفضل طريقةٍ لذلك ستؤدي إلى إراقة أنهارٍ من الدم؟ ومن دون دعم إيليو، ما كان لهذه المهمة أن تتمَّ إلا بهذه الطريقة.»

«إن لم يكن لك حيلةٌ في ذلك، فما الفائدة من إحداث ضجة حول الأمر؟ احتسِ شرابك.»

احتسيت نصف شرابي وشعرت بالحاجة إلى الحديث أكثر.

«إن تكرار تلطُّخ يد المرء بالدم يَئول به إلى نتيجتَين لا ثالث لهما. إما أن يروعه الأمر فيصاب بالغثيان أو أن يألف منظر الدم. وقد حدثت مع نونان النتيجة الأولى. فبعدما قُتل يارد،

أصابه الغثيان وأصبحت لديه رغبةٌ في فعل أي شيء من أجل إحلال السلام. أخذتُه تحت جناحي، واقترحت عليه أن يجتمع مع البقية الناجية كي يسوُّوا الخلافات بينهم.

انعقد الاجتماع عند ويلسون الليلة. ويا له من اجتماع! وبدعوى أني أحاول أن أُجلي سوء الفهم لدى الجميع بأن يدلي كل واحدٍ بما عنده صراحةً، فقد جعلت نونان عاريًا تمامًا أمامهم، وكذلك رينو. وهذا ما فضَّ الاجتماع على غير اتفاق. إذ صرَّح ويسبر أنه يسحب يده. وعرَّف بيت كلَّ واحد منهم قدر نفسه. وقال إن أي خلافات من شأنها أن تؤثر سلبًا في أعمال التهريب التي يقوم بها، ستجعله يُطلق رجاله على أي شخصٍ يثير المتاعب من الآن فصاعدًا. لكني لم أرَ تأثرًا على وجه ويسبر. ولا على وجه رينو.»

قالت الفتاة: «لن ترى ذلك في وجهَيهما. ولكن ما الذي فعلتَه لنونان؟ أعني كيف عرَّيتَه ورينو أمامهم؟»

«أخبرت الآخرين أنه كان يعلم منذ البداية أن ماكسوين هو مَن قتل تيم. هذه الكذبة الوحيدة التي أخبرتهم بها. ثم أخبرتهم أن جريمة السطو على البنك تمَّت بالاتفاق بين رينو ورئيس الشرطة، على أن يرافقهم جيري ثم يُرمى عند البنك كي تُلصَق التهمة بويسبر. أعلم أن هذا ما حدث إن كان ما أخبرتني به صحيحًا، بشأن خروج جيري من السيارة واتجاهه نحو البنك وإصابته بالرصاص. فالعيار الناري أصابه من ظهره. وبالإضافة إلى ما قلتِه، ذكر ماكجرو أنه رأى سيارة العصابة التي سطَت على البنك آخر مرة حين انعطفت إلى شارع كينج. وبذلك سيعود اللصوص إلى دار البلدية، أي إلى السجن كي يدرءوا عن أنفسهم التهمة.»

«لكن ألم يقُل حارس البنك إنه أصاب جيري؟ وهذا ما ذكرته الصحف.»

«هو قال ذلك، ولكنه ممن يقولون أي شيء ويصدقون أنفسهم. ربما أطلق النار من مسدسه وعينه مغمضة، ويظن أنه صاحب الرصاصة القاتلة. ألم ترَيْ جيري وهو يسقط؟»

«بلى، رأيته، كان وجهه إلى البنك، ولكن الموقف كله أربكني ولم أتبين الرامي. فقد كان هناك أناس كثيرون يطلقون النار، و...»

«نعم. فقد حرصوا على ذلك. كما أعلنتُ أيضًا حقيقة أن رينو قتل ليو يارد، أو على الأقل تبدو هذه حقيقة في نظري. إن رينو هذا شخص قاسي القلب خشن الطباع، هل أنا محق؟ كان نونان يتصبب عرقًا، أما رينو، فكان كل ما ردَّ به عليهم هو: «وماذا في ذلك؟» بمنتهى الهدوء والبرود. وكانوا منقسمين إلى فريقين ... بيت وويسبر في جانب، ونونان ورينو في الجانب الآخر. ولكن لا يمكن لأحد منهم الاعتماد على دعم شريكه إن اتخذ خطوة؛ ومن ثَم تفرَّق كل فريقٍ مع انتهاء الاجتماع. خرج نونان من الحسبة، ورينو وويسبر — المعاديان أحدهما للآخر

— جعلا بيت معاديًا لهما. ومن ثَم جلس الجميع حول المائدة يرقب أحدهم الآخر وأنا أعبث بالموت والخراب.

كان ويسبر أول مَن غادر، ويبدو أنه أُتيحَ له الوقت الكافي كي ينصب فخًّا أمام منزل نونان، قبل أن يصل رئيس الشرطة إلى منزله. وحينئذٍ سقط رئيس الشرطة رميًا بالرصاص. وإذا قصد بيت الفنلندي ما قاله — ومظهره يوحي بأنه يقصده — فسيقتفي أثر ويسبر. ورينو مسئول عن مقتل جيري بقدر مسئولية نونان؛ ومن ثَم لا بدَّ أن ويسبر سيسعى من أجل قتله. وبناءً على معرفة رينو بهذه المعلومة، فسيخرج للنيل من ويسبر قبل أن ينال منه، وهذا سيجعل بيت يتعقبه. بالإضافة إلى ذلك، ربما ينشغل رينو بفَرْض سيطرته على أتباع ليو يارد ممن لا يريدونه زعيمًا عليهم. الوضع كلُّه متأجِّج حرفيًّا.»

مدت دينا براند يدها عبر الطاولة وربَّتت على يدي. وعيناها فضحتا عدم ارتياحها. قالت:

«لا لوم عليك يا عزيزي. وأنت قلت بنفسك إنه لم يكن ثمة حيلة في يدك. أكملْ شرابك وسأصبُّ كأسين أخريين.»

خالفتها الرأي قائلًا: «بل أُتيحَ العديد من الخيارات أمامي. لقد تخلَّى إيليو العجوز عني في البداية؛ لأن هؤلاء الأوغاد تحت أيديهم كل الأدلة التي تُدينه، لدرجة أنه لم يكن ليستطيع المخاطرة بمعاداتهم حتى يتأكَّد من إمكانية تدميرهم. لم يرَ قدرتي على فعل ذلك حينها؛ ولذا انحاز إلى صفهم. طريقته لا تتَّسق مع طريقتهم العديمة الرحمة، كما أنه يرى المدينة من ممتلكاته الخاصة، ولم تعجبه الطريقة التي أخذوها من يديه بها.

كان بوسعي أن أذهب إليه بعد ظهر اليوم، وأُريه أني دمرتهم جميعًا. ولو فعلت، لاستمع إلى صوت العقل حينها. وأيضًا كان سينحاز إلى صفي، ويقدم لي الدعم اللازم كي أجعل اللعب قانونيًّا. كان بوسعي فعل ذلك. ولكن الأسهل أن أستأصل شأفتهم، فهذا أسهل وأضمن، وأنا أشعر بمزيد من الرضا عن هذه الطريقة. ولا أعلم إلى أي مُنقلَب سيكون أمري مع الوكالة. فالرجل الكبير سيرميني في الزيت المغلي إن اكتشف ما أفعله هنا. ولكنها لعنة هذه المدينة. كانوا على حق حين أطلقوا عليها بويزونفيل. لقد سممَتني (كلمة Poison «بويزون» تعني سُمًّا باللغة الإنجليزية).

اسمعي. لقد جلست إلى مائدة الحوار في منزل ويلسون الليلة وراوغتهم كما يراوغ الصياد طريدته، وقد استمتعت كثيرًا بذلك. نظرت إلى نونان وعلمت أن وقته في الدنيا لن يتجاوز يومًا آخر بسبب ما فعلتُه به، وقد أسعدني ذلك وأثلج صدري. هذه ليست طبيعتي. لقد ظللت

أحتك بعالم الجريمة مدة عشرين عامًا، فلم أعد أرى في جرائم القتل سوى لقمة عيشي، أو يوم عمل آخر. أما هذا الاستمتاع بالتخطيط للقتل فليس من طبعي. وهذا ما فعلته تلك المدينة بي.»

ارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة وتحدثت بنبرة متلطفة:

«هوِّن عليك يا عزيزي. فهم يستحقون كل ما يجري لهم. وليتني لا أراك بهذه الحال. فحالك هذه تشعرني بالخوف.»

ابتسمت وأخذت الكأسين وذهبت إلى المطبخ لإحضار كأسين أخريَين من شراب الجِن. وحين عدت، قطَّبت جبينها من فوق عينَيها السوداوَين القلقتَين وسألَت:

«والآن، لماذا أحضرتَ مِخرَز الثلج؟»

«كي أُريكِ ما يدور في عقلي. لو وردت هذه الأداة على ذهني قبل بضعة أيام، لرأيت أنها أداة مفيدة في تكسير قطع الثلج.» ثم مرَّرتُ إصبعي على نصلها المعدني الذي يبلغ طوله نصف قدم حتى بلغتُ الطرَف المدبَّب. واستدركت: «لكنها ليست بأداة سيئة لطعن شخص ما. أنا أصدقك القول هنا. حتى إنني لا أكاد أرى قدَّاحة سجائر ميكانيكية، من دون التفكير في ملئها بمادة النايتروجليسيرين من أجل شخص لا يروقني. كذلك يوجد سلك نحاسي في مجرى مياه الأمطار الذي أمام منزلك ... إنه رفيع وناعم وطويل بالدرجة التي تتيح لفه حول رقبة أحدهم مع الإمساك بطرفيه. وقد واجهت صراعًا مُضنيًا كي لا آخذ السلك وأضعه في جيبي، لأستخدمه إذا احتجته ...»

«أنت مجنون.»

«أعلم. هذا ما كنت أخبرك به. فأنا على وشك أن أفقد عقلي.»

«لا تسرني حالك هذه. ضع هذا الشيء في المطبخ واجلس وتعقَّل.»

أطعتُ ثلثَي الأمر.

وبَّخَتني: «مشكلتك أن أعصابك قد تلفت. فقد مررتَ بكثير من الانفعالات في الأيام القليلة الماضية. وإذا استمررت على هذا المنوال، فلا شك سيعتريك قلق حاد بسبب تلف أعصابك.»

رفعت يدي بأصابع مفرودة. كانت ثابتة ولم ترتعش.

نظرت إليَّ وقالت:

«هذا لا يعني شيئًا. ما قصدته مستقر في كيانك. ما رأيك أن تخرج من المدينة لبضعة أيام كي تريح أعصابك؟ لقد أعددتَ كل شيءٍ هنا، وسيجري كل شيء كما أعددت. هلا نذهب إلى

سولت ليك. المكوث هناك سيهدئك.»

«لا أقدر يا أختاه. على أحد أن يبقى هنا كي يعد الجثث. إضافةً إلى ذلك، الخطة برُمَّتها قائمة على اندماج الأشخاص والأحداث. وخروجنا من المدينة سيغير تلك الخطة، والأرجح عندي أن الخطة ستحتاج إلى المراجعة والتنقيح.»

«لن يعرف أحد بخروجك، أما أنا فوجودي أو عدمه لن يؤثر.»

«منذ متى؟»

مالَت إلى الأمام ونظرت إليَّ بحدة وسألت:

«إلامَ ترمي؟»

«لا شيء. أنا فقط أتساءل كيف أصبحتِ فجأةً مجرد متفرجة. أنسيتِ أنكِ السبب في قتل دونالد ويلسون، وهذه كانت الشرارة التي أشعلت الحرب؟ أم نسيتِ أن المعلومات التي أعطيتني إياها عن ويسبر هي التي حافظت على سير الخطة؟»

قالت ساخطة: «أنت تعرف مثلي تمامًا أنه ليس لي ذنب فيما ذكرت. وعلى أي حال، فهذا ماضٍ، وقد ولَّى. وأنت لا تقول هذا إلا لأن مزاجك سيئ وتريد الجدال.»

«هذا الماضي لم يمر عليه سوى البارحة حين ارتعبتِ من أن يقتلك ويسبر.»

«هلا تكف كلامًا عن القتل!»

قلت: «أخبرَني الشاب ألبوري ذات مرة أن بيل كوينت هددكِ بالقتل.»

«اصمت.»

«يبدو أن لديك الموهبة في إثارة الأفكار الدموية في عقول أصدقائك من الرجال. فهذا ألبوري في انتظار المحاكمة على قتل ويلسون. وهذا ويسبر الذي جعل فرائصك ترتعد. حتى أنا لم أنجُ من تأثيرك. انظري إلى ما صرتُ إليه. وما برحتُ أفكر في أن دان رولف سيحاول أن يقتلكِ يومًا ما.»

«دان! أنت مجنون. عجبًا، أنا ...»

«نعم. إنه مريض بالسل، وكان مشردًا وأنت آويتِه. منحتِه بيتًا وكل ما يريد من صبغة الأفيون. لكنكِ جعلتِ منه خادمًا يفعل ما تأمرين به، وتصفعينه أمامي وأمام الآخرين. إنه واقع في حبك. وفي يوم ما، ستستيقظين وتجدينه قد نحر رقبتك.»

ارتجفت دينا ونهضت وضحكت.

قالت حين حملت الكأسَين الفارغتَين ودخلَت إلى المطبخ: «يسرُّني أن أحدنا يفهم ما تتحدَّث عنه، إن كنت تفهم حقًّا.»

أشعلتُ سيجارة وتساءلت ما الذي أدخل إلى قلبي هذا الشعور، وتساءلتُ هل بدأ التعب يتسلل إلى عقلي، وتساءلتُ هل ثمة شيء حقيقي في شعوري بالانقباض أم إن أعصابي تالفة وحسب.

نصحتني الفتاة حين عادت وفي يديها الكأسان ممتلئتَان: «ثاني أفضل شيء تفعله ما دمت لن تترك المدينة هو أن تثمل، وتنسى كل شيء لبضع ساعات. وضعت لك ضعف كمية الجِن في الكأس. أنت بحاجة إليه.»

قلت — وتساءلتُ لماذا تفوَّهت بهذا الحديث، ولكني استمتعت بقوله نوعًا ما: «لست أنا من يحتاجه. بل أنت. فكلما ذكرتُ القتل، غضبتِ مني. فأنت امرأة. وتعتقدين أنني إن سكتُّ عن الحديث في هذا الموضوع، فلا أحد من الناس الذين لا يعلم عددهم إلا الله سيفكر في قتلك. وهذا تفكير ساذج. فلا شيء نقوله أو لا نقوله سيجعل ويسبر على سبيل المثال ...»

«أرجوك اصمت، أرجوك! يا لسذاجتي! هذه الكلمات تروعني. فأنا خائفةٌ منه. أنا ... آه، لماذا لم تتخلَّص منه حين طلبت منك ذلك؟»

قلت: «آسف»، وأنا أعنيها.

«هل تظن أنه ...؟»

أخبرتها: «لا أعلم، وأظن أنكِ على حق. ولكن لا فائدة من الكلام الآن. وأفضل ما نفعله الآن هو الشراب، على الرغم من أن شراب الجِن هذا يفتقر إلى عنصره الفعال.»

«المشكلة فيك أنت وليس في الشراب. هل تريد شيئًا قوي المفعول حقًّا؟»

«وددت لو أشرب النايتروجليسيرين الليلة.»

بشَّرتني قائلةً: «توشك أن تحصل على ما تريد.»

سمعت قعقعة الزجاجات في المطبخ، وأحضرت لي كأسًا بها شراب يبدو لي مثل الشراب الذي احتسيناه. شممت الكأس وقلت:

«هذا بعضٌ من عقار صبغة الأفيون الخاص بدان، أليس كذلك؟ ألا يزال في المستشفى؟»

«نعم، لا يزال هناك. أعتقد أنه أصيب بكسرٍ في الجمجمة. تفضَّل ما يُلهِب حماستك يا سيد، إن كان هذا ما تريد.»

احتسيت الجِن الممزوج بالمخدر. وحينها شعرت بالراحة. مر الوقت ونحن نشرب ونتحدث في عالم وردي مبهج مليء بالحب والسلام.

ظلت دينا تشرب الجن. وأنا أيضًا ظللت فترة أحتسي الجِن بمفرده، ثم احتسيت كأس جِن أخرى ممزوجة بصبغة الأفيون.

ظللت فترة أمارس لعبة أحاول فيها أن أُبقي عينيَّ مفتوحتَين وكأنني يقظ، على الرغم من أنني لم أرَ شيئًا أمامي. وحين لم تنخدع دينا بهذه الحيلة، أقلعت عنها.

وآخر ما أتذكره هو أنها أسندتني، حتى وصلت غرفة المعيشة واستلقيت على أريكة تشيسترفيلد.

الفصل الحادي والعشرون

جريمة القتل السابعة عشرة

حلمت أني أجلس على مقعد في بالتيمور أمام النافورة الراقصة في حديقة هارلم بارك، وبجانبي امرأة ترتدي حجابًا. لقد أتيت معها. وأنا أعرفها. ولكني نسيت فجأة مَن تكون. وأيضًا لم أتعرَّف وجهها الكامن خلف الحجاب الأسود الطويل.

فكرت في أني إن قلت لها شيئًا فربما أتعرَّف صوتها حين تردُّ. تملَّكتني الحيرة، ومكثت وقتًا طويلًا أبحث بين المفردات كي أتفوه بأي حديث. وفي النهاية سألتها إن كانت تعرف رجلًا اسمه كارول تي هاريس.

أجابتني، ولكن هدير النافورة الراقصة غطى على صوتها، ولم أتبين ما قالت.

خرجت سيارات إطفاء الحريق من جادة إدموندسون. حينها تركتني كي تركض خلف السيارات. وحين ركضَت صاحت: «حريق! حريق!» حينئذٍ تعرَّفت صوتها وعلمت مَن تكون، وعلمت أنها شخص مهم عندي. ركضتُ خلفها ولكني نهضت متأخرًا. ومن ثَم فقدتُ أثرها هي وسيارات إطفاء الحريق.

جُبتُ الشوارع أبحث عنها، جبت نصف الشوارع في الولايات المتحدة، شارع جاي وماونت رويال أفنيو في بالتيمور، وكولفاكس أفنيو في دنفر، وطريق إتنا وسانت كلير أفنيو في كليفلاند، وماكيني أفنيو في دالاس، وشوارع لومارتين وكورنيل وأموري في بوسطن، وشارع بيري بوليفارد في لويفيل، وليكسينجتون أفنيو في نيويورك، حتى وصلت إلى شارع فيكتوريا في جاكسونفيل حيث سمعت صوتها مرة أخرى، على الرغم من أنني ما زلت لا أراها.

جبت شوارع أخرى وأنا أتسمَّع صوتها. سمعتها تنادي على اسم غير اسمي، اسم شخص لا أعرفه، ولكن مهما هرولتُ أو توجهتُ، لا أكاد أسمع صوتها يقترب. فالمسافة بيني وبين الصوت لم تختلف حين كنت في الشارع الذي فيه المبنى الفيدرالي الكائن في مدينة إل باسو، وحين كنت في متنزه جراند سيركس في ديترويت. ثم سكت الصوت.

ولما نال مني التعب والإحباط، دخلت إلى ردهة الفندق المواجه لمحطة السكك الحديدية في روكي ماونت، بولاية كارولينا الشمالية كي أستريح. وبينما أنا جالس، دخل قطار إلى المحطة. نزلَت منه ودخلَت إلى الردهة، ثم أتت نحوي وبدأت تقبِّلُني. شعرت بالإحراج لأن كل الواقفين كانوا ينظرون إلينا ويضحكون.

انتهى الحلم هنا.

حلمت أيضًا أنني في مدينة غريبة أبحث عن رجل أكرهه. وضعت في جيبي سكينًا مفتوحًا وعزمت على قتله به حين أعثر عليه. كنا في صباح يوم الأحد. سمعت أجراس الكنيسة تدق، ورأيت أفواجًا من الناس يدخلون إلى الكنيسة ويخرجون منها. وأيضًا مشيت المسافة نفسها تقريبًا، التي مشيتها في الحلم الأول، ولكني كنت داخل هذه المدينة الغريبة.

بعد ذلك، صاح عليَّ الرجل الذي أسعى خلفه، ورأيته. كان رجلًا ضئيل الجسم داكن البشرة، يرتدي قبعة مكسيكية واسعة الحواف جدًّا. لمحته واقفًا على سُلم مبنًى طويل في الطرَف البعيد من الساحة الواسعة، وكان يضحك عليَّ. وبيننا الساحة مكتظَّة بالناس.

وضعت يدي على السكين المفتوح في جيبي، وجريت نحو صاحب البشرة الداكنة النحيل، وأنا أجري من فوق رءوس الناس في الساحة وأكتافهم. لم يتساوَ الناس لا في أطوالهم ولا في المسافات التي بينهم. ومن ثَم انزلقت وتعثرت من فوق رءوسهم وأكتافهم.

وقف الرجل النحيل على السلم يضحك حتى كدت أن أصل إليه. ثم جرى إلى داخل المبنى الطويل. لاحقته مسافة أميال كثيرة على السلم الحلزوني، وما زادت المسافة بيني وبينه عن مقدار بوصة بعد طول ذراعي الممدودة. ثم وصلنا إلى السطح. جرى مباشرةً نحو حافة المبنى وكادت يدي أن تمسكه لولا أنه قفز.

تفلَّتت كتفه من بين أصابعي. وحينها أزاحت يدي قبعته المكسيكية وأطبقت على رأسه. كان رأسه أصلع مستديرًا، لا يتجاوز حجمه حجم بيضةٍ كبيرة. ومن ثَم أحاطَت به أصابع يدي. أطبقت على رأسه بإحدى يديَّ، وحاولت أن أُخرِج السكين باليد الأخرى من جيبي، وحينئذٍ أدركت أننا سقطنا عن حافة السطح معًا. سقطنا سقوطًا حرًّا تجاه ملايين الوجوه الناظرة إلينا في الساحة، ويفصل بيننا وبينها أميال كثيرة.

* * *

فتحت عيني في الضوء الخافت لشمس الصباح المتسللة من خلال الستائر المغلقة.

كنت نائمًا ووجهي إلى الأسفل في غرفة الطعام، واضعًا رأسي على ساعدي الأيسر. وكانت ذراعي اليمنى مفرودة. وجدت يدي اليمنى ممسكة بالمقبض الأبيض والأزرق لمخرز الثلج الخاص بدينا براند. وكان نصل المخرز الحادُّ والمدبَّب ذو الست بوصات مغروسًا في ثدي دينا براند الأيسر.

كانت مستلقية على ظهرها ميتة. وتمددت ساقاها الطويلتان القويتان تجاه باب المطبخ. وأيضًا كان هناك قطع في أسفل جوربها الأيمن من الأمام.

وببطء وبرفق، وكأني أخشى أن أوقظها، تركت مخرز الثلج وسحبت ذراعي ونهضت.

شعرت بحرقة في عيني. حلقي وفمي أصابهما الظمأ والجفاف. لذا دخلت إلى المطبخ وعثرت على زجاجة جِن وأفرغتها في فمي، ولم أنزعها إلا لالتقط أنفاسي. أشارت ساعة المطبخ بأنها السابعة وإحدى وأربعون دقيقة.

عدت إلى غرفة الطعام بعدما احتسيت شراب الجِن، وأنرت المصابيح ونظرت إلى الفتاة الميتة.

لم أرَ دمًا كثيرًا منها، بل مجرد بقعة بحجم دولار فضي حول القَطع الذي أَحدثَه مخرز الثلج في فستانها الحريري الأزرق. أُصيبت وجنتها اليمنى بكدمة أسفل عظمة الوجنة. وفي رسغها الأيمن، رأيت كدمة أخرى وكأنها آثار أصابع. كانت يداها فارغتين. حرَّكتها بما يكفي لأرى أنه لا يوجد شيء تحت جثتها.

تفحصت الغرفة. وبناءً على ما وقعت عليه عيني، لم أجد شيئًا قد تغيَّر فيها. عُدت إلى المطبخ ولم ألحظ تغييراتٍ تلفتُ انتباهي.

وجدت القُفل الزنبركي موصدًا على الباب الخلفي، ولا توجد علامات تدل على أن أحدًا عبث به. ذهبت إلى الباب الأمامي للمنزل ولم أجد أي علامات عليه. فتَّشت في المنزل من أعلاه إلى أسفله ولم أعثر على شيء. كانت النوافذ سليمة. وكانت مجوهرات الفتاة على طاولة الزينة (باستثناء خاتمَين ماسيَّين في يديها)، وأربعمائة الدولار التي في حقيبة يدها التي على كرسي في غرفة نومها على حالها ولم يمسسها أحد.

عُدت إلى غرفة الطعام مرة أخرى، جثوت بجانب الفتاة الميتة، واستخدمت منديلي كي أمسح أي بصمات خلَّفَتها أصابعي على مقبض مخرز الثلج. فعلت الأمر ذاته مع الأكواب والزجاجات والأبواب وأزرار الإنارة وقِطع الأثاث التي لمستها، أو التي يُحتمل أني لمستها.

ثم غسلت يديَّ وبحثت في ملابسي عن آثار دم، وتأكدت من أني لا أترك أيًّا من متعلقاتي، واتجهت صوب باب المنزل. فتحت الباب ومسحت المقبض الداخلي وأغلقته خلفي، ومسحت المقبض الخارجي، وانطلقت في طريقي.

* * *

هاتفتُ ديك فولي من الصيدلية التي على ناصية شارع برودواي، وطلبتُ منه أن يأتي إلى الفندق الذي أقيم فيه. وصل بعدما وصلت ببضع دقائق.

أخبرته: «قُتلت دينا براند في منزلها البارحةَ أو صباحَ اليوم باكرًا. لقد طُعنت بمخرز الثلج. والشرطة لا تعلم عن الحادث بعد. أخبرتك الكثير عنها بحيث تعرف أنه يوجد الكثير ممن لديهم أسباب تدفعهم إلى قتلها. وفيهم ثلاثة أريد أن أتتبعهم أولًا، وهم ويسبر ودان رولف وبيل كوينت، ذلك الفتى المتطرف. وقد سبق أن أعطيتك أوصافهم. يرقد رولف في المستشفى بإصابة في رأسه. أنا لا أعرف المستشفى التي يقيم فيها. ولكن ابحث في مستشفى المدينة أولًا. توصَّلْ إلى ميكي لينهان، لا يزال يتتبع بيت الفنلندي، اطلب منه أن يترك مراقبة بيت وأن يساعدك في مهمتك. اعرف لي أين كان هؤلاء الثلاثة البارحة. واعلم أننا نسابق الوقت.»

وبينما أتحدث إلى المحقق الكندي الصغير، انتابَهُ الفضول وهو ينظر إليَّ. همَّ بقول شيء ولكنه غيَّر رأيه، وغمغم قائلًا: «حسنًا»، وغادر. ثم خرجت أبحث عن رينو ستاركي. علمت مكانه بعد ساعة من البحث عبر الهاتف، وكان في منزل به غرف للإيجار في شارع روني.

سألني حين قلت له إني أريد رؤيته: «هل ستأتي بمفردك؟»

«أجل.»

قال إنه يمكنني المجيء، ووصَف لي الطريق. استقللتُ سيارة أجرة. وجدته في منزل قذر من طابقين على مقربة من أطراف المدينة.

رأيت رجلين يغدوان ويروحان أمام محل بقالة عند إحدى الزوايا. ورأيت رجلين آخرين يجلسان على السلم الخشبي للمنزل عند الزاوية الأخرى. لم أرَ في هيئتهم مظاهر تدل على الرقي.

حين دققت جرس الباب، فتح رجلان الباب. وأيضًا لم أرَ الدماثة في محيَّا أيٍّ منهما.

أخذاني إلى الطابق العلوي إلى غرفة أمامية حيث يقبع رينو، رأيته يرتدي قميصًا بأكمام دون ياقة، وصدرية، كان جالسًا مضطجعًا في كرسي رافعًا قدميه على عتبة النافذة.

أومأ بوجهه المستطيل الشاحب وقال:

«اسحب كرسيًّا إلى جواري.»

انصرف الرجلان اللذان أتيا بي وأغلقا الباب. جلست وقلت:

«أريد حُجة غياب. فقد قُتلت دينا براند البارحةَ بعدما تركتها. ولا أحسب أن يُشتبَه بي، ولكني لا أثق في قسم الشرطة بعد موت نونان. وأنا لا أريد أن أعطيهم أي فرصة حتى لمحاولة إلصاق التهمة بي. وإن لزم الأمر، فبإمكاني أن أثبت أين كنت البارحة، ولكن يمكنك أن توفِّر عليَّ كثيرًا من المتاعب إن أردتَ.»

نظر إليَّ بعينَين خاليتَين من أي تعبيرٍ وسألني:

«ولماذا اخترتني أنا؟»

«هاتفتني في منزلها البارحة. وأنت الوحيد الذي يعرف أني كنت هناك في أول الليل. ويتعيَّن عليَّ أن أتفق على الأمر معك حتى وإن عثرت على حجة غياب في مكان آخر، أليس كذلك؟»

سأل:

«أنت لم تقتلها، أليس كذلك؟»

قلت بنبرة هادئة: «بلى.»

حملق إلى الخارج من النافذة قليلًا قبل أن يتحدث. ثم سأل:

«وما الذي جعلك تفكر في أني سأساعدك؟ هل أدين لك بشيء فعلته من أجلي في منزل ويلسون البارحة؟»

قلت:

«لم أتسبب لك بأي أذًى. كما أن الأخبار كانت قد انتشرت على أي حال. وقد علم ويسبر ما يكفي بحيث يمكنه تخمين الباقي. لم أفعل شيئًا سوى أني رتبت المواجهة. وما الذي يقلقك؟ يمكنك الاعتناء بنفسك.»

وافقني: «أنا أنوي الاعتناء بنفسي. حسنًا. لقد كنتَ في تانر هاوس الكائن في مدينة تانر. تلك مدينة صغيرة تقع على مسافة عشرين إلى ثلاثين ميلًا من التل. ذهبتَ إلى هناك بعد الاجتماع في منزل ويلسون ومكثت هناك حتى الصباح. وركبت مع شخص اسمه ريكر كان يتجول بسيارته المستأجرة على مقربة من منزل ماري، وأخذك إلى هناك وعاد بك. من المفترض أن تعلم ما كنت تفعل هناك. أعطني توقيعك وسأضعه في السجل.»

قلت وأنا أفتح قلمي الحبر: «أشكرك.»

«لا تشكرني. أنا أفعل ذلك لأني بحاجةٍ إلى جمع أكبر عدد من الأصدقاء. وحين يأتي وقت الجلوس إلى المائدة معي ومع ويسبر وبيت، فلا أريد أن يَئول الاجتماع إلى نهاية كَدِرة.»

وعدتُه: «سيكون لك ما تريد. من سيصبح رئيس الشرطة؟»

«يقوم ماكجرو بمهام الرئيس. وأظنه سيصير هو رئيس الشرطة.»

«وكيف سيدير الأمور؟»

«سيتخذ جانب الفنلندي. فأي أعمال عنف ستضر سمعة قسم الشرطة كما ستضر سمعة بيت. وعلى قسم الشرطة أن يتخذ بعض الإجراءات. وأنا لن أقف ساكنًا في حين أن رجلًا مثل ويسبر حر طليق. فإما أنا وإما هو. هل تظن أنه قتل تلك المرأة؟»

قلت وأنا أعطيه قُصاصة ورق كتبت عليها اسمي: «لديه دوافع كثيرة لارتكابها. فقد خانَته وباعته كثيرًا.»

سأل: «هل صحيح أنه نشأت علاقة بينك وبينها؟»

تجاهلت السؤال وأشعلت سيجارة. انتظر رينو لحظات، ثم قال:

«الأفضل أن تبحث عن ريكر وتجعله يتعرَّف إليك حتى يتسنَّى له وصفك إن سُئل.»

فتح الباب ودخل إلى الحجرة شابٌّ طويل الساقَين في الثانية والعشرين من عمره أو نحو ذلك، له وجه رفيع به نمش حول عينَين جريئتَين. قدَّمه رينو لي باسم هانك أومارا. وقفت وصافحته وسألت رينو:

«هل يمكنني الوصول إليك هنا إن احتجت شيئًا؟»

«هل تعرف بيك ماري؟»

«سبق أن قابلته وأعرف مكانه.»

قال: «أي شيء توصِله إليه سيصلني. فنحن سنغادر هذا المكان. إنه ليس آمنًا. وقد جهزنا المكان في مدينة تانر.»

«اتفقنا. شكرًا لك.» وحينئذٍ خرجت من المنزل.

الفصل الثاني والعشرون

مخرز الثلج

ذهبت أولًا إلى مقر الشرطة في وسط المدينة. ووجدت ماكجرو جالسًا إلى مكتب رئيس الشرطة. رمقَتني عيناه ذواتا الرموش الشقراء بنظرة ريب، وأصبحت التجاعيد في وجهه المتغضِّن أعمق وأشرس من المعتاد.

سأل من دون أيِّ مقدمات أو حتى إيماءة: «متى آخر مرة رأيت فيها دينا براند؟» وقد خشخش صوته بشكلٍ كريهٍ في أنفه العظمي.

قلت: «الساعة الحادية عشرة إلا الثلث البارحة، أو قريبًا من ذلك. ولمَ السؤال؟»

«أين؟»

«في منزلها.»

«كم المدة التي مكثتها؟»

«عشر دقائق أو ربما خمس عشرة دقيقة.»

«ولماذا؟»

«ما قصدك؟»

«لماذا لم تمكث عندها أطول من ذلك؟»

سألته وأنا أجلس على كرسي لم يقدمه لي: «وما شأنك أنت بهذا؟»

اتسعت حدقة عينه وهو ينظر إليَّ ويملأ رئتيه بالهواء؛ كي يصيح في وجهي: «جريمة قتل!»

ضحكت وقلت:

«أتظن أن لها علاقةً بمقتل نونان؟»

أردت تدخين سيجارة، ولكن معروف عن السجائر أنها أول وسيلةٍ يلجأ إليها المتوتر كي يهدِّئ أعصابه؛ ومن ثَم لم أدخن سيجارة حينها.

كان ماكجرو يحاول أن ينظر في عينيَّ. أتحتُ له تلك الفرصة وتحلَّيت بكل الثقة في اعتقادي بأني — مثل كثير من الناس — أبدو صادقًا للغاية حين أكذب. لم يدُم الأمر طويلًا وأَقلعَ عن التحديق في عينيَّ، وسأل:

«ولمَ لا؟»

هنا مكمن ضعف كبير. قلت غير مُبالٍ: «حسنًا، ولمَ لا؟» وعرضت عليه سيجارة وأخذت واحدةً لنفسي. ثم أردفت: «أظن أن ويسبر هو الفاعل.»

«هل كان هناك؟» لوهلةٍ ضلَّ صوت ماكجرو أنفه وخرجت الكلمات من بين أسنانه بحدة.

«ماذا تقصد بهناك؟»

«هل كان في منزل براند؟»

قلت مقطِّبًا جبيني: «لا. ولماذا يذهب إلى هناك ... إن كان منشغلًا بقَتْل نونان؟»

صاح رئيس الشرطة بالنيابة بعدما فقدَ أعصابه: «اللعنة على نونان! لماذا تصرُّ على حَشْو اسمه في الحديث؟»

رميته بنظرة وكأني أظنُّه مجنونًا.

قال:

«قُتلت دينا براند البارحة.»

قلت: «أحقًّا؟»

«والآن، هل ستجيب عن أسئلتي؟»

«بالطبع. حضرت الاجتماع في منزل ويلسون مع نونان والآخرين. وبعدما غادرت نحو الساعة العاشرة والنصف، ذهبت إلى منزلها كي أخبرها أن عليَّ السفر إلى مدينة تانر. فقد كنت على موعد معها. مكثت عندها قرابة عشر الدقائق، أي ما يكفي لتناول شراب. لم يكن في منزلها أحدٌ غيري حينذاك، ما لم يكن أحد مختبئًا. ولكن متى قُتلت؟ وكيف؟»

أخبرني ماكجرو أنه أرسل اثنَين من محقِّقيه — وهما شيب وفانامان — لزيارة الفتاة في ذلك الصباح؛ كي يرَوا مقدار المساعدة التي يمكن أن تقدمها لقسم الشرطة في القبض على

ويسبر بتهمة قتل نونان. وصل المحققان إلى منزلها الساعة التاسعة والنصف. وحينها وجدا باب المنزل مواربًا. ولم يخرج إليهما أحدٌ ليرد على ضرب جرس الباب. ثم دخل المحققان ووجدا الفتاة مستلقيةً على ظهرها ميتةً في غرفة الطعام، ومصابة بطعنة في ثديها الأيسر.

وقال الطبيب الذي فحص جثتها إنها قُتلت بنصل رفيع مستدير مدبَّب، طوله نحو ست بوصات، ووقعت الجريمة نحو الساعة الثالثة من صباح اليوم. ويبدو أن المكاتب والخزائن والأمتعة وما إلى ذلك تعرضت إلى السلب بمهارةٍ ودقة. فلم يُعثَر على أموالٍ في حقيبة يد الفتاة أو في أي مكانٍ آخر في المنزل. وكانت علبة المجوهرات على تسريحتها فارغة. ولكن وُجد خاتمان من الماس في أصابعها.

لم تعثر الشرطة على السلاح الذي طُعنَت به. ولم يتوصَّل خبراء رفع البصمات إلى أي شيءٍ يمكن أن يفيدهم. ولا يظهر على الأبواب أو النوافذ أي آثار اقتحام. ولكن المطبخ يدل على أن الفتاة كانت تحتسي شرابًا مع ضيف أو عدة ضيوف.

ردَّدت أوصاف السلاح: «ست بوصات، مستدير، رفيع، مدبب. وكأنه مخرز ثلج.»

رفع ماكجرو سماعة الهاتف، وأخبر أحدًا ما أن يرسل إليه المحققَين شيب وفانامان. شيب رجل طويل القامة، أحدب الكتفَين، وله فم كبير شكله فظيع، على الأرجح أنه بسبب أسنانه المَعيبة. أما المحقق الثاني فكان قصير القامة بدينًا، تميل أوردته إلى اللون الأرجواني في أنفه، ورقبته قصيرة لا تكاد تُرى.

عرَّف ماكجرو أحدنا بالآخر وسألهما عن مخرز الثلج. قالا إنهما لم يرياه، وأكَّدا أنهما لم يعثرا عليه في منزلها. ولم تقع أعينهما على شيءٍ من هذا القبيل.

سألني ماكجرو: «هل كان موجودًا البارحة؟»

«وقفت بجانبها لما كانت تكسر قطع الثلج به.»

وصفته له. ثم أمر ماكجرو المحققَين أن يُفتِّشا منزلها مرة أخرى، وأن يحاولا البحث عن المِخرَز في المناطق المجاورة للمنزل.

بعدما غادر شيب وفانامان، قال: «أنت تعرفها. فما قولك في هذه القضية؟»

تجنَّبت الإجابة عن السؤال: «لم أعلم الكثير عن القضية بعد. فقط أمهلني ساعةً أو ساعتَين للتفكير فيها. ولكن ما قولك أنت؟»

ارتسم الاستياء على محيَّاه مرة أخرى وتمتم: «وكيف لي أن أعرف؟»

لكن لما تركني أرحل من دون أن يطرح المزيد من الأسئلة، علمت أنه في قرارته يقول إن ويسبر هو من قتل الفتاة.

لم أعلم إن كان المقامر الصغير هو الذي فعلها، ولا أعلم إن كانت هذه إدانةً أخرى مما يحب قادة الشرطة في بويزونفيل أن يلصقوها به. لكن هذا لن يُحدِث فرقًا الآن. كان واضحًا أنه قتل نونان — سواء بنفسه أو بالإيعاز إلى غيره — وهم سيحكمون عليه بالإعدام مرة واحدة.

* * *

رأيت أناسًا كثيرين في الطرقة حين غادرت ماكجرو. كان بعض هؤلاء صغارًا في السن — مجرد أطفال — وكان قلة منهم من خارج البلاد، أما معظمهم فكانوا أشداء كالرجال الطبيعيين.

وعلى مقربةٍ من الباب المطلِّ على الشارع قابلت دونر، وهو أحد رجال الشرطة الذين شاركوا في الحملة على نُزل «سيدار هيل».

ألقيت عليه التحية: «مرحبًا. لمَ هذا الزحام؟ هل تفرغون الزنزانة لإفساح مجال للمزيد؟»

أخبرني: «هؤلاء رجال الشرطة الخاصة الجدد. إننا نسعى إلى تعزيز قواتنا.» ولكني لمست في حديثه وكأنه لا يبالي بهم.

قلت: «مبارك لكم»، وخرجت.

في صالة البلياردو، وجدت صاحبها بيك ماري يجلس على مقعدٍ خلف منضدة السجائر ويتحدث إلى ثلاثة رجال. جلست في الجانب الآخر من الصالة وشاهدت صبيَّين يلعبان البلياردو. وفي غضون بضع دقائق، أتى صاحب الصالة النحيف نحوي.

أخبرته: «حين تقابل رينو في المرة المقبلة، أخبره أن بِيت الفنلندي وظَّف عصابته، وصاروا من قوات الشرطة الخاصة.»

وافق ماري: «حسنًا سأخبره.»

* * *

وجدت ميكي لينهان جالسًا في رواق الفندق حين عدت. تبعني إلى غرفتي وقصَّ تقريره:

«هرب دان رولف من المستشفى البارحة بعد منتصف الليل. وقد غضب الأطباء كثيرًا بسبب هروبه. يبدو أنهم خطَّطوا لإزالة العديد من شظايا العظم الصغيرة من جمجمته هذا الصباح. ولكنَّهم لم يجدوه ولم يجدوا شيئًا من أغراضه. وليست لَدَينا معلومات عن ويسبر حتى الآن. وفي الوقت الحالي، يحاول ديك العثور على مكان بيل كوينت. ما قصة قتل تلك الفتاة؟ يقول ديك إنك عرفت بمقتلها قبل الشرطة.»

«إنه ...»

رن جرس الهاتف.

سمعت صوت رجل على الطرف الآخر، وكان حديثه منمقًا وقد لفظ اسمي في صيغة سؤال.

قلت: «نعم.»

قال الصوت:

«معك السيد تشارلز بروكتور دون. أعتقد أن المسألة تستحق أن تستقطع بعض الوقت وتزورني في مكتبي في أقرب فرصة.»

«حقًّا؟ ومن أنت؟»

«أنا السيد تشارلز بروكتور دون، أعمل محاميًا. ويقع مكتبي في مبنى راتليدج بلوك، رقم ٣١٠ شارع جرين. وأظن أنك ستجد المسألة تستحق ...»

سألته: «هل تمانع أن تقول لي ما المسألة اختصارًا؟»

«هناك أمور لا يُستحسن مناقشتها على الهاتف. وأظن أنك ستجد ...»

قاطعته مرة أخرى: «حسنًا. سآتي إلى زيارتك بعد ظهر اليوم إذا أُتيحت لي الفرصة.»

أكَّد لي: «يستحسن جدًّا أن تفعل.»

أنهيت المكالمة عند هذا الحد.

قال ميكي:

«كنت ستخبرني بقصة قتل براند.»

قلت:

«ما كنت لأفعل. بل كنت سأقول إن من الأفضل أن تحثَّ الخُطى في البحث عن رولف ... فهو يتجوَّل في الأرجاء بجُمجمةٍ مكسورة، وربما الكثير من الضمادات. فهلَّا تحاول العثور عليه. وابدأ بالبحث في شارع هريكين.»

ارتسمت ابتسامةٌ عريضةٌ على وجه ميكي الفكاهي المشرب حمرة، وقال: «لا تخبرني عن مستجدات الأمور ... أنا أعمل معك ليس إلا»، وأخذ قبعته وغادرني.

استلقيت على السرير ودخنت السجائر واحدة في عَقِب الأخرى، وفكرت فيما حدث البارحة؛ فكرت في حالتي الذهنية وفقدان وعيي وأحلامي والموقف الذي استيقظت عليه. وقد أزعجني التفكير كثيرًا لدرجة أنني ابتهجت حين قُطع حبل أفكاري.

سمعت أظافر تخدش باب غرفتي من الخارج. ففتحت الباب.

وجدت رجلًا لا أعرفه أمامي. شابًّا نحيلًا يرتدي ملابس مبهرجة. لديه حاجبان كثيفان وشارب صغير شعره مفحم السواد، في حين أن وجهه شاحب بادٍ فيه التوتر، ولكن لا يبدو فيه خوف أو فزع.

قال وهو يمدُّ يده وكأني سُررت برؤيته: «أنا تيد رايت. أظن أنك سمعت ويسبر يتحدث عني.»

مددت يدي وصافحته وأدخلته وأغلقت الباب، ثم سألته: «هل أنت صديق ويسبر؟»

«بل أعز أصدقائه.» ثم ضم إصبعَين من أصابعه الرفيعة معًا وأراني إياهما. «أنا وهو مثل هذَين الإصبعَين.»

لم أتفوه بكلمة. نظر في أرجاء الغرفة وابتسم متوترًا، وسار إلى باب الحمام ونظر بالداخل، ثم عاد إليَّ وهو يمسح شفتَيه بلسانه وقدَّم عرضه:

«سأقتله من أجلك مقابل خمسمائة دولار.»

«هل تقصد ويسبر؟»

«أجل، وهذا سعر زهيد للغاية.»

سألته: «وما الذي يدفعني إلى قتله؟»

«ألم يقتل تلك المرأة؟»

«وماذا بعد؟»

«أنت لست بهذه السذاجة.»

بدأَت فكرة تدور في عقلي. وكي أعطيها الوقت كي تنضج، قلت: «اجلس. فهذه المسألة تحتاج إلى الكلام.»

قال وهو ينظر إليَّ بعين حادة ولم يتحرك صوب أي كرسي: «أنا لا أريد شيئًا. فإما أنك تريد قتله أو لا تريد.»

«إذن، فأنا لا أريد.»

تلفَّظ بكلمات لم أفهمها؛ إذ كان صوته خافتًا، واتجه صوب الباب. وحينها وقفت بينه وبين الباب. وقف وعينه تنمُّ عن تململه.

قلت:

«إذن، هل مات ويسبر؟»

تراجع ووضع إحدى يديه خلفه. حينئذٍ لكمته في فكه بقوة، وكأنني وضعت وزني البالغ مائة وتسعين رطلًا في هذه اللكمة.

تعرقلت ساقاه وسقط على الأرض.

أمسكته من رسغيه وأوقفته، وجذبت وجهه وقربته من وجهي وزمجرت فيه:

«تكلم. ما الذي تخطط له؟»

«أنا لم أفعل لك شيئًا.»

«قل لي ولا تُخفِ عني. من الذي قتل ويسبر؟»

«لا أعلم شيئًا ...»

أفلتُّ أحد رسغَيه وصفعته على وجهه بيدي، وأمسكته من رسغه مرة أخرى، وحاولت أن أعصرهما معًا وأنا أكرر كلامي:

«من الذي قتل ويسبر؟»

قال وهو يئنُّ: «دان رولف. لقد ذهب إليه وطعنه بالمخرز ذاته الذي استخدمه ويسبر في قتل الفتاة. هذا ما حدث.»

«وكيف علمتَ أن ذلك المخرز استخدمه ويسبر كي يقتل الفتاة؟»

«علمتُ من دان.»

«وماذا قال ويسبر؟»

«لا شيء. كان مظهره غريبًا؛ إذ وقف والمخرز مغروس في جنبه. حينها أخرج المسدس وأطلق رصاصتين على دان، وكأنه أطلقهما في رصاصة واحدة، وخرَّ كلاهما معًا؛ حيث تناطح رأساهما أحدهما بالآخر والدم يُغرق دان، وينزف من فوق الضمادات.»

«وما الذي حدث بعد ذلك؟»

«لم يحدث شيء. قلبتهما ووجدتهما جثتَين هامدتَين. وما أقوله لك هو الصدق لا غير.»

«مَن غيرك رأى هذا الحادث؟»

«لا أحد. فقد تخفَّى ويسبر، وكنت أنا الوسيط بينه وبين عصابته. قتل نونان بنفسه، ولم يُحب أن يُضطر إلى الثقة في أحد غيري لبضعة أيام، حتى يرى إلام ستَئول الأمور.»

«وأنت حسبت نفسك ذكيًّا واعتقدت أن بإمكانك الذهاب إلى أعدائه، وأن تجمع منهم بعض الأموال نظير قتله وهو ميت في الأساس؟»

قال رايت وهو ينتحب: «كنت مفلسًا تمامًا، ولن يكون هذا المكان آمنًا لرجال ويسبر بعدما ينتشر خبر قتله. واحتجت إلى جمع بعض المال من أجل الهرب.»

«كم جمعت حتى الآن؟»

«حصلت على مائة دولار من بِيت، ومائة وخمسين دولارًا من بيك ماري — نيابة عن رينو — وقد وعداني بالمزيد بعد إنجاز المهمة.» تغيرت نبرة الانتحاب إلى تباهٍ وهو يتحدث. «أراهن أن بإمكاني إقناع ماكجرو، وأن آخذ منه بعض المال هو الآخر، وظننت أنك قد تساهم بشيء.»

«لا بد أنهم مزعزعون كي يرموا أموالهم من أجل خطة خرقاء كهذه.»

قال بنبرة تعالٍ: «لست أدري. إنها ليست خطة خرقاء على أي حال.» ثم صار متواضعًا مرة أخرى. إذ قال: «أعطني فرصة يا سيدي. ولا تفسد هذه الخطة عليَّ. سأعطيك خمسين

دولارًا، وأتقاسم المبلغ الذي أحصل عليه من ماكجرو معك إذا بقيت صامتًا حتى أنهي هذه العملية، ويحين وقت رحيلي.»

«هل يعلم أحد غيرك مكان ويسبر؟»

«لا أحد سوى دان، وقد ذاق كأس الموت مثله.»

«وأين هما؟»

«في مخزن ريدمان القديم الكائن في شارع بورتر. إنهما في الغرفة الخلفية بالطابق العلوي؛ إذ أعدَّ ويسبر غرفة بها سرير وموقد وبعض الطعام. أعطني فرصة. سأعطيك خمسين دولارًا الآن وأتقاسم معك الباقي.»

تركت ذراعه وقلت:

«لا أريد المال، ولكن اذهب إلى حيث تريد. سأسكت عما فعلتَ لمدة ساعتَين. وهذه المدة أظنها كافية.»

«شكرًا يا سيدي. أشكرك، شكرًا جزيلًا»، وفرَّ مبتعدًا عني.

* * *

ارتديت معطفي وقبعتي وخرجت منطلقًا إلى مبنى راتليدج بلوك في شارع جرين. المبنى من الخشب، وقد مر على بنائه وقت طويل لدرجة أنه فقدَ رونقه. يقع مكتب السيد تشارلز بروكتور دون في الطابق الثاني. ولم يكن ثمة مصعد في المبنى. ولذا صعدت سلمًا خشبيًّا متهالكًا آيلًا للسقوط.

يتكوَّن مكتب المحامي من غرفتَين، وحالة كلتيهما رثة، ورائحتهما كريهة، وإضاءتهما خافتة. انتظرت في الغرفة الخارجية، ريثما يدخل الكاتب الذي يتشابه حاله مع حال الغرفتَين يُعلِم المحامي بوصولي. وبعد نصف دقيقة، فتح الكاتب الباب وأدخلني.

السيد تشارلز بروكتور دون رجل قصير بدين، في الخمسينيات تقريبًا. عيناه مثلثتا الشكل، لونهما فاتح، تنطلق منهما سهام الفضول؛ أنفه كبير وقصير، وفمه أكبر، يتخفَّى شرهه جزئيًّا تحت شارب أبيض أشعث، ولحية فاندايك بيضاء. كانت ملابسه سوداء، توحي بعدم نظافتها حتى وإن لم تكن متَّسخة في الحقيقة.

لم ينهض من مكتبه، وطَوال فترة الزيارة ظل واضعًا يده على حافة درج المكتب الذي كان مفتوحًا بمقدار ست بوصات فقط.

قال:

«ها قد أتيتَ يا سيدي، أنا ممتنٌّ لك كل الامتنان على أنك كان لديك من حسن التقدير ما جعلك تدرك قيمة استشارتي.»

كان حديثه هادئًا ومنمقًا أكثر مما سمعته في الهاتف.

ولكني لم أتفوه بكلمة.

أومأ برأسه، وكأن صمتي عن الكلام كان نوعًا من حسن التقدير أيضًا؛ ولذا أردف يقول:

«بكل مصداقية، يمكنني القول إن الحكمة تستلزم الْتماس مشورتي كمحام في أي موقف. أقول لك ذلك يا سيدي، دون تكبُّر، مقرًّا بمسئولياتي والتزامي كأحد الرواد البارِزين والمعترف بهم لنقابة المحامين في هذه الولاية المزدهرة — ولمَ أخجل من أن أقول إنني أحدهم ولست الرائد الوحيد؟ — أقول هذا بمنتهى التواضع اللائق والإدراك العميق للقيم الحقيقية الثابتة.»

كان يعرف الكثير من الجمل الشبيهة، ولم يرَ بأسًا في استخدامها في الحديث معي. وفي النهاية أكمل حديثه:

«ولذلك، فإن السلوك الذي يُعتبر مخالفًا للأصول إذا اقترفه الصغير في المهنة؛ ربما يُعتبر تصرفًا أخلاقيًّا يخالف الأعراف غير المهمة إذا مارسه صاحب المكانة المرموقة في المجتمع — ولا أقصد المجتمع المحلي بدائرته الضيقة فحسب — من أجل خدمة الإنسانية من خلال خدمة أحد أفرادها. ولذلك يا سيدي أنا لا أتردد في أن أضرب بكل الاعتبارات التافهة للمتعارَف عليه عُرض الحائط، وأقول لك يا سيدي بكل صراحةٍ وصدق: إن حوائجك ستُقضى على أكمل وجه حين تتخذني وكيلك القانوني.»

سألت:

«وكم سيكون الأجر؟»

قال متعاليًا: «هذه المسألة ليست ذات أهمية الآن. ولكنها جزئيةٌ لها مكانة قيِّمة في علاقتنا، ولا يجدر بنا أن نغضَّ الطَّرْف عنها أو نتجاهلها. لذا، لنتفقْ مبدئيًّا على ألف دولار الآن. وفيما بعد، لا شك أن ...»

فرك شواربه ولم يكمل الجملة. وبالطبع قلت له إنني لا أحمل هذا المبلغ الآن.

«هذا طبيعي يا سيدي. هذا طبيعي. ولكن هذا ليس له أهمية بأي حالٍ من الأحوال. ليس له أي أهمية. يمكنك تجهيز المبلغ في أي وقت، نعم في أي وقت حتى العاشرة من صباح الغد.»

وافقته: «في العاشرة من صباح الغد. والآن، أودُّ أن أعرف لماذا قد أحتاج إلى وكيلٍ قانوني.»

ارتسمت على وجهه تعابير الاستياء.

«سيدي، أنا أؤكد لك أن هذه المسألة لا يُستهان بها.»

أوضحت له أني لا أمزح، وأني أريد أن أعرف حقًّا.

تنحنح وقطَّب جبينه أكثر، دلالةً على الأهمية، وقال:

«يا سيدي العزيز، ربما لا تعي المخاطر التي تحيط بك وعيًا كاملًا، ولكني بالتأكيد لست أخرق كي أفترض أنك لست على أي معرفةٍ بالصعوبات التي تلوح في الأفق، وتوشك أن تواجهها — أعني الصعوبات القانونية يا سيدي — والتي أسفرت عنها الأحداث الأخيرة، والتي لم يمرَّ عليها سوى ليلة البارحة، نعم البارحة يا سيدي. ولكن لا وقت للخوض في هذا الآن. فأنا عندي موعدٌ ملحٌّ مع القاضي ليفنر. وفي الغد، سيسرُّني أن أناقش معك كل جزئيةٍ من الجزيئات مهما كانت صغيرة بخصوص ما يحدث يا سيدي، وأنا أؤكد لك أنها كثيرة. سأكون في انتظارك في الساعة العاشرة من صباح الغد.»

وعدته بأن آتي وخرجت. قضيت المساء في غرفتي أحتسي الويسكي وأنا غير مسرور، تَجُول في عقلي أفكار غير سارَّة، وأنتظر التقارير التي لم تأتِ من ميكي وديك. ثم خلدت إلى النوم عند منتصف الليل.

الفصل الثالث والعشرون

السيد تشارلز بروكتور دون

حين دخل عليَّ ديك فولي، كنت قد شارفت على الانتهاء من ارتداء ملابسي. قال بأسلوبه المقتضب الكلمات إن بيل كوينت ترك فندق «ماينرز» في ظهر الأمس، ولم يترك عنوانًا لإعادة توجيه الرسائل إليه.

غادر قطارٌ بيرسونفيل متجهًا إلى أوجدين في الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة. وقد اتصل ديك بفرع وكالة المباحث في سولت ليك؛ كي يُرسلوا رجلًا إلى أوجدين ويحاول تعقب كوينت.

قلت: «لا أريد التغاضي عن أي طرَف خيط، ولكن لا أظن أن كوينت هو الرجل الذي نريده. فقد أنهت دينا علاقتها معه منذ وقتٍ طويل. ولو كان يحمل أي نيةٍ للانتقام، لفعلَ ذلك من قبل. وأحسب أنه حين سمع بمقتلها قرَّر الاختباء؛ خشية أن يُؤخَذ بجريرة أنه كان عاشقًا وسبق أن هدَّدها.»

أومأ ديك وقال:

«تبادل لإطلاق النار على الطريق ليلة البارحة. عملية استيلاء. سُرقت أربع شاحنات خمر، واحترقت.»

يبدو أن رينو ستاركي يردُّ على الأخبار التي وصلته بأن رجال بائع الخمور أصبحوا ضمن قوات الشرطة الخاصة.

وصل ميكي لينهان حين انتهيت من ارتداء ملابسي.

قال: «دان رولف كان في المنزل بالفعل. وقد رآه صاحب محل البقالة اليوناني على الناصية صباح أمس نحو الساعة التاسعة. كان يغدو ويروح في الشارع ويتحدث إلى نفسه. ولذا ظنه اليوناني مخمورًا.»

«ولمَ لمْ يبلغ هذا اليوناني الشرطة؟ أم إنه فعل؟»

«لم أسأله. ولكن قسم الشرطة بهذه المدينة يفتقر إلى الكفاءة. فهل ينتظرون أن نعثر عليه ونسلمه لهم فننجز المهمة لأجلهم؟»

قلت: «استقر ماكجرو على أن ويسبر قتلها، ولا يريد أن يزعج نفسه بتتبع أي أدلة تؤدي إلى طريق غير هذا. وإن لم يكن رولف قد عاد فيما بعدُ كي يأخذ مخرز الثلج، فلن يكون هو الفاعل. فقد قُتلت في الساعة الثالثة صباحًا. ولم يوجَد رولف هناك في الساعة الثامنة والنصف؛ لأن المخرز كان لا يزال مغروسًا فيها. فقد كان ...»

اقترب ديك فولي مني ووقف أمامي وسأل:

«كيف علمت؟»

لم تعجبني نظراته لي ولا أسلوبه في الحديث معي. وقلت:

«أنت تعلم لأني أخبرك.»

لم يتفوَّه ديك بكلمة. وارتسمَت على شفتَي ميكي ابتسامته البلهاء المعهودة وسأل:

«ماذا سنفعل الآن؟ فلننهِ هذه المسألة بسرعة.»

أخبرتهما: «عندي موعد في الساعة العاشرة. ابقيا في الفندق حتى أعود. فمن المحتمل أن ويسبر ورولف قد ماتا؛ ولذا لن نحتاج إلى تعقبهما.» وتجهَّمتُ في وجه ديك وقلت: «أحدهم أعطاني هذه المعلومة. لم أقتل أيًّا منهما.»

أومأ الكندي الضئيل من دون أن يحيد بعينَيه عن عينيَّ.

ثم تناولت الإفطار وحدي، وانطلقت إلى مكتب المحامي.

لما خرجت من شارع كينج، لمحت وجه هانك أومارا المنمَّش في سيارة ذاهبة إلى شارع جرين. كان يجلس بجانب رجلٍ لا أعرفه. لوَّح الشاب صاحب السيقان الطويلة بذراعه إليَّ وأوقف السيارة. وعندئذٍ ذهبت إليه.

قال:

«يريد رينو أن يراك.»

«أين هو؟»

«اركب.»

قلت: «لا يسعني الذهاب الآن. وربما لا أستطيع حتى بعد الظهيرة.»

«اذهب إلى بيك حين تكون جاهزًا.»

قلت إني سأفعل. وانطلق أومارا ورفيقه بالسيارة في شارع جرين. أما أنا فمشيت مسافة نصف مربع سكني نحو الجنوب إلى راتليدج بلوك.

حين وضعت قدمي على أول درجةٍ من السلم المتهالك المؤدي إلى الطابق الذي فيه مكتب المحامي، وقفت كي أنظر إلى شيء ما.

لم أكد أرى ذلك الشيء في زاويةٍ خافتة الإضاءة في الطابق الأول. إنه حذاء. وقد وُضع في مكان لا توضع فيه الأحذية المخلوعة.

أنزلت قدمي عن الدرجة واتجهت صوب الحذاء. وصرت أرى كاحلًا وثَنْية ساقِ سروالٍ أسود فوق الجزء العلوي من الحذاء.

وهذا المنظر جعلني مستعدًّا لما وجدته.

إذ وجدت السيد تشارلز بروكتور دون متكوِّمًا بين مكنستَين وممسحة ودلو، في تجويف صغير يتكون من الجزء الخلفي للسلم وزاوية من الجدار. تلطخت لحية فاندايك بدم ينزف من جرح أُصيبَ به بعرض جبهته. ورأسه كان ملويًّا إلى الجنب والخلف بزاوية لا يمكن أن تتخذها إلا في حالة كسر الرقبة.

كررت في نفسي مقولة نونان «ينبغي القيام بما ينبغي القيام به»، وتوخيت الحذر الشديد وأنا أزيح أحد جانبَي المعطف الذي يرتديه الميت، وأفرغت جيبه الداخلي، وأخذت منه دفترًا ذا جلد أسود وحزمة أوراق، ووضعتهما في جيبي. لم أعثر على شيءٍ أريده في الجيبَين الآخرين. ولكن تعذَّر عليَّ الوصول إلى جيوبه الأخرى من دون تحريكه؛ ولذا لم أهتم بتفتيشها. في غضون خمس دقائق كنت في الفندق، ودخلت من بابٍ جانبي كي لا ألتقي ديك وميكي في الرواق، وصعدت إلى الطابق الثاني كي أستقل المصعد.

جلست في غرفتي وتفحصت غنيمتي.

فتحت الدفتر أولًا، وهو عبارة عن مفكرة صغيرة من جلد صناعي، وهي من الأنواع الرخيصة التي تباع في أي مكتبة. تحتوي المفكرة على بعض الملاحظات المقتضبة التي لم تهمني، وبضعة وثلاثين اسمًا وعنوانًا لم تهمني كثيرًا، باستثناء قيدٍ واحد، وهو:

هيلين ألبوري

١٢٢٩أ شارع هريكين

لفت هذا الاسم انتباهي لسببين؛ أولًا لأن الشاب المدعو روبرت ألبوري يقبع في السجن؛ لأنه اعترف بقتل دونالد ويلسون حين اشتعلت الغيرة في قلبه؛ لأنه توهَّم نشوء علاقةٍ بين ويلسون ودينا براند؛ وثانيًا، عاشت دينا براند وقُتلت في المبنى رقم ١٢٣٢ بشارع هريكين، أي في الجهة المقابلة للشقة رقم ١٢٢٩أ.

ولم أجد اسمي في الدفتر.

وضعت الدفتر جانبًا، وبدأت أفرد الورق الذي كان معه وأطَّلع عليه. تصفحت الكثير من الورق الذي لم أجد له أهمية، حتى وجدت شيئًا له أهمية عندي.

كان ما وجدته عبارة عن أربعة خطابات مكدَّسًا بعضُها مع بعض بشريط مطاطي.

كانت الخطابات في أظرُف مشقوقة، وعليها طوابع بريد بتواريخ يفصل بينها أسبوع في المتوسط. وكان أحدثها قد مر عليه أكثر من ستة أشهر بقليل. وكانت الخطابات موجَّهة إلى دينا براند. الخطاب الأول — وهو أقدمها — لم يكن خطابًا غراميًّا سيئًا على أي حال. ولكن الثاني كان أسخف من الأول. أما الثالث والرابع، فكانا مثالَين جليَّين على مدى السخافة والغيرة التي يمكن أن يصل إليها عاشقٌ أخفق في الوصول لمبتغاه، لا سيما إذا كان يتقدَّم في العمر. كانت الخطابات الأربعة تحمل توقيع إيليو ويلسون.

لم أعثر على أي شيءٍ أعرف منه بالتحديد لماذا السيد تشارلز بروكتور دون فكَّر في أنه يمكن أن يبتزَّ مني مبلغ ألف دولار، ولكني وجدت الكثير من الأشياء التي تستدعي التفكير. حفَّزت عقلي بسيجارتَين، ثم نزلت.

أخبرت ميكي: «اخرج واجمع لي أي معلومات يمكنك الحصول عليها عن محام اسمه تشارلز بروكتور دون. يقع مكتبه في شارع جرين. ولكن ابقَ بعيدًا عن مكتبه. ولا تهدر وقتًا طويلًا في جمع المعلومات عنه. فأنا لا أريد سوى معلومات موجزة سريعة.»

وأخبرت ديك أن ينتظر خمس دقائق بعدما أغادر، ثم يتبعني إلى الحي الذي فيه الشقة رقم ١٢٢٩أ بشارع هريكين.

* * *

تقع الشقة رقم ١٢٢٩أ في الطابق الثاني، لبيت من طابقين في الجهة المقابلة تقريبًا لمنزل دينا. والمبنى رقم ١٢٢٩ مقسَّم إلى شقتين، لكل شقة مدخل خاص. ضربت جرس الشقة التي أريدها.

فتحَتِ البابَ فتاةٌ نحيفة في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمرها، لها عينان داكنتان متلاصقتان، ووجهها مشرق، مائل إلى الصفرة، وشعرها بني قصير، وله مظهر رطب.

فتحَتِ الباب وشهقت فزعًا وخوفًا وتقهقرت عني، ووضعت يديها على فمها.

سألتها: «هل أنت الآنسة هيلين ألبوري؟»

هزت رأسها بقوة تعبيرًا عن النفي. ولكن لم يكن ثمة مصداقية في هذا. وبدا الجنون في عينَيها.

قلت:

«أود الدخول والتحدث معك بضع دقائق»، ودخلت وأنا أتحدث، وأغلقت الباب خلفي.

لم تتفوه الفتاة بكلمة. صعدَتِ السلم أمامي، والتفتَت برأسها نحوي بحيث ترقبني بعينَيها المذعورتَين.

دخلنا إلى غرفة معيشة ذات أثاث قليل. وكان بالإمكان رؤية منزل دينا من نوافذ هذه الغرفة.

وقفت الفتاة في وسط الغرفة ولا تزال واضعة يديها على فمها.

أهدرتُ الوقت والكلمات في محاولة إقناعها أني لا أنوي إيذاءها. ولكن من دون فائدة. وكأن ما أقوله لا يزيدها إلا خوفًا. وقد انزعجتُ منها كثيرًا. ولذا كففت عن المحاولة وتكلمت مباشرةً.

سألتها: «هل أنت أخت روبرت ألبوري؟»

لم أجد ردًّا، بل خوفًا فظيعًا لا معنى له.

قلت:

«بعدما أُلقيَ القبض عليه بتهمة قتل دونالد ويلسون، مكثتِ في الشقة بحيث يمكنكِ مراقبتها. فما دافعك لذلك؟»

لم تنبس ببنت شفة. واضطُررت إلى أن أجيب عن سؤالي بنفسي:

«الانتقام. تلومين دينا براند على المشكلة التي وقعت لأخيك. وأنت تراقبينها تحيُّنًا لوجود فرصة. وقد حانت الفرصة قبل ليلة البارحة. ومن ثَم تسللتِ إلى منزلها ووجدتِها مخمورة، وطعنتها بمخرز الثلج الذي وجدته هناك.»

لم تتفوَّه الفتاة بكلمة. ولم أنجح في تبديد الجمود عن وجهها المذعور. قلت:

«ساعدك دون ووضع لك الخطة. فقد أراد الحصول على خطابات إيليو ويلسون. مَن كان الرجل الذي أُرسلَ لسرقتها، الرجل الذي ارتكب جريمة القتل؟ مَن هو؟»

لم أخرج بنتيجة من هذا. لم تتغير تعابير وجهها، أو جموده. ولم تتكلم. وددت لو صفعتها. قلت:

«منحتك فرصة الحديث. وأود الاستماع إلى روايتكِ من القصة. فاتخذي قرارك.»

اتخذت قرارها بأن تبقى صامتة؛ ولذا لم أبذل محاولةً أخرى. لقد خفتُها، خفت من أن تُقدِم على شيء أكثر جنونًا من صمتها إذا ضغطت عليها أكثر. ولذا خرجت من الشقة وأنا يساورني الشك في أنها فهمت ولو كلمة واحدة مما قلت.

وعند الزاوية، أخبرت ديك فولي:

«توجد فتاة في الداخل اسمها هيلين ألبوري، في الثامنة عشرة من عمرها، طولها خمس أقدام وست بوصات، نحيلة، لا يتجاوز وزنها مائة رطل، عيناها متلاصقتان بنيتان، بشرتها صفراء، شعرها بني قصير ناعم، ترتدي ملابس رمادية الآن. عليك أن تتعقبها. وإن سبَّبَت لك المتاعب، فاقبض عليها. ولكن احذر ... فإنها غريبة الأطوار.»

* * *

انطلقت إلى صالة بيك ماري كي أعرف مكان رينو وأرى ماذا يريد. وحين وقفت على مسافة نصف مربع سكني من وجهتي، اختبأت في مبنى مكتبي كي أقف على طبيعة الموقف.

وقفت سيارة شرطة أمام مقر ماري. ورأيت رجالًا يُقتادون ويُجرجَرون ويُحمَلون من صالة البلياردو إلى السيارة. ورأيت مَن يقتادونهم ويجرجرونهم ويحملونهم لا يشبهون أفراد الشرطة المعتادين. بل أظنهم عصابة بيت الفنلندي الذين صاروا من قوات الشرطة الخاصة. يبدو أن بيت ينفذ تهديده — بمساعدة ماكجرو — بأن يشن حربًا على ويسبر ورينو.

وبينما أنا كذلك، وصلت سيارة الإسعاف وأخذت حمولتها وانطلقت. وقد كنت بعيدًا ولم أتمكن من تعرُّف أي شخصٍ أو جماعة. وعندما انفضَّ الجمع، جُلتُ في مربعَين سكنيَّين، وعدتُ إلى الفندق.

وجدت ميكي لينهان هناك، ومعه معلومات عن السيد تشارلز بروكتور دون.

وقال: «إنه الشخص الذي تنطبق عليه المزحة: «هل هو محامٍ مجرم؟» «أجل، مجرم خطير.» وكَّلَ بعضُ أفراد عائلة ألبوري، الفتى الذي رميتَه في السجن، هذا المحامي المدعو دون للدفاع عنه. ولكنْ رفض ألبوري التعاون مع المحامي حين زاره. ويبدو أن ذلك المحامي المخادع صاحب الاسم الثلاثي أوقع نفسه في مشكلة السنة الماضية؛ إذ اتُّهم في قضية ابتزاز رفعها عليه شخصٌ اسمه هيل، ولكنه استطاع التملُّص منها. وله أملاك في شارع ليبرت، ولكن لا أعرف مكان الشارع. هل تريدني أن أستمر في جمع المعلومات؟»

«يكفي هذا القدر. سنبقى هنا حتى نسمع ما لدى ديك.»

تثاءب ميكي وقال إن اقتراحي مقبول عنده، وإنه ليس ممن يُضطرون للقيام بأنشطة حتى يحافظوا على نشاطهم، وسألني إن كنت أعلم أننا أصبحنا مشهورين على صعيد البلاد.

سألته عن قصده بذلك.

قال: «قابلتُ تومي روبنز على غير موعد. فقد أرسلَته مؤسسة كونسوليديتد بريس الصحفية إلى هنا كي ينقل الأحداث. قال إن بعض المؤسسات الصحفية الأخرى، وجريدة محلية كبيرة أو نحو ذلك، ترسل مراسلين خاصين للكتابة عن القضايا التي نتناولها.»

وبينما أتذمر من أن الصحافة لا تفيد إلا في تعقيد الأمور حتى يستعصي حلها، سمعت فتًى ينادي باسمي. قال الفتى لي إنني مطلوب على الهاتف مقابل سنت أعطيته له.

جاء صوت ديك فولي:

«لقد خرجَت مباشرة من المنزل. وذهبَت إلى ٣١٠ شارع جرين. كانت الشرطة منتشرة فيه. قُتِل محامٍ اسمه دون. وأخذتها الشرطة إلى دار البلدية.»

«هل ما تزال هناك؟»

«نعم، في مكتب رئيس الشرطة.»

«ابقَ كما أنت، وائتني بأي معلومات تعرفها على الفور.»

عدت إلى ميكي لينهان وأعطيته مفتاح غرفتي والتعليمات:

«ابقَ في غرفتي. واستلم أي شيء يأتي من أجلي وأرسله لي. سأنزل في فندق «شانون» الذي يقع على مقربة من المكان، وسأنزل باسم جيه دبليو كلارك. أخبر ديك ولا تخبر أحدًا غيره.»

سأل ميكي: «ما الخطب بحق السماء؟» ولكني لم أُجِبه، فمشى بجسده الرخو نحو المصاعد.

الفصل الرابع والعشرون

مطلوب للعدالة

انطلقت إلى فندق «شانون»، وسجَّلت بياناتي المزيفة، ودفعت أجرة اليوم، وأخذوني إلى الغرفة رقم ٣٢١.

مرت ساعة قبل أن يرن الهاتف.

قال ديك فولي إنه في الطريق إليَّ.

وقد وصل في أقل من خمس دقائق. ولكن لم تكن تعابير القلق على وجهه النحيل مبشرة. ولم يكن صوته مبشرًا كذلك. قال ديك:

«صدرت أوامر القبض عليك. تهمة القتل. جريمتان؛ قتل براند ودون. اتصلت عَبْر الهاتف. قال ميكي إنه سيبقى حيث كان. وأخبرني أنك هنا. ولكن الشرطة أخذته. وتستجوبه الآن.»

«أجل، لقد توقعت هذا.»

قال بحدة: «وكذلك أنا.»

قلت ببطء:

«هل تشك في أني ارتكبت الجريمتَين يا ديك؟»

«إذا لم تكن الفاعل، فهذا هو الوقت المناسب كي تقول ذلك.»

سألتُه: «هل ستشير إليَّ بأصابع الاتهام؟»

تجهَّم وجهه. وامتُقِع لونه.

قلت:

«ارجع إلى سان فرانسيسكو يا ديك. فأنا عندي ما يكفي ولا يسعني أن أُبقي عيني عليك.»

ارتدى قبعته بعناية بالغة، وبحرص شديد قفل الباب من خلفه بعدما خرج.

في الساعة الرابعة، تناولت الغداء ودخنت السجائر، وقرأت في جريدة «إيفنينج هيرالد».

انقسمت الصفحة الأولى بين الحديث عن مقتل دينا براند ومقتل تشارلز بروكتور دون، بالإضافة إلى تعليق هيلين ألبوري الذي يربط بين الجريمتين.

قرأت أن هيلين ألبوري أخت روبرت ألبوري، وأنها مقتنعة من أعماقها بأن أخاها لم يرتكب جريمة القتل — على الرغم من اعتراف أخيها — وإنما هو ضحية مكيدة. ومن ثم وكَّلت تشارلز بروكتور دون للدفاع عنه. (وعلى حد ظني، فإن الراحل تشارلز بروكتور هو الذي سعى إليها وليست هي من سعت إليه.) بالطبع رفض الأخ أن يوكِّل دون أو أي محامٍ آخر، ولكن الفتاة (بتشجيع من دون بالتأكيد) لم تتخلَّ عن المعركة.

وحيث وجدَت هيلين ألبوري شقةً خاليةً في الجهة المقابلة لمنزل دينا براند، فقد استأجرتها ومكثت في الشقة، ومعها منظار تقريب وفكرة واحدة في خاطرها؛ وهي إثبات أن دينا ورفقاءها هم المذنبون في قتل دونالد ويلسون.

ويبدو أنني واحد من «رفقائها». وقالت جريدة «هيرالد» عني إنني «رجل يقال إنه محقق خاص من سان فرانسيسكو، وقد أتى إلى المدينة منذ عدة أيام، ويبدو أنه على علاقة وثيقة بماكس (ويسبر) ثيلر، ودانييل رولف، وأوليفر (رينو) ستاركي، ودينا براند.» ومن ثَم اعتبرتنا أصحاب المكيدة الحقيقيين، وأننا ألصقنا التهمة بروبرت ألبوري.

وفي ليلة قتل دينا، كانت هيلين ألبوري تنظر من خلال نافذة شقتها، وقد رأَتْ أشياء — على حد ما ورد في جريدة «هيرالد» — بالغةَ الأهمية، إذا ما أُخذت في الاعتبار مع ربطها باكتشاف جثة دينا بعد فترة. وبمجرد أن سمعت الفتاة عن مقتل دينا، حملت تلك المعلومة البالغة الأهمية إلى تشارلز بروكتور دون. وقد علمت الشرطة من العامل لديه أنه أرسل في طلبي من فوره، وأنه اختلى بي بعد ظهر ذلك اليوم. وأنه أخبر عامله أنه ينتظر رجوعي في صباح اليوم التالي — أي صباح اليوم — في الساعة العاشرة. ولكني لم آتِ في صباح اليوم، ولم أفِ بموعدي معه. وفي الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة، وجد حارس مبنى راتليدج بلوك جثة تشارلز بروكتور دون في زاوية تحت السلم، وكان قد فارق الحياة. وكذلك يُعتقد أن أوراقًا مهمة أُخذت من جيب الرجل الميت.

في الوقت الذي عثر فيه الحارس على المحامي ميتًا، يبدو أنني كنت عند هيلين ألبوري في شقتها، وقد دخلتُ عن غير رضًا منها وهددتُها. وبعدما نجحَت في إخراجي من المنزل، أسرعَت إلى مكتب دون، وقد وصلَت بينما كانت الشرطة موجودة وأخبرَتهم قصتها. ولما

أَرسلت الشرطة إلى الفندق الذي أقيم فيه للقبض عليَّ، لم يجدوا غير مايكل لينهان الذي عرَّف نفسه بأنه محقق خاص من سان فرانسيسكو. ولا تزال الشرطة تستجوب مايكل لينهان. وصرتُ أنا وويسبر ورينو ورولف مطارَدين من الشرطة بتهمة القتل. وكان من المتوقع حدوث تطورات مهمة.

احتوت الصفحة الثانية على نصف عمود مهم. فقد اختفى المحققان شيب وفانامان اللذان وجدا دينا براند مقتولة في ظروف غامضة. كانت الشرطة تخشى مؤامرة من جانبنا «نحن الرفقاء».

ولم يَرِد ذكر في الجريدة عن عمليات الاختطاف التي وقعت ليلة البارحة، ولا عن الإغارة على صالة بيك ماري.

* * *

خرجتُ بعدما حل الظلام. فقد أردت التواصل مع رينو.

ومن إحدى الصيدليات، هاتفت بيك في صالة البلياردو.

سألت: «هل بيك موجود؟»

أجابني صوت لا يشبه صوت بيك على الإطلاق: «أنا بيك. من المتحدث؟»

قلت مشمئزًّا: «ليليان جيش»، وأنهيت المكالمة وغادرت المنطقة.

تخليتُ عن فكرة البحث عن رينو، وقرَّرت الذهابَ إلى زبوني — إيليو العجوز — ومحاولةَ إجباره على مساعدتي، باستخدام الخطابات الغرامية التي كتبها لدينا براند، والتي سرقتُها من جثة دون.

سرت، وحرصت على البقاء في الجانب الأكثر ظُلمةً، في أحلك الشوارع ظُلمةً. وقد قطعت مسافة طويلة بالنسبة إلى رجل يلهث حين يبذل مجهودًا بدنيًّا. وحين وصلت إلى المربع السكني الذي يقطن فيه ويلسون، كنت في حالة مزاجية سيئة لا تجعلني مستعدًّا لنوعية الحوارات التي اعتدت خوضها مع ويلسون. ولكن لا يزال أمامي بعض الوقت حتى أقابله.

كنت على مسافة قريبة من منزل ويلسون حين سمعت صوتًا يهمس إليَّ.

لعل قفزتي من الفزع لم تصل إلى عشرين قدمًا.

همس الصوت: «لا بأس.»

كان المكان مظلمًا. ولما نظرت من تحت الشجيرة التي أختبئ عندها — إذ جثوت على يديَّ وركبتيَّ في الفِناء الأمامي لأحد المنازل — تبيَّنتُ ظِل رجل رابض بالقرب من سياج من جهتي.

سحبت مسدسي واستعددت. لم يكن ثمة سبب يدفعني إلى أن أطمئنَّ إلى طمأنته لي.

وقفتُ منتصبًا وذهبتُ إليه. ولما اقتربتُ منه أكثر، تعرَّفته وعلمت أنه أحد الرجلين اللذين أدخلاني إلى المنزل الكائن في شارع روني أمس.

جلست على عَقِبيَّ بجانبه وسألته:

«أين أجد رينو؟ فقد أخبرني هانك أومارا أنه يريد رؤيتي.»

«صحيح. هل تعرف مكان كيد ماكلاود؟»

«لا.»

«إنه في شارع مارتن، بعد شارع كينج، عند ناصية الزقاق. اسأل عن كيد. ارجع ثلاثة مربعات سكنية في ذلك الاتجاه، ثم إلى نهاية الشارع. ستجده بسهولة.»

قلت إنني سأبذل قصارى جهدي كي لا تفوتني الزيارة، وتركته مختبئًا خلف السياج يراقب منزل زبوني، وتوقعت أنه يراقب المكان علَّه يرى بيت الفنلندي أو ويسبر أو أيًّا من أعداء رينو الذين قد يزورون إيليو العجوز.

سرتُ حسب التوجيهات، ووصلت إلى مكانٍ تُحتسَى فيه المشروبات الغازية، وتُلعب فيه ألعاب الورق، وكان المكان كله مطليًّا باللونَين الأحمر والأصفر. سألت عن كيد ماكلاود حين دخلت. عندئذٍ اصطُحِبتُ إلى غرفة خلفية، حيث يقبع رجل سمين ذو ياقةٍ متسخة، وأسنان ذهبية كثيرة، وأذن واحدة، وقال إنه ماكلاود.

قلت: «أرسلَ رينو في طلبي، فأين أجده؟»

سأل: «ومن تكون أنت؟»

أخبرته من أكون. حينئذٍ خرج من دون أن يتفوه بكلمة. وانتظرت عشر دقائق. ثم أحضر صبيًّا معه حين عاد، فتًى في الخامسة عشرة أو نحو ذلك، وجهُه مليء بالحبوب، خاوٍ من التعبير.

قال لي كيد ماكلاود: «اذهب مع سوني.»

تبعت الفتى، وخرجنا من بابٍ جانبي، ومشينا مسافة مربعَين سكنيَّين في الشارع الخلفي، وعبرنا أرضًا رملية، ثم دخلنا من بوابةٍ مفكَّكة، وصعدنا إلى الباب الخلفي لمنزل خشبي.

طرق الفتى الباب وسُئل من يكون.

أجاب: «سوني، ومعي رجل أرسله كيد.»

فتح الباب أومارا صاحب السيقان الطويلة. مشى سوني وابتعد. وأُدخلتُ إلى مطبخ حيث يجلس رينو ستاركي وأربعة رجال آخرين حول مائدة عليها الكثير من البيرة. ورأيت مسدسَين أوتوماتيكيَّين معلَّقَين على مسمارَين أعلى الباب الذي دخلت منه. مكان المسدسَين يسهِّل على قاطني المنزل أن يصلوا إليهما، إذا فتح أحدٌ الباب ووجد عدوًّا معه سلاح، وكانوا مأمورين بفتح الباب وهم رافعون أيديَهم إلى أعلى.

صبَّ رينو كأس بيرة من أجلي، وأخذني من غرفة الطعام إلى غرفة أمامية. كان في الغرفة رجلٌ يستلقي على بطنه، ويتلصَّص بعينٍ واحدةٍ من بين الستارة المفرودة وعتبة النافذة، ويراقب الشارع.

أخبره رينو: «اخرج وأحضر لنفسك بعض البيرة.»

نهض الرجل وخرج من الغرفة. عندئذٍ استرحنا على كرسيَّين متجاورَين.

«حين رتبت حُجة الدفاع بالذهاب إلى تانر، فأنا أخبرتك أني فعلت ذلك لأني بحاجةٍ إلى جَمْع أكبر عددٍ من الأصدقاء.»

«وقد كسبتَ صديقًا.»

سأل: «هل تمكنوا من دحض حُجة الدفاع هذه؟»

«ليس بعد.»

طمأنني: «هذه الحجة ستخرجك من مأزقك، إلا لو كان لديهم أدلة كثيرة ضدك. فهل تعتقد أن لديهم هذه الأدلة؟»

أنا أعتقد ذلك بالفعل. ولكني أجبته:

«لا. ماكجرو يتسلى فقط. وهذه المسألة ستنحلُّ من تلقاء نفسها. ولكن ما وضعك؟»

أفرغ الكأس في فمه، ومسح فمه بظهر يده وقال:

«سأتدبر الأمر. ولكن هذا ما أردت رؤيتك من أجله. ومن ثَم سأبيِّن لك حقيقة الموقف. اتخذَ بيت صفَّ ماكجرو. وهذا يضعني أنا وويسبر في عداء مع الشرطة وعصابة صاحب الخمور. لكن تبًّا لهم! ولكن أنا وويسبر منشغلان بمحاولة إطاحة أحدنا بالآخر بدلًا من مناهضة هذا التحالف. ولذا فإن الموقف سيئ. وبينما نحن منشغلان بمقاتلة أحدنا الآخر، فسيستغل هؤلاء القوم الموقف لصالحهم.»

قلت إنني كنت أفكر في المسألة ذاتها. ثم أردف يقول:

«ويسبر سيستمع إليك. فهلا تبحث عنه؟ واعرض عليه هذا العرض. المسألة وما فيها أنه ينوي الانتقام مني لأني قتلت جيري هوبر، وعلى الجانب الآخر أنا أحاول التخلص منه قبل أن ينال مني. فلنُنحِّ هذا الخلاف جانبًا لبضعة أيام. وليس على أحد أن يثق بالآخر. وويسبر لا ينجز عملياته بيده على أي حال. بل إنه يرسل رجاله. وأنا سأفعل الأمر ذاته هذه المرة. إننا فقط سنوحد قوانا هذه المرة لإنقاذ موقفَينا. سيتعاون أحدنا مع الآخر ونتخلص من هذا الفنلندي اللعين، ثم سيُتاح أمامنا وقت طويل كي نسوي خلافاتنا معًا.

اعرض عليه المسألة بطريقة مباشرة. أنا لا أريده أن يظن أني أتحاشى المواجهة معه أو مع أي شخص آخر. أخبره على لساني أننا لو أزحنا بيت من طريقنا، سيُتاح لنا مزيد من الوقت لتسوية خلافاتنا معًا. وبيت يختبئ في ويسكيتاون. وأنا ليس عندي ما يكفي من الرجال كي أخرجه من جحره. ولا ويسبر لديه ما يكفي من الرجال. ولكن إن اتحدنا فسيكون لدينا ما يكفي. أبلغه ما قلته لك.»

قلت: «لقد مات ويسبر.»

قال رينو: «أحقًّا؟» وكأنه لا يصدق كلامي.

«قتله دان رولف صباح أمس في مخزن ريدمان القديم؛ فقد طعنه بمِخرَز الثلج الذي استخدمه ويسبر حين قتل الفتاة.»

سأل رينو:

«هل أنت متأكد مما تقول؟ أم إنك تتحدث من غير بيِّنة؟»

«بل أنا متأكد.»

وكأنه بدأ يصدقني، قال: «عجبًا، فلا أحد من عصابته يتصرف وكأنه قد مات.»

«إنهم لا يعلمون. فقد كان يختبئ، وكان تيد رايت هو الوحيد الذي يعرف مكانه. وقد علم تيد بأمر مقتله. فجمع أموالًا نظير ذلك. فقد أخبرني أنه حصل على مائة أو مائة وخمسين دولارًا منك بوساطة من بيك ماري.»

تذمَّر رينو: «كنت سأدفع لهذا الرجل البدين ضِعْف المبلغ من أجل معلومات موثوقة.» وحك ذقنه وهو يقول: «حسنًا، بذلك تنتهي مسألة ويسبر.»

قلت: «لا.»

«ما الذي تقصده بلا؟»

اقترحت عليه: «إن لم يكن رجاله يعرفون مكانه، فلنخبرهم. فقد فجَّروا الزنزانة من أجل أن يخرجوه حين قبض عليه نونان. فهل تظن أنهم سيعاودون الكرَّة إذا انتشرت الأخبار أن ماكجرو ألقى القبض عليه في السر؟»

قال رينو: «واصل حديثك.»

«إذا حاول رجاله أن يفجروا الزنزانة مرة أخرى ظنًّا منهم أنه بالداخل، فهذا سيشغل رجال القسم، ومنهم رجال بيت الذين الْتحقوا بالقوات الخاصة. وبينما هم منشغلون، يمكنك أن تجرب حظك في الإغارة على ويسكيتاون.»

قال متثاقلًا: «ربما ... سأحاول فعل ذلك.»

شجَّعتُه وأنا أنهض: «سوف تنجح هذه الخطة. سأراك ...»

«ابقَ في الجوار. فهذا المكان آمن مثل أي مكان آخر، في حين أنهم يبحثون عنك. كما أننا سنحتاج إلى رجل صالح يُعتمد عليه مثلك في مجموعتنا.»

لم أحب ذلك كثيرًا. وأعلم جيدًا أنه لا ينبغي أن أقول ذلك. ولذا جلست.

انشغل رينو في الترويج للشائعة. فقد استُخدم الهاتف كثيرًا في تلك الفترة. وظل باب المطبخ يُفتح ويُغلق من كثرة الداخلين والخارجين. وكان الوافدون أكثر من الخارجين. وقد امتلأ المنزل بالرجال والدخان والجَلَبة.

الفصل الخامس والعشرون

ويسكيتاون

في الساعة الواحدة والنصف، عاد رينو بعد الرد على مكالمة هاتفية وقال:

«هيا إلى السيارة.»

صعد رينو إلى الطابق العلوي. وحين نزل، كان يحمل حقيبة سوداء. وحينئذٍ، أصبح معظم الرجال خارج باب المطبخ.

أعطاني رينو الحقيبة السوداء وقال:

«لا تحرِّكها كثيرًا.»

كانت الحقيبة ثقيلة.

خرج سبعتنا الباقون في المنزل من الباب الأمامي، وركبنا سيارة ذات ستائر أوقفها أومارا بجانب الرصيف. جلس رينو بجانب أومارا. أما أنا فقد حُشِرت بين الرجال في المقعد الخلفي، والحقيبة محشورة بين ساقيَّ.

خرجت سيارة أخرى من أول شارع متقاطع وسارت أمامنا. ثم تبعتنا سيارة ثالثة من خلفنا. مشت السيارات بسرعة أربعين ميلًا في الساعة تقريبًا، وهذه السرعة مناسبة لتوصلنا إلى وجهتنا، ولئلا تلفت الانتباه إلينا.

بلغنا وجهتنا قبل أن يصيبنا العناء.

بدأ الاشتباك في مربع سكني منازله مكونة من طابق واحد تتخذ شكل الأكواخ، ويقع على الطرَف الجنوبي للمدينة.

اشرأبَّ رجل برأسه من الباب، ووضع أصابعه في فمه وأصدر صفيرًا عاليًا.

ولكنَّ شخصًا ما من السيارة التي خلفنا أصابه برصاصة.

وعند الناصية التالية، ركضنا وسط وابلٍ من الرصاص. الْتفتَ رينو كي يقول لي:

«إن أصابوا الحقيبة، فسنصبح في خبر كان. افتح الحقيبة. علينا أن نتحلّى بسرعة التصرف حين نصل.»

تمكَّنت من فَتْح قفل الحقيبة قُبَيل أن نركن على الرصيف أمام مبنًى حجري مظلم، مكوَّن من ثلاثة طوابق.

تدافع الرجال فوقي، وفتحوا الحقيبة وأفرغوا محتوياتها بأنفسهم، وكانت عبارة عن قنابل مصنوعة من قطع أنبوبية صغيرة بقُطر بوصتَين، موضوعة في نشارة خشبٍ بداخل الحقيبة. وقد مزَّق الرصاص ستائر السيارة.

أخذ رينو إحدى القنابل وقفز إلى الرصيف، ولم يأبهْ لسيل الدم الذي ظهر فجأة في وسط خده الأيسر، ورمى القنبلة على باب المبنى الحجري.

اشتعل لسان لهب، تبعَته ضوضاء تصم الآذان. وانهال علينا الحطام كُتلًا، فحاولنا ألَّا نسقط أرضًا من جراء الانفجار. ومن ثَم لم يعُد هناك باب يمنع أحدًا من الدخول إلى المبنى ذي الطوب الأحمر.

انطلق رجل راكضًا ورمى قنبلة عبر الباب. أدَّى الانفجار إلى خَلْع المصاريع من نوافذ الطابق الأرضي، وإلى اندلاع النيران، وتطايُر شظايا الزجاج.

وقفَت السيارة التي أتت خلفنا على أول الشارع، وتبادلت إطلاق النار مع الموجودين في المناطق القريبة. وأما السيارة التي سارت أمامنا فانعطفت في شارع جانبي. وعلمنا من الأعيرة النارية التي تطايرت من خلف المبنى الحجري في الفترات الفاصلة بين انفجار القنابل؛ أن السيارة التي أمامنا كانت تتولى أمر الباب الخلفي.

وقف أومارا في منتصف الشارع، ثم انحنى بجسده راميًا قنبلة على سطح المبنى الحجري. لكن القنبلة لم تنفجر. رفع أومارا إحدى قدميه عاليًا وأمسك حلقه وخرَّ على ظهره مرتطمًا بالأرض.

سقط فرد آخر من رجالنا تحت وابل الرصاص المنهال علينا من المبنى الخشبي المجاور للمبنى الحجري.

أطلق رينو السِّباب بحسٍّ متبلِّد، ثم قال:

«احرقهم يا فات.»

بصق فات على قنبلة، وركض ملتفًّا من خلف سيارتنا ورماها.

نهضنا عن الرصيف والشظايا تتطاير من حولنا، ورأينا أن المنزل الخشبي قد دُمِّر، وألسنة اللهب تتصاعد على حوافِّه المدمرة.

سأل رينو، ونحن نستكشف الأجواء من حولنا، وننعم بتوقف إطلاق النار علينا: «هل تبقَّت أي قنابل؟»

قال فات وهو يمسك بقنبلة: «هذه آخر واحدة.»

تراقصت ألسنة اللهب من داخل النوافذ في الطابق العلوي من المنزل الحجري. نظر رينو إليها وأخذ القنبلة من فات وقال:

«تراجعوا. فإنهم سيبدءون الخروج.»

ابتعدنا عن واجهة المنزل.

صاح صوت من داخل المنزل:

«رينو!»

تسلل رينو واختبأ خلف سيارتنا قبل أن يصيح مجيبًا:

«ماذا تريد؟»

صاح صوت غليظ: «لقد انتهى الأمر. إنَّا خارجون. فلا تطلق النيران.»

سأل رينو: «ومن أنتم؟»

«أحقًّا؟»

قال الصوت الغليظ: «أنا بيت. لم يتبقَّ سوى أربعة رجال.»

أمره رينو: «تخرجُ أنت أولًا واضعًا يدَيك فوق رأسك. ثم يخرج الباقون من بعدك واحدًا تلو الآخر. وينتظر التالي نصف دقيقة بعد خروج الأول. هيا.»

انتظرنا لحظات، ثم رأينا بيت الفنلندي في المدخل المقصوف بالديناميت، واضعًا يديه فوق رأسه. وفي وهج المنزل المجاور المشتعل، رأينا جرحًا في وجهه، وأن ملابسه قد تمزقت كلها تقريبًا.

تقدَّم بائع الخمور من فوق الحطام، فخرج ببطءٍ ونزل السلم، ثم إلى الرصيف.

نعتَه رينو بالثعبان القذر، ورماه بأربع رصاصات في الوجهِ وأنحاءٍ من جسمه.

حينئذٍ سقط بيت. وضحك رجل من خلفي.

رمى رينو القنبلة المتبقية في مدخل المنزل.

تزاحمنا إلى السيارة. وجلس رينو في مقعد القائد. ولكنه وجد المحرك معطَّلًا. فقد وصل إليه الرصاص وأصابه.

ضغط رينو على البوق وخرج بقيتنا من السيارة.

أتت إلينا السيارة التي كانت تقف على ناصية الشارع. وبينما ننتظر وصولها، نظرتُ يمنةً ويسرةً في الشارع المضاء بلهب المباني المحترقة. رأيت بعض الوجوه في النوافذ، ولكن كل من كان بجانبنا في الشارع قد اختبأ. وعلى مسافة ليست ببعيدة، سمعت إنذارات الحريق.

أبطأت السيارة الأخرى حتى نركب. لكنها كانت ممتلئة بالرجال بالفعل. ركبنا فوق بعض، وتشبَّث الباقون واقفين على الألواح الجانبية.

دهسْنا ساقَيْ هانك أومارا الميت وتوجهنا إلى المنزل. قطعنا مسافة مربع سكني في أمان، حتى وإن لم يكن الركوب مريحًا. لكن بعد ذلك لم يعد الطريق آمنًا ولا الركوب مريحًا.

إذ انعطفت سيارة ليموزين إلى الشارع أمامنا، وقطعت مسافة نصف مربع سكني نحونا، ووقفت بعرض الطريق. وانهال الرصاص من ذلك الجانب.

ناورت سيارة أخرى من جانب الليموزين واندفعت نحونا. ومن هذه السيارة، انهال علينا الرصاص.

بذلنا قصارى جهدنا، ولكنَّا كنا مضغوطين بعضنا إلى بعض أكثر من أن نستطيع أن نقاتل جيدًا. فالتصويب المباشر غير ممكنٍ وشخصٌ ما يجلس في حجرك، وآخر يتعلق على كتفك، وآخر يطلق الرصاص من مسافة قريبة للغاية خلف أذنك.

أتت سيارتنا الأخرى التي كانت واقفة في الشارع الخلفي للمنزل إلينا، ومدَّت لنا يد المساعدة. ولكن حينها انضمت سيارتان أخريان إلى الخصم. من الواضح أن هجوم عصابة ثيلر على السجن قد انتهى، وبطريقة أو بأخرى، فإن جيش بيت — الذي أُرسلَ للمساعدة — قد عاد في الوقت المناسب كي يفسد هروبنا. كانت الفوضى عارمة.

مِلتُ من فوق مسدس يخرج منه دخان وصحتُ في أذن رينو:

«موقفنا بهذا الوضع سيئ. فليترجَّل العدد الزائد من السيارة ويتبادل إطلاق النار من الشارع.»

رأى أنها فكرة حكيمة؛ ومن ثَم أعطى أوامره:

«على بعضكم أن يترجَّل أيها الرجال ويتعامل معهم من خارج السيارة.»

كنتُ أول المترجِّلين، وعيني على مدخل زقاق مظلم.

تبعني فات إلى ذلك الزقاق. وفي مخبئي، الْتفتُّ إليه متذمرًا:

«لا تأتِ إلى مخبئي. بل اختر لنفسك مخبأً. يبدو ذلك القبو جيدًا.»

وافقني وانطلق نحوه، ولكنه أُصيبَ برصاصة وهو يخطو خطوته الثالثة.

استكشفت الزقاق الذي أقف فيه. كان طوله لا يتجاوز عشرين قدمًا، وفي نهايته سياج خشبي عالٍ به بوابة مقفلة.

ساعدتني حاوية قمامة على أن أقفز من فوق البوابة إلى فِناء مرصوف بالطوب. ومن السياج الجانبي لذلك الفناء، قفزت إلى فناء آخر، ومن الآخر دخلت إلى فناء ثالث، حيث نبح عليَّ كلب من فصيلة فوكس ترير فأثار فزعي.

رفست الكلب من طريقي، وعبرت السياج المقابل، وخلصت نفسي من حبل لنشر الملابس المغسولة، وعبرت فناءين آخرين، وقد صاح أحدهم فيَّ من إحدى النوافذ، ورُميَت عليَّ زجاجة، ولكني وصلت إلى شارعٍ خلفي مرصوفٍ بالحصى.

كان تبادل إطلاق النار خلفي، ولكنه ليس ببعيد كفاية. وقد فعلت ما بوسعي لأزيد تلك المسافة. لا شك أني مشيت شوارع بعدد الشوارع التي مشيتها في الحلم الذي راودني ليلة قُتلَت دينا.

ولما نظرت إلى الساعة حين وقفت على أعتاب منزل إيليو ويلسون، كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا.

الفصل السادس والعشرون

ابتزاز

اضطُررت إلى الضغط على جرس منزل زبوني كثيرًا قبل أن أتلقى أي إجابة.

فتح السائق الطويل المسفوع البابَ أخيرًا. كان يرتدي قميصًا داخليًّا وسروالًا، ويمسك بعصا بلياردو.

سأل: «ماذا تريد؟» وحين نظر إليَّ مرة أخرى سأل: «أهذا أنت؟ حسنًا، ماذا تريد؟»

«أريد رؤية السيد ويلسون.»

«في الساعة الرابعة صباحًا؟ اغرب عن هنا»، وبدأ يغلق الباب.

وضعت قدمي أمام الباب كي لا يغلقه. أخذ يرمقني من أَخمَص قدمي إلى وجهي، ورفع عصا البلياردو، وسأل:

«هل تريد كسر ركبتك؟»

أصررت: «أنا لا أمزح. يجب أن أرى الرجل العجوز. أخبره بقدومي.»

«لا حاجة إلى إخباره. فقد قال لي بعد ظهر اليوم إنه لا يريد رؤيتك إن أتيت لزيارته.»

«أحقًّا؟» أخرجت الخطابات الغرامية الأربعة من جيبي، واخترت منها أول خطاب؛ حيث إنه أقلهم سخافة وحماقة، ومددت يدي إلى السائق وقلت: «أعطه هذا وأخبره أني أجلس على السلم ومعي بقية الخطابات. أخبره أني سأجلس هنا لمدة خمس دقائق، ثم سأحمل بقية الخطابات إلى تومي روبنز لدى مؤسسة كونسوليديتد بريس.»

عبس السائق حين رأى الخطاب وقال: «اللعنة على تومي روبنز وعلى مؤسسته العمياء!» وأخذ الخطاب وأغلق الباب.

بعد أربع دقائق، فتح الباب وقال:

«إنه ينتظرك بالداخل.»

تبعته إلى الطابق العلوي إلى غرفة نوم إيليو العجوز.

اعتدل زبوني جالسًا على السرير وخطابه الغرامي مسحوق في إحدى يديه الورديتين، والظرف في اليد الأخرى.

كان شعره الأبيض القصير لامعًا. وعيناه المستديرتان حمراوَان بقدر ما هما زرقاوان. وكادت التجاعيد المتوازية في فمه وذقنه أن تتلامس. كما أنه كان في مزاج حاد.

فبمجرد أن رآني صاح:

«إذن، بعد كل الكلام الجريء لم تجد بدًّا من العودة إلى القرصان العجوز كي تنقذ رقبتك، أليس كذلك؟»

أخبرته أني لا أريد شيئًا مما يقول. وقلت إن كان سيتلفظ بالحماقات، فعليه أن يخفض صوته حتى لا يسمعه أهل لوس أنجلوس ويعلموا حماقاته.

جأر العجوز مرة أخرى:

«لأنك سرقت خطابًا أو خطابين لا يخُصَّانك، فلا تظن أنك ...»

سددت أذنيَّ بإصبعيَّ. وعلى الرغم من أن هذه الحركة لم تحجب صياحه، فإنها أهانَته وأجبرَته على قطع هذا الصياح.

أخرجت إصبعيَّ وقلت:

«مُرِ الخادم أن يتركنا وحدنا لنتحدث. لن تكون بحاجة إليه. فأنا لا أنوي إيذاءك.»

قال للسائق: «اتركنا وحدنا.»

تركنا السائق وهو ينظر إليَّ شزْرًا، وأغلق الباب.

ضغط عليَّ إيليو العجوز وأصرَّ على أن أسلِّمه باقي الخطابات على الفور، وصاح بأسلوب فظٍّ يسأل أين وجدت هذه الخطابات، وما الذي كنت أفعله بها، وتوعَّدني بعدة تهديدات، وانهال عليَّ بسيلٍ من الشتائم.

لم أسلمه الخطابات. قلت:

«أخذتها من الرجل الذي استأجرته كي يعيدها لك. ولكن لسوء حظك أنه اضطُر إلى قتل الفتاة.»

سكت عن إيليو الغضبُ، وصار وجهه بلونه الطبيعي المشرب حمرة. ومطّ شفتيه ورمقني بعينيه، ثم قال:

«هل ستعرض الأمر بهذه الطريقة؟»

كان صوته هادئًا نسبيًّا، خارجًا من أعماق صدره. وقد أعدَّ نفسه للمواجهة.

سحبت كرسيًّا بجانب السرير وجلست، وحاولت أن أرسم ابتسامة مرحة على شفتيَّ، وقلت:

«إنها إحدى الطرق.»

راح يراقبني وهو يعضُّ على شفتيه دون أن يتفوه بكلمة. فقلت:

«أنت أقذر زبون مر عليَّ. ما الذي تفعله؟ تستأجرني لتطهير المدينة، وتغير رأيك، وتنزع يدك، وتحوك الألاعيب ضدي، حتى إذا ما بدأت أصير صاحب اليد العليا، أصابك التردد، والآن حين علمتَ أني بدأت أخسر مرة أخرى، لا تريد حتى أن تفتح لي باب منزلك. لقد حالفني الحظ حين وقعَت هذه الخطابات في يدي.»

قال: «أنت تبتزني.»

ضحكت وقلت:

«أنت آخر من يتحدث عن الابتزاز. ولكن حسنًا، سمِّه ابتزازًا.» نقرت على حرف السرير بالسبابة. «أنا لم أخسر أيها العجوز. بل أنا الفائز. لقد أتيتني تبكي لأن بعض الأشقياء استولَوا على مدينتك الصغيرة وأخذوها من يديك. بيت الفنلندي وليو يارد وويسبر ثيلر ونونان. قل لي أين هم الآن؟

مات يارد صباح يوم الثلاثاء، ومات نونان مساء اليوم ذاته، ومات ويسبر صباح يوم الأربعاء، ومات الفنلندي قبل وقت قصير. أنا أعيد لك مدينتك، سواء رضيت أم أبَيت. وإذا كنت تسمي هذا ابتزازًا، فليكن ابتزازًا. والآن، سأملي عليك ما ستفعله. ستزور العمدة، فلهذه المدينة القميئة عمدة حسب ما أعتقد، وستتصلان بحاكم الولاية ... اهدأ حتى أنتهي.

ستخبر الحاكم أن شرطة مدينتك خرجت عن السيطرة، وأن مُهرِّبي الخمور وُظِّفوا بين أفراد الشرطة، وغير ذلك من الأخبار. كذلك ستطلب منه المساعدة ... والأفضل أن يبعث الحرس الوطني. أنا لا أعلم إلامَ ستَئول مختلف الاضطرابات في المدينة، ولكن ما أعلمه جيدًا أن زعماء العصابات — الذين كنت تخشاهم — قد ماتوا. هؤلاء الرجال الذين قيدوك بما

يُدينك لدرجة أنك لم تستطع مجابهتهم. ثمة كثرة من الصغار يبذلون ما في وسعهم من أجل أن يأخذوا أماكن الذين ماتوا. وكلما زاد عددهم، كان ذلك أفضل. فهذا سيسهِّل على أصحاب النفوذ أن يضعوا أيديهم على مقاليد الأمور في وسط هذه الفوضى. ولا أظن أن من سيَخلُفون الذين ماتوا سيكون تحت أيديهم ما يضرونك به.

ستأمر العمدة أو الحاكم، أيًّا كان المسئول، أن يعلق عمل قسم الشرطة كاملًا في بيرسونفيل، وأن يجعل القوات من خارج المدينة تتولى شئون القسم حتى تتمكن من تنظيم قوات أخرى. لقد علمت أن العمدة والحاكم يطيعان أوامرك. ومن ثَم سيفعلان ما تمليه عليهما. وهذا ما ستخبرهم به. يمكنك القيام بهذه الخطوة وعليك أن تقوم بها.

عندئذٍ ستستعيد قبضتك على المدينة، وستكون هادئة ومستقرة، وستتمكن من الإفساد فيها ثانية. إن لم تفعل ما قلت لك، فسأوزع خطاباتك الغرامية تلك على أصحاب الصحافة الصفراء، ولا أقصد هنا العاملين في جريدة هيرالد التي تملكها، بل أقصد المؤسسات الصحفية الأخرى. لقد حصلت على هذه الخطابات من المحامي دون. ستستمتع للغاية وأنت تحاول إثبات أنك لم تستأجره من أجل أن يعيدها لك، وأنه لم يقتل الفتاة وهو يسرقها. ولكن هذا لن يضاهي الاستمتاع الذي سيحظى به الناس وهم يقرءون هذه الخطابات. فالخطابات ملتهبة بالمشاعر. وأنا لم أضحك بهذه الطريقة على شيء منذ فترة طويلة.»

هنا، سكتُّ عن الكلام.

كان الرجل العجوز يرتعش، ولكنه لم يكن يرتعش خوفًا. فقد استشاط وجهه غضبًا مرة أخرى. ومن ثَم تحدث مزمجرًا:

«انشرها لا يهمني، عليك اللعنة!»

أخرجتها من جيبي وأسقطتها على سريره ونهضت عن الكرسي، وارتديت قبعتي وقلت:

«سيسرُّني كثيرًا إن صدَّقت أن الفتاة قتلها شخص أرسلتَه كي يستعيد الخطابات منها. أقسم أني أرغب كثيرًا في أن أنهي هذا العمل بإرسالك إلى حبل المشنقة!»

لم يلمس العجوز الخطابات. وقال:

«هل حقًّا مات كلٌّ من ثيلر وبيت؟»

«أجل. ولكن ما الفرق الذي سيحدثه هذا؟ فلن يحدث شيء إلا أن يأتي شخص آخر ويتحكم بك.»

أزاح الغطاء عنه، وأنزل ساقَيه المكتنزتين في المنامة وقدميه المشربتين حمرة، عن حافة السرير.

وسأل غاضبًا: «هل لديك الشجاعة أن تقبل الوظيفة التي عرضتها عليك من قبل، أعني أن تكون قائدًا للشرطة؟»

«لا. لقد فقدت شجاعتي في القتال بدلًا عنك، وأنت تختبئ في سريرك وتفكر في حيل جديدة تتبرأ بها مني وتتخلى بها عني. جِد لك راعيًا آخر يتولى شئونك.»

حملق فيَّ. ثم تكوَّنت تجاعيد تنم عن عمق التفكير حول عينيه. أومأ برأسه المشتعل بالشيب وقال:

«أنت خائف من تولي المنصب. هل قتلت الفتاة إذن؟»

تركته مثلما تركته في المرة الأخيرة إذ قلت له: «اذهب إلى الجحيم!» وخرجت. لم يزل السائق ممسكًا بعصا البلياردو وينظر إليَّ شزرًا؛ إذ قابلني في الطابق الأرضي وسار معي إلى الباب، وكأنه يتمنى أن أبادره بفعل ما. ولكني لم أفعل. ومن ثم أغلق الباب بقوة بعدما خرجت.

* * *

بدأ الظلام في الشارع يتبدد بنور الصبح.

وقد وقفت سيارة رياضية سوداء أعلى الشارع تحت بعض الأشجار. لم أستطع أن أتبيَّن إن كان أحد بداخلها أم لا. ولذا توخيت الحذر ومشيت في الجهة المقابلة. فتحركت السيارة الرياضية خلفي.

لا فائدة من الجري في الشوارع حين تلاحقك سيارة ما. ولذا توقفت وتوجهت إليها بوجهي. أتت السيارة نحوي. ثم أبعدت يدي عن جانبي حين رأيت وجه ميكي لينهان الأحمر من الزجاج الأمامي.

فتح الباب لي كي أركب.

حين جلست بجانبه، قال: «علمت أنك ربما تأتي إلى هنا، ولكني تأخرت ثانية أو ثانيتَين. فقد رأيتك حين دخلت، ولكن كانت بيننا مسافة طويلة ولم أتمكن من اللحاق بك.»

سألته: «إلامَ أَفضى مكوثك عند الشرطة؟ الأفضل أن تستمر في القيادة ونحن نتحدث.»

«قلت إني لا أعرف شيئًا، ولا أتوقع شيئًا، وليست لديَّ فكرةٌ عما تقوم به من عمل هنا، أنا فقط نزلت المدينة وقابلتك بالصدفة. ونحن مجرد صديقَين قديمَين ... لقد اتبعت هذا الأسلوب في تحقيقهم معي. كانوا عاكفين على التحقيق معي حين اندلعت أعمال الشغب. ومن ثَم أدخلوني إلى أحد المكاتب الصغيرة المواجِهة لقاعة الاجتماعات. وحين بدأ الهرج والمرج، هربت من شباك خلفي.»

سألته: «وكيف انتهى الهرج والمرج؟»

«أذاقت الشرطةُ المشاغبين الويلَ. فقد تلقَّت معلومةً بقدومهم قبل أن يصلوا بنصف ساعة؛ ومن ثَم انتشرَت قوات الشرطة الخاصة في المنطقة. ويبدو أن القتال ظلَّ ضاريًا حتى نهايته، ولم يكن سهلًا على الشرطة كذلك. وسمعت أن المشاغبين هم عصابة ويسبر.»

«أجل. اقتتل رينو وبيت الفنلندي هذه الليلة. فهل سمعتَ شيئًا عن هذا؟»

«لم أسمع غير أنهما اشتبكا.»

«رينو قتل بيت، ولكنه وقع في فخ وهو يحاول الهرب. ولا أعلم ماذا حدث بعد ذلك. هل رأيت ديك؟»

«ذهبت إلى الفندق وأخبروني أنه غادر الفندق كي يلحق بقطار المساء.»

أوضحت له: «لقد أرسلته إلى سان فرانسيسكو مرة أخرى. يبدو أنه يشك في أني قتلت دينا براند. وكان يضغط على أعصابي.»

«وهل فعلت؟»

«هل تسأل إن كنت قتلتها بالفعل؟ أنا لا أعلم يا ميكي. وأحاول أن أعرف. فهل تريد أن تصاحبني في رحلة البحث، أم تريد فقط أن تلحق بديك وتعود إلى سان فرانسيسكو؟»

قال ميكي:

«لا تعتدَّ كثيرًا بشأن جريمة قتل خرقاء ربما لم تقع. ولكن ما الذي حدث؟ فأنت تعلم أنك لم تسرق أموالها ولا أشياءها الثمينة.»

«وكذلك لم يفعل القاتل. فقد كانت موجودة هناك لِما بعد الثامنة من صباح ذلك اليوم، أي حين غادرت أنا. ودخل دان رولف وخرج في الفترة بين الثامنة والتاسعة. ولا يُحتمل أنه سرقها. بل ... لقد فهمت الآن! وصل الشرطيان اللذان وجدا الفتاة ميتة — شيب وفانامان — إلى هناك في الساعة التاسعة والنصف. وبالإضافة إلى المجوهرات والمال، فقد أُخذَت — لا

بدَّ من أنها قد أَخذَت — بعض الخطابات التي كتبها ويلسون العجوز إلى الفتاة. فقد وجدتها في جيب المحامي دون فيما بعد. وهذان الرجلان اختفيا في ذلك الوقت تقريبًا. هل فهمت الآن؟

لما وجد شيب وفانامان الفتاة ميتة، نهبا المكان قبل أن ينشرا الخبر. وبما أن ويلسون العجوز مليونير، فإن خطاباته ثمينة في نظرهما؛ ومن ثم أخذاها مع الأشياء القيمة الأخرى وقد سلَّماها — أعني الخطابات — إلى محام مجرد من المبادئ كي يبيعها مرة أخرى إلى إيليو. ولكن قُتل المحامي قبل أن ينجز هذا. وأَنا أخذت الخطابات. وسواء علم شيب وفانامان أم لم يعلما أن الخطابات لم تكن في حوزة القتيل، فقد تملَّكهما الذعر. فقد خشيا أن تُلصَق سرقة الخطابات بهما. كما أنهما يحوزان المال والمجوهرات. ولذلك هربا.»

وافقني ميكي: «تحليل منطقي، ولكنه لا يشير بأصابع الاتهام بالقتل إلى أحد بعد.»

«ولكنه ينير الطريق أمامنا بعض الشيء. وسنحاول أن ننيره أكثر. اذهب وابحث عن مخزن قديم اسمه ريدمان في شارع بورتر. بناءً على ما فهمت، قتل رولف ويسبر هناك؛ فقد ذهب إليه وطعنه بمخرز الثلج الذي وجده مغروسًا في جسد الفتاة. وإن كان فعلها، فإن ويسبر لم يقتلها. وإلا توقَّع شيئًا من هذا القبيل، وما ترك فرصةً للمسلول أن يقترب منه. أريد العثور على جثتَيهما لأفحصهما.»

قال ميكي: «يقع شارع بورتر بعد شارع كينج. وسنبدأ البحث من الطرف الجنوبي منه. فهو أقرب، والأرجح أن تكون فيه المخازن. برأيك، أين هو موضع رولف من هذا؟»

«ضمن دائرة المستبعَدين. في حالة أنه قتل ويسبر انتقامًا لقتل الفتاة، فهذا يضعه ضمن دائرة المستبعدين. إضافةً إلى هذا، أُصيبت دينا بكدمات في رسغها وخدها، وهو لم يكن يملك من القوة ما يكفي لإيذائها. أرى أنه ترك المستشفى وقضى الليل في مكان غير معلوم، ثم ذهب إلى منزل الفتاة فدخله بمفتاحه بعدما غادرتُه في ذلك الصباح، ووجدها ميتة وقرر أن ويسبر هو القاتل؛ ومن ثم أخرج المخرز منها وذهب يبحث عن ويسبر.»

قال ميكي: «صحيح. إذن ما الذي يجعلك تظن أنك ربما تكون الفاعل؟»

قلت متذمرًا ونحن ننعطف إلى شارع بورتر: «اصمت. لنبحث عن المخزن المنشود.»

الفصل السابع والعشرون

المخازن

سرنا بالسيارة في الشارع تتحرك أعيننا في الأرجاء، ونتصيد المباني التي تشبه المخازن المهجورة. فقد انبلج ضوء النهار الآن وأصبحت الرؤية واضحة.

لم يمر وقت طويل حتى وقعت عيني على مبنًى كبير مربع الشكل، لونه أحمر من الصدأ، في وسط أرض عشبية. ويوحي مشهد المبنى والأرض أنهما مهجوران. ومن ثم فقد ارتأيت أنه ربما المخزن المنشود.

قلت: «توقف عند الناصية التالية. يبدو أن ذلك المخزن هو ما نطلب. ابقَ أنت في السيارة وسأتفقد أنا المكان.»

مشيت مسافة بنايتَين إضافيَّتَين حتى أدخل المبنى من جهة الخلف. قطعت المسافة حذِرًا، لم أكن أتسلَّل ولكني تحاشيت أن أُحدِث صوتًا قدر المستطاع.

حاولت الدخول من الباب الخلفي حذِرًا. لكني وجدته مقفلًا بالطبع. انتقلت إلى إحدى النوافذ وحاولت أن أنظر بالداخل، ولكن لم أتبيَّن شيئًا بسبب الظلمة والأوساخ، وحاولت فتحها ولكني لم أستطع تحريكها.

انتقلت إلى النافذة التالية ولكن لم تختلف النتيجة. دُرت حول زاوية المبنى، وبدأت أتنقل بطول جانبه الشمالي. لم أستطع فتح النافذة الأولى. أما النافذة الثانية فتحركت قليلًا بعدما دفعتها، ولم تُحدِث ضوضاء شديدة.

وعلى الإطار الداخلي للنافذة، كان ثمة ألواحٌ مثبَّتة بالمسامير من أعلاه إلى أسفله. ولكن بدَت الألواح ثابتةً وقويةً من محل وقوفي.

أطلقت السِّباب، ولكني تذكرت أن النافذة لم تُحدِث ضوضاء حين حاولت رفعها، ورجوت أن يَحدُث مع الألواح الأمر ذاته. تسلَّقتُ إلى عتبة النافذة، ووضعت يدي على الألواح وحاولت دفعها برفق.

وقد استجابت.

حينئذٍ دفعت بقوة أكبر. انخلعت الألواح الخشبية من الجانب الأيسر للإطار، وظهر صفٌّ من أطراف المسامير المدبَّبة اللامعة.

دفعتها إلى الوراء أكثر، ونظرت منها ولكني لم أرَ شيئًا غير الظلام، ولم أسمع صوتًا.

أمسكت مسدسي في يدي اليمنى، وقفزت من فوق العتبة ودخلت إلى المبنى. مشيتُ خطوةً أخرى جهة اليسار، بحيث خرجت من الضوء الخافت الداخل من النافذة.

نقلت المسدس ليدي اليسرى، واستخدمت يدي اليمنى في دفع الألواح لإعادتها في إطار النافذة.

أرهفت سمعي لمدَّة دقيقةٍ كاملة ولكني لم أسمع صوتًا. ثم ألصقت ذراعي الممسكة بالمسدس بجنبي وبدأت أستكشف المكان. لم تتلمَّس قدمي شيئًا تحتها غير الأرض وأنا أتقدم حذِرًا. ويدي اليسرى التي رحت أتحسس بها الطريق لم تلمس شيئًا، وذلك إلى أن لمست جدارًا صُلبًا. يبدو أنني عبرت غرفة فارغة.

مشيت بطول الجدار وأنا أتلمَّس طريقي نحو أي باب. وبعد ست خطوات من خطواتي القصيرة، وصلت إلى واحد. مِلتُ ووضعت أذني على الباب، ولكن لم أسمع أي صوت.

أتت يدي على المقبض، ولففتُه برفق ودفعت الباب بهدوء.

سمعتُ حفيف شيء ما.

فعلت أربعة أشياء في آن واحد؛ تركت المقبض وقفزت وسحبت الزناد وضربت ذراعي اليسرى بشيءٍ صلب ثقيل يُشبه شاهد القبر.

لم تُرِني شرارة مسدسي شيئًا. إنك لا ترى شيئًا من شرارة المسدس، على الرغم من أنك يمكن أن تتوهم رؤية أشياء. ولما لم أعرف ما يجدر بي فعله غير ذلك، أطلقت رصاصةً أخرى ثم رصاصةً ثالثة.

توسل صوت رجل عجوز:

«لا تفعل يا صديقي. أنت لستَ مضطرًّا إلى ذلك.»

قلت: «أنِر شيئًا.»

خشخش عود ثقاب على الأرض فاشتعل وخرج منه ضوء أصفر وامض، وكشف عن وجه مضروب. كان الوجه لرجل عجوز ملامحه غير واضحة، وكأنه من المشردين. وجدته جالسًا على الأرض وساقاه النحيلتان مفرودتان على الأرض. ولكن يبدو أنه ليس مصابًا بجروح. وكان ثمَّة ساق طاولة بجانبه.

أمرته: «انهض وأضِئ نورًا، واجعل عود الثقاب مشتعلًا حتى تضيء الأنوار.»

أشعل عود ثقاب آخر، ووقاه بيده وهو ينهض لئلا ينطفئ، وعبر الغرفة وأشعل شمعةً على طاولةٍ ذات ثلاث قوائم.

تبعته وظللت على مسافة قريبة منه. ولولا تنميل ذراعي اليسرى، لأمسكته لغرض السلامة.

حين اشتعلت الشمعة، سألته: «ما الذي تفعله هنا؟»

لم أكن في حاجة لإجابته. إذ كان أحد أطراف الغرفة يعجُّ بالصناديق الخشبية المكدَّسة بارتفاع ستة صناديق، وعليها العلامة التجارية «بيرفيكشن لشراب القَيقَب».

بدأ العجوز يوضح أنه لا يعلم شيئًا عن أمر تلك الصناديق ويُشهِد الله على ذلك، وأن كل ما يعلمه أن رجلًا اسمه بيتس استأجره منذ يومَين كي يعمل حارسًا ليليًّا، وإذا كان هناك أيُّ خطأ فهو بريءٌ منه براءة الذئب من دم يوسف، وعندئذٍ فتحت أحد الصناديق.

رأيتُ الزجاجات بداخله عليها ملصقات ويسكي كانيديان كلاب، ويبدو أنها طُبعت بخاتم مطاطي.

تركت الصناديق وسُقت العجوز أمامي ومعه الشمعة كي أفتش المبنى. ولكن كما توقعت، لم أعثر على دليلٍ على أن هذا هو المخزن الذي سبق أن استخدمه ويسبر.

حينما رجعنا إلى الغرفة التي فيها الخمور، زال التنميل عن ذراعي اليسرى بحيث استطعت أن أرفع زجاجة. وضعتها في جيبي ونصحت العجوز قائلًا:

«خير لك أن تغادر. فقد وُظِّفتَ كي تحلَّ محل بعض الرجال الذين ضمَّهم بِيت الفنلندي إلى قوات الشرطة الخاصة. ولكن بِيت مات وقد ذهب مخططه أدراج الرياح.»

حين تسلقت كي أخرج من النافذة، وقف العجوز أمام الصناديق وهو ينظر إليها بعينَين ملؤهما الطمع، ويعدُّ على أصابعه.

* * *

سأل ميكي حين عدتُ إليه في سيارته الرياضية: «ماذا وجدتَ؟»

أخرجت الزجاجة وبها مشروب لا يمتُّ بصلة إلى ويسكي كانيديان كلاب، وسحبت السدَّادة وأعطيته الزجاجة واحتسيت رشفةً منها.

سأل مرة أخرى: «ماذا وجدت؟»

قلت: «لنحاول العثور على مخزن ريدمان القديم.»

قال: «موتك أهون عليك من أن تقول معلومات كافية»، وبدأ يتحرك بالسيارة.

بعد ثلاث بنايات في الشارع، رأينا لافتةً باهتةً مكتوبًا عليها «ريدمان وشركاه». كان المبنى أسفل اللافتة طويلًا منخفض الارتفاع ضيقًا، وله سقف من الصاج المتعرج، وبضع نوافذ.

قلت: «سنترك السيارة عند الناصية. وستذهب معي هذه المرة. فأنا لم أجد مرحًا كثيرًا لما ذهبت بمفردي المرة الأخيرة.»

حين ترجَّلنا من السيارة الرياضية، رأينا زقاقًا أمامنا يؤدي إلى الشارع الخلفي للمخزن. ومن ثم سلكنا ذلك الزقاق.

كان بعض الناس يتجوَّلون في الشوارع، ولكن كان الوقت لا يزال باكرًا، ولم تكن المصانع المنتشرة في هذا الجزء من المدينة قد بدأت نوباتها بعد.

في الشارع الخلفي للمخزن، وجدنا شيئًا مثيرًا للاهتمام. كان الباب الخلفي مغلقًا. ورأينا أن حافة الباب وحافة الإطار القريبة من القفل تحملان آثارًا. شخص ما حاول فتحه باستخدام عَتَلة صغيرة.

حاول ميكي فتح الباب. ووجده غير مقفل. أخذ يدفع الباب قليلًا قليلًا في كل مرة، ويتوقف بين كل مرة والتي تليها، إلى أن فتحه بمقدار يتيح لنا التسلل إلى الداخل.

لما تسللنا إلى الداخل، استطعنا أن نسمع صوتًا ما. لكن لم تتبين آذاننا ما الذي يقوله الصوت. ولم نسمع غير غمغمة خافتة لصوت رجل بعيد، وفيه نزعة إلى الشجار.

أشار ميكي إلى الآثار في الباب وهمس لي.

«إنهم ليسوا من الشرطة.»

تقدمت خطوتين إلى الداخل ومشيت على كعبَيْ حذائي المطاطيين. تبعني ميكي مقتربًا مني لدرجة أني أحسست بأنفاسه في قفاي.

كان تيد رايت قد أخبرني أن ويسبر يختبئ في غرفة خلفية بالطابق العلوي. وربما كان هذا هو مصدر الصوت.

الْتفتُّ بوجهي إلى ميكي وقلت:

«هل معك كشاف؟»

وضع الكشاف في يدي اليسرى. وأمسكت المسدس باليد اليمنى. وعندئذٍ تقدمنا متسلِّلَين.

كان الباب الذي ما يزال مفتوحًا بمقدار قدم يُدخِل بصيص نور أَظهَر لنا الطريق عبر الغرفة إلى مدخل ليس عليه باب. ولكننا وجدنا الجانب الآخر من المدخل مظلمًا.

سلطت شعاع الكشاف كي يجلي الظلام حتى وجدت بابًا، وحينئذٍ أطفأت النور وتقدمت. وفي المرة التالية التي استخدمت فيها النور رأينا سلمًا يُصعِد إلى الطوابق العلوية.

صعدنا الدرج بحذر وكأننا نخشى أن يتهدم من تحت أرجلنا.

انقطع الصوت الرنان. لكن كان ثمة شيء آخر في الجو. لم أستطع أن أحدد ماهيته. ربما كان صوتًا ليس عاليًا بالقدر الذي يتيح سماعه، ولا أعرف إن كان لهذا أي أهمية.

مشيت تسع خطوات حتى سمعت صوتًا واضحًا من فوقنا. قال الصوت:

«بالتأكيد، لقد قتلتُ تلك العاهرة.»

هنا تحدث السلاح؛ إذ خرجت أربع رصاصات تدوِّي وكأنها من مسدس عيار ١٦ تحت السقف الحديدي.

قال الصوت الأول: «حسنًا.»

بحلول ذلك الوقت كنا قد قطعنا أنا وميكي بقية الدرج، وفتحنا الباب وحاولنا إفلات قبضتَيْ رينو ستاركي عن رقبة ويسبر.

كانت مهمة صعبة ولم تُجدِ نفعًا. فقد مات ويسبر. ولمَّا تعرَّفني رينو، أرخى قبضتَيه.

وكعادته، كانت عيناه متبلِّدتَين، ووجهه خاليًا عن التعابير.

حمل ميكي المقامر الميت إلى سرير صغير في أحد أطراف الغرفة، ومدَّده عليه.

تحتوي الغرفة — التي يبدو أنها كانت مكتبًا فيما مضى — على نافذتين. وفي ضوء هاتين النافذتين، رأيت جثة مخبَّأة تحت السرير، كانت جثة دان رولف. وكان مسدس كولت أوتوماتيكي ملقًى على الأرض في وسط الغرفة.

أحنَى رينو كتفيه إذ أخذ يترنح.

سألته: «هل تأذيت؟»

قال بهدوء، وهو ينحني كي يضغط بساعديه على الجزء السفلي من جسمه: «لقد أصابني بأربع رصاصات.»

أخبرت ميكي: «استدعِ طبيبًا.»

قال رينو: «لا فائدة. فأنا أعلم أني لن أنجو من الرصاصات التي أصابتني في بطني.»

سحبت كرسيًّا قابلًا للطي وأجلسته عليه؛ بحيث يستطيع الانحناء إلى الأمام ويثبِّت نفسه.

خرج ميكي راكضًا ونزل السلم.

سأل رينو: «هل علمت أنه لم يكن قد مات؟»

«لا. فقد نقلت لك المعلومة مثلما أخبرني بها تيد رايت.»

قال: «لقد غادر تيد قبل أن يتأكد. وكنت أشك في أن هذا قد يحدث؛ لذلك أتيت كي أتأكد. لكنه نصب فخًّا لي؛ ومثَّل عليَّ الموت حتى صرت في مرمى نيرانه.» وحملق في فتورٍ إلى جثة ويسبر. ثم أكمل: «لقد ثابر حتى النهاية، اللعنة عليه. فعلى الرغم من أنه شارف على الموت، فإنه لم يستسلم له، وبات يضمِّد جرحه، وقبع هنا منتظرًا.» وابتسم، وكانت تلك هي الابتسامة الوحيدة التي رأيتها على وجهه. ثم استدرك: «لكنه أصبح جثة هامدة، لا روح فيها.»

بدأ صوته يزداد حشرجة. وتكوَّنت بركة صغيرة حمراء أسفل الكرسي الذي يجلس عليه. خشيت أن ألمسه. إذ لم يمنعه من السقوط سوى ضغطه بذراعيه على بطنه وانحنائه إلى الأمام.

حدَّق في بركة الدم تحته وسأل:

«كيف اكتشفتَ أنك لم تقتلها؟»

قلت: «لم يكن أمامي سوى أن آمل أني لم أفعلها، وذلك حتى هذه اللحظة. وشككتُ في أنك القاتل، ولكني لم أكن متأكدًا. لقد عانيتُ اضطرابًا شديدًا في تلك الليلة، وبتُّ ليلتي أرى

أحلامًا رأيت فيها أجراسًا تدق وأصواتًا تنادي، وغيرها الكثير. وراودتني فكرة أنها لم تكن أحلامًا، بل كوابيس حفزتها الأحداث التي جرت من حولي.

وحين استيقظت، وجدت المصابيح مُطفَأة. ولم أظن أني قتلتُها، وأطفأت المصابيح وعدت وأمسكت مخرز الثلج. ولكن ربما وقع الحادث بطريقة أخرى. كنتَ تعلم أني كنتُ عندها في تلك الليلة. وقد أعطيتني حُجة الدفاع من دون أن تتوانى. وهذا جعلني أفكر. حاول دون أن يبتزني بعدما سمع قصة هيلين ألبوري. وبعدما سمعت الشرطة القصة، وضعتنا أنا وأنت وويسبر ورولف في سلة واحدة. كذلك وجدت دون ميتًا بعدما رأيت أومارا على مسافة نصف بناية. فبدا لي أن المحامي حاول أن يبتزك أيضًا. هذا فضلًا عن أن الشرطة ربطتنا معًا، كل ذلك جعلني أفكر في أن الشرطة كان لديها أدلة كثيرة ضدكم كما لديها ضدي. الأدلة التي عند الشرطة ضدي هي أن هيلين ألبوري رأَتْني إما وأنا أدخل المنزل أو وأنا خارج منه، أو أنها رأتني في كلتا الحالتَين في تلك الليلة. وكان تخمينًا سديدًا حين ظننتُ أن الشرطة تملك أدلَّة ضد بقيتكم كما تملك ضدي. بالطبع توفَّرت أسباب تُخرِج ويسبر ورولف من الحسبة. وبذلك يتبقَّى أنا ... وأنت. ولكني لم أستطع أن أعرف ما الذي دفعك إلى قتلها.»

قال وهو يشاهد البركة الصغيرة الحمراء تكبر على الأرض: «سأَصدُقك القول. الخطأ كله خطؤها. لقد اتصلت بي وأخبرتني أن ويسبر آتٍ لزيارتها، وقالت إنه إذا وصلتُ قبله فسأتمكن من مباغتته. وقد راقتني الفكرة. ولذا ذهبت إلى هناك وانتظرت، ولكنه لم يأتِ.»

سكت رينو عن الكلام متظاهرًا باهتمامه بالشكل الذي تتخذه البركة الحمراء. أعلم أن الألم أسكته، ولكني علمتُ أنه سيستأنف حديثه بمجرد أن يستعيد قواه. لقد قصد أن يقابل حتفه بالطريقة التي عاش بها، وهي جمود المشاعر. الكلام يعذبه، ولكنه لن يسكت بسبب ذلك، لن يسكت ما دام أحد يراه. إنه رينو ستاركي الذي يتحمل أي شيء يرميه به الزمن من دون أن ترمش له عين، ولن يتخلى عن طبيعته هذه حتى آخر نفس لديه.

أردف بعد لحظات: «سئمت من الانتظار. فطرقت الباب وسألت ما الذي يحدث. حينها أدخلتني وقالت لي إنه لا يوجد أحدٌ بالداخل. لقد ساورني الشك، ولكنها أقسمت أنه لا يوجد أحد، وعدنا إلى المطبخ. ولأني أعرفها، فقد بدأت أفكر في أنه ربما أنا من يُنصَب له فخٌّ وليس ويسبر.»

دخل ميكي كي يخبرنا أنه اتصل بالإسعاف.

استغل رينو هذه المقاطعة كي يستريح من الكلام، ثم أردف يحكي قصته:

«فيما بعد، اكتشفت أن ويسبر اتصل بها وأخبرها أنه آتٍ، وقد وصل إلى هناك قبلي. كنت أنت مخمورًا. وقد خافَت هي أن تُدخِله؛ ولذا تركها وغادر. وهي لم تخبرني ذلك خشية أن أتركها وأغادر. فأنت ثمل، وهي تريد الحماية خشية أن يعود ويسبر. لم أعلم شيئًا من هذا حينها. شككت أن قدمي تنزلق إلى فخ ما، فأنا أعرفها. جاء في بالي أن أواجهها وأجبرها على قول الحقيقة. وقد حاولت، ولكنها أمسكت المخرز وصرخت. وحين صرخت، سمعت قرع نعال رجل على الأرض. وظننت أن الفخ قد نُصب.»

بدأ يتثاقل في حديثه، ويستغرق وقتًا أطول ويعاني ألمًا أكبر كي يلفظ كل كلمة بهدوء وتمهُّل، وكأن الكلام يزداد صعوبة. أصبح صوته غير واضح، ولكنه تظاهر بأنه لا ينتبه لذلك، حتى وإن كان يعي أمرًا كهذا.

«عزمتُ على ألا أكون الوحيد الذي يتأذى. لويتُ يدها فأخذت المخرز منها وطعنتُها به. واندفعتَ أنت وقد غاب عقلك تمامًا من الخمر، تهاجم أي شيء يأتي في طريقك وعيناك مغمضتان. أتت هي في طريقك. ومن ثم سقطتَ وتدحرجت حتى ضربت يدك مقبض المخرز. ولما استقررتَ على هذه الوضعية، غططتَ في النوم، مثلها تمامًا. لقد أدركتُ حينها ما ارتكبتُه. ولكن ما الفائدة! فقد ماتت. ولم يعد لي حيلة في فعل شيء. فأطفأت الأنوار وذهبتُ إلى منزلي. وعندما ...»

دخل طاقم إسعاف بادٍ عليه التعب — فقد حمَّلتهم بويزونفيل قدرًا كبيرًا من العمل — وأحضروا نقَّالة، فانتهت قصة رينو. سرَّني ما سمعتُ منها. فقد حصلتُ على كل المعلومات التي أردتها، ولكن لم يسرني الجلوس وأنا أستمع إليه وأشاهده ينهك نفسه بالكلام حتى الموت.

أخذت ميكي إلى أحد أركان الغرفة وهمست في أذنه:

«أصبحت المهمة بين يديك من الآن فصاعدًا. أما أنا فسأختفي لفترة. ينبغي أن تكون ساحتي الآن بريئة، لكني أعرف بويزونفيل جيدًا ولن أخاطر. سآخذ سيارتك إلى المحطة، وأستقل القطار إلى أوجدين. وسأنزل هناك في فندق «روزفلت» باسم بي إف كينج. تولَّ أنت المهمة، وأَعلِمني حين يكون الوقت مناسبًا كي أستعيد اسمي أو أسافر إلى هندوراس.»

قضيت معظم الأسبوع الذي قضيته في أوجدين وأنا أحاول صياغة التقارير؛ بحيث لا أُرى وكأني خرقت العديد من قواعد الوكالة، أو قوانين الولاية، أو حقوق الإنسان كما هي حقيقة الأمر.

وصل ميكي في الليلة السادسة.

أخبرني أن رينو قد مات، وأن ساحتي قد بُرِّئت رسميًّا، وأنه أَعيدت معظم الأموال التي سُرقت من البنك الوطني الأول، وأن ماكسوين اعترف بقتل تيم نونان، وأن بيرسونفيل — في ظل الأحكام العرفية — تتطور إلى مكان جيد لا فساد فيه.

عدت أنا وميكي إلى سان فرانسيسكو.

ليتني وفَّرت جهدي وعرقي وأنا أنقِّح تقاريري كي تبدو سليمة وبريئة. فالرجل الكبير لم ينخدع بها. وانهال عليَّ بتوبيخ قاسٍ.

الفـــهـــرس

١ – صاحبة الثياب الخضراء، وصاحب الثياب الرمادية
٢ – قيصر بويزونفيل
٣ – دينا براند
٤ – شارع هريكين
٥ – إيليو العجوز يتحدث بالمنطق
٦ – وكْر ويسبر
٧ – من أجل هذا كبَّلت يديك
٨ – الرِهان على كيد كوبر
٩ – سكِّين أسود
١٠ – مطلوب جريمة، رجل أو امرأة
١١ – آلية استفزازية
١٢ – اتفاقٌ جديد
١٣ – مائتا دولار وعشرة سنتات
١٤ – ماكس
١٥ – نُزُل «سيدار هيل»
١٦ – جيري يلقى مصرعه
١٧ – رينو
١٨ – شارع بينتر
١٩ – مؤتمر السلام
٢٠ – صبغة الأفيون
٢١ – جريمة القتل السابعة عشرة
٢٢ – مخرز الثلج
٢٣ – السيد تشارلز بروكتور دون
٢٤ – مطلوب للعدالة
٢٥ – ويسكيتاون
٢٦ – ابتزاز
٢٧ – المخازن